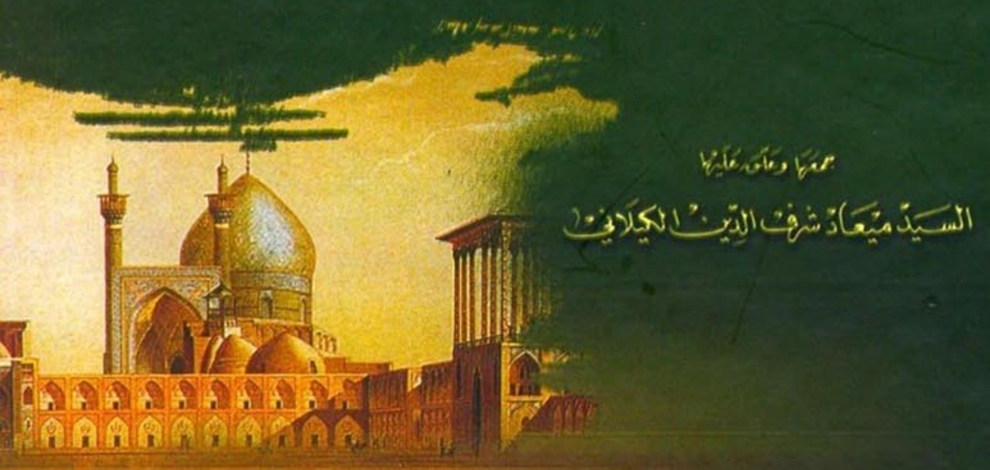
مجالس شيخ الإسلام سيدنا عبد القادر الكيلاني

رضي الله عنه

(جلاء الخواطر)

المواعظ التي ألقيت ببغداد عام ٥٤٦ هـ



جمعها وعلق عليها
السيد ميعاد شرف الدين الكيلاني



مجالس شيخ الإسلام

سيدنا عبد القادر الكيلاني

رضي الله عنه

(جلاء الخواطر)

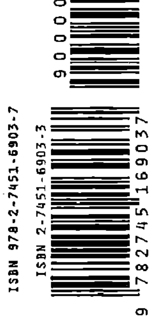
المواعظ التي ألقيت ببغداد عام ٥٤٦ هـ

جمعها وعلق عليها

السيد ميعاد شرف الدين الكيلاني



Title : **Majālis šayẖ al-ʾislām Sayyidinā ʿAbdul-Qādir al-Kīlāni (Jalāʾ al-ẖawāṭir)**		مجالس شيخ الإسلام سيدنا عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه (جلاء الخواطر)	الكتاب
Classification: Sufism		: تصوف	التصنيف
Author	: Al-sayyid ʿAbdul-Qādir al-Kīlāni	: السيد عبد القادر الكيلاني	المؤلف
Editor	: Al-sayyid Mīʿād Šaraffuddīn al-Kīlāni	: السيد ميعاد شرف الدين الكيلاني	المحقق
Publisher	: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah	دار الكتب العلميـــة - بيروت	الناشر
Pages	: 256	256 :	عدد الصفحات
Size	: 17*24	17*24 :	قياس الصفحات
Year	: 2010	2010	سنة الطباعة
Printed in	: Lebanon	لبنـــان	بلد الطباعة
Edition	: 1st	الأولى	الطبعة

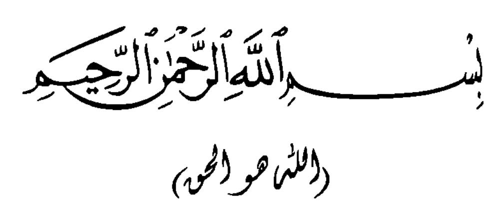




(سرّي بعدَ الموت
عاقبةُ كلامي)

شيخ الإسلام
سيدنا عبدالقادر الكيلاني (رضي الله عنه)

المقدمة



(الله هو الحق)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد:

هذا الكتاب... مجالس ألقى فيها شيخ الإسلام سيدنا عبدالقادر الكيلاني(ﷺ)، كلماته من على كرسي الوعظ ببغداد عام 546هـ في شهر رجب وشعبان ورمضان. هذه الكلمات تتحسس حرارتها وتأثيرها وتتلمس صدق لهجتها، وكأنها قيلت في يومنا هذا، ولمجتمعنا المعاصر، كونها لامست موضوعاتٍ وأبحاثاً شتى تتعلق بالمسلم وعلاقته بربه وبالآخرين. وبحقيقة الإسلام وصلته بالإيمان والإيقان، وعلاقة الشريعة بالحقيقة، والظاهر بالباطن، والآداب بالسلوكيات. مقالات تغطي مساحة واسعة من الفكر الإسلامي.

هذه المجالس تضعك مباشرة أمام مدرسة وعظية دعوية، قائمة بذاتها، لها أساليبها ووسائلها الخلاقة، ولها أركانها وأسسها الجامعة المانعة. هذه المدرسة الوعظية الكيلانية، قامت على أعمدة متينة تتوزع بين الشكل والمضمون.

أما من حيث الشكل فإنها تعتمد.. الفصاحة والعلم والمواهب. فالفصاحة باللسان بوسيلة الكلمة المؤثرة ضمن قالب البيان... وبالعلم المستند إلى الشريعة والنص والالتزام بالتكاليف. أما المواهب فإنها مواهب الرحمن... يختص بها من يشاء من عباده المُخلصين. فيلقي عليهم من عنده المحبة، فتميل إليهم قلوب العباد طوعاً. هذه العطايا الربانية والمواهب الرحمانية، ظهرت واضحة جلية على شيخ الإسلام سيدنا عبدالقادر الكيلاني (ﷺ). في اجتماع ألوف الناس من مختلف الطبقات والأصناف وحتى الأديان على مجالسه، حتى يزدحم بهم، فيأخذ بلبهم بهيبته وتتعلق القلوب به في طريقته. وتشنف الآذان بسماع وقع كلماته ونبرته. ولا

ينفض مجلسه إلا وقد أعلن العصاة عن توبتهم جهاراً نهاراً. وعن آخرين يشهرون إسلامهم وسط الجموع. أما عدد الذين يسقطون مغشياً عليهم فإن الروايات تواترت بأخبارهم.

وعن مضمون هذه المدرسة الوعظية. فإنها تقوم على:الصلة بين الشريعة والحقيقة والطريقة، وعلى الظاهر والباطن، والمجاهدات والمكابدات. والأحوال والمقامات. فالظاهر عندهم هو علم الشريعة وأعمال الجوارح. والباطن علم الحقيقة وإحكام الباطن بالصدق والإخلاص، والإيمان والإيقان. ومجاهدة النفس وأعمال القلوب ومعارف السّر. وإلا اختلط الأمر فصارت أعمال الجوارح رياء، والباطن ضياعاً وتيهاً بالخطرات. هذه الخواطر لا يعرفها ويستطيع تمييزها إلا أصحاب السلوك والطريقة، لأن القلب في دوام التقلب، والحال ثباته محال... والنفس أمارة غارقة في مطالب الشهوات. هذه العوالم عصية. لا يعرفها ويحكمها إلا مرشد نقي تقي عالم. وإلا فإنها تُردي بصاحبها إلى المهاوي والمهالك. والنجاة... في العمل بالشريعة والحقيقة. لأن الشريعة مؤيدة للحقيقة، والحقيقة مقيدة بالشريعة. والحقيقة روحها والشريعة عينها. فقوله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ شريعة وقوله تعالى ﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ حقيقة. متلازمتان في النجاة ومفترقتان في الخسران. ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى عَلَّم آدم (عليه السلام) الأسماء كلها، أي جمعها وعدَّها. في الوقت الذي كان كل صاحب اسم يعرف اسمه مفرداً، فكان الفرق بينهما العَد والجمع. ولكن هذا العَد والجمع للأسماء لم ينفعه شيئاً فهبط من الجنة إلى الأرض، بينما أحصى محمد(ﷺ) الأسماء، أي تثبت منها وتحقق فيها فارتقى وارتفع من الأرض إلى السماء (أَسْرَى بِعَبْدِهِ). العّد ظاهر والإحصاء تحقق باطن وظاهر. عمل شريعة وحقيقة. وألا ترى أن إبليس كما قيل عَبَدَ الله تعالى سبعين ألف عام وبعد هذه العبادة عصى وكفر فهو عبد الله تعالى بالشريعة ولكنه تكبّر. والتكبّر من الباطن ومن هذه الحقائق جاءت دعوة سيدنا عبدالقادر الكيلاني (رضي الله عنه) في العمل بالشريعة وأحكام الحقيقة والأخذ بالطريقة ظاهراً وباطناً.

والحمدُ لله رب العالمين.

السيد ميعاد شرف الدين آل شامية الكيلاني

الحسني القادري البغدادي

1430هـ - 2009

ترجمة مختصرة[1]

لشيخ الإسلام سيدنا عبدالقادر الكيلاني (رضي الله عنه)

هوشيخ الإسلام أبو محمد محيي الدين السيد الشيخ عبدالقادر الكيلاني ابن أبي صالح موسى بن عبدالله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبدالله بن موسى الجون ابن عبدالله المحض ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم).

وأمه أم الخير أمة الجبار فاطمة بنت أبي عبد الله الصومعي الحسيني. ولد في الحادي عشر من شهر ربيع الثاني سنة سبعين وأربعمائة للهجرة في مدينة (كيلان) وإليها نُسب. رحل إلى بغداد سنة 488هـ. ودرس العلوم النقلية والعقلية وسلك في الطرق الصوفية على كبار شيوخ بغداد. منهم الباقلاني والسراج وأبو بكر بن سوسن. وصحب الشيخ حماد الدباس من كبار الصوفية. ولازم الشيخ القاضي أبا سعيد المبارك المخزومي المخرمي. الذي أجازه وفوّض إليه مدرسته. وتصدر للدرس والتعليم بعد توسيعه للمدرسة. فصار الطلاب يفدون عليه من كل حدب وصوب وجلس على كرسي الوعظ في شوال سنة 521هـ. في الحلبة البرانية. قال الشطنوفي يصف تلك المجالس: لله در مجلس تجلله الهيبة والبهاء وتحف به الملائكة فقام بنص الكتاب والسنة خطيباً على الأشهاد ودعا الخلق إلى الله عزَّ وجلَّ فأسرعوا إلى الانقياد فيالله من داع أجابته أرواح المشتاقين. وبعد عمر طويل زاهر بالعلوم والتصنيف توفي سنة 561 ليلة العاشر شهر ربيع الآخرة ودفن

---

(1) ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي. دار الكتب العلمية، بيروت - 1996، ج2، ص69.
الشطنوفي: بهجة الأسرار، دار الكتب العلمية. بيروت - 2002.
إبراهيم الدروبي: الباز الأشهب، مطبعة الرابطة - بغداد. 1955، ص24.
صلاح الدين عبدالقادر: سلطان العارفين الشيخ عبدالقادر الكيلاني، مطبعة دار السلام. بغداد 1979، ص10.

في رواق مدرسته في يوم مشهود ببغداد أغلقت فيه الاسواق وتزاحم الناس على باب مدرسته. وترك بعد وفاته مؤلفات قيمة منها ما هو مخطوط لا يزال في الخزائن ومنها ما هو مطبوع منشور ومنه ما هو مفقود. ومن هذه الكتب كتاب الغنية. والفتح الرباني. وفتوح الغيب وبشائر الخيرات. والمواهب الرحمانية. ويواقيت الحكم. وجلاء الخواطر. وسر الأسرار. وتفسير للقرآن مفقود. وغيرها كثير.

الطريقة القادرية[1]

أسس شيخ الإسلام سيدنا عبدالقادر الكيلاني (ﷺ) الطريقة القادرية المنسوبة إليه. ووضع أركانها ومبادئ السلوك فيها. وانتشرت هذه الطريقة في أنحاء العالم الإسلامي وربما إلى أبعد من ذلك. وبلغ عدد مريديها ومحبيها عشرات الملايين. ومبنى هذه الطريقة قائم على أساس الالتزام بالكتاب والسنّة. والتفويض والموافقة لله سبحانه وتعالى وصفاء الظاهر والباطن. وإن كل حقيقة لا توافق الشريعة زندقة. ودعا إلى تجريد الإرادة. بترك الإرادة لإرادته. والالتزام بمحددات الآداب والالتزامات الأخلاقية. ما بين العبد والعبد. وما بين العبد وربه. ولا بدّ للسالك من المكابدات من أجل الوصول والتحقق فيها، ومنها:

المجاهدة والتوكل وحسن الخلق والشكر والصبر والرضا والصدق. وأنه لا بدّ من شيخ مرشد عالم تقي يأخذ بيده. ويعلمه مداخل ومخارج هذه المقامات وأسس السلوك.

قال الشيخ علي بن الهيتي الذي لازم وصحب سيدنا الكيلاني عن طريقته: كانت طريقته تجريد التوحيد وتوحيد التفريد.

ولتوضيح العبارة: فإن التجريد هو إماطة السوى والكون عن السّر والقلب. ولا يبقى في القلب شهود الحق ولا شيء معه فيشهده منفرداً. وهذا الوصف يوافق أصحاب المقامات العالية حتى قيل إنها مقام (فناء الشاهد في الشهود)[2].

وخلاصة القول فإن سيدنا الكيلاني صار أحد كبار أقطاب التصوف في العالم الإسلامي. ومن أكبر الدعاة والوعاظ. اجتمع عليه الناس من جميع الاصقاع. ولا تزال أفكاره ومجالس وعظه خالدة في نفوس المسلمين يستقون منها العلوم والفنون والآداب والسلوك الإسلامي والصوفي.

---

(1) انظر كتابنا مكاتبات سيدنا عبدالقادر الكيلاني وشرحها، ص18 - 20.

(2) القاشاني: لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام. د. عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص ص124 - 140.

تحقيق المخطوطة

هذه المخطوطة لها أهمية بالغة، في سَد ثغرة المفقودات من كتب ومصنفات سيدنا عبدالقادر الكيلاني (ﷺ) التي طال أَمدها كثيراً من جهة. ومن جهة أخرى بعد تدقيقنا لهذه المخطوطة، وجدنا أنها من مكملات كتاب الفتح الرباني والفيض الرحماني كما سنفصل الحديث بذلك. لذا يمكن اعتبارها الجزء الثاني من الفتح الرباني وإن جاءت بعنوان مغاير له (جلاء الخواطر).

وأصل هذه المخطوطة كانت في البلاد الهندية قبل أكثر من مئة عام. وقام أحد مريدي الطريقة القادرية هناك وهو (عزيزي مولوي كريم بخش) بنسخها عن مخطوطة محفوظة لديهم كما يوضح ذلك بنفسه (وهذا الكتاب المستطاب استكتب من نسخة موجودة في بيتنا من القديم). وقام بنسخها عام 1306هـ الموافق 1888م. وقدمها إلى الحضرة القادرية ببغداد، وذكرها الدكتور عماد عبدالسلام في كتابه الآثار الخطية في المكتبة القادرية جـ3، ص27. بعنوان (جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر). وتتكون من 205 صفحة. 9 سطر. قياس 24.5 ×16سم. وناسخ المخطوطة المذكور شكا في ملاحظة له في نهاية المخطوطة من كثرة الأخطاء في النسخة المنقول عنها. وإِن العثة أصابت بعض جوانبها وألحقت بها ضرراً. يقول (وكانت النسخة المنقول عنها كثيرة الأغلاط وقد أكل بعض حروفها الديدان. وبذلت في التصحيح سَعيي فما بقى من الأغلاط هو من قصوري). وأضاف (ومن وجد نسخة صحيحة فعليه بالتصحيح والتكميل). وفعلاً جاء من بعده من صحح بعض الأخطاء عن نسخة جيدة على ما يبدو. فوضع هوامش على جوانب المخطوطة. أما ما تبقى من الأخطاء فتولينا تصحيحها بقدر المستطاع. وفي كل الأحوال فإن هذه المخطوطة تطلبت وقتاً وجهداً من أجل تقويمها وإخراجها بهذا الشكل - نحسبها ذخيرة لنا عند المولى العزيز القدير. والمشكلة الأخرى التي واجهتنا في تحقيق هذه المخطوطة. عدم وجود فواصل ودلالات تؤشر بداية المجلس ونهايته. ومن خبرتنا المتواضعة في مجالس وعظ سيدنا عبدالقادر الكيلاني (ﷺ). تمكنا من تشخيص العديد من المجالس وفصلها عن بعضها. وإعطاء عنوان لكل مجلس وأضفنا من عندنا عناصر تكميلية. منها

إبراز أهم قول قيل في كل مجلس وحسب اجتهادنا، ووضعناه في مطلع المجلس ومقدمته. وفرزنا أهم المفردات، والموضوعات والمصطلحات، وصدرنا بها المجلس كذلك. لفائدة الباحثين والدارسين. واختصاراً لوقتهم.

ثم جاءت الخطوة الأخيرة بالتصحيح النحوي والضبط اللغوي لتكون سليمة من جميع الجوانب. ولا ننسى أن نذكر أننا علقنا بالشرح والتفسير لبعض الألفاظ والعبارات التي ربما بعدت لغتها ودلالتها عن يومنا هذا. أو تضمنت رمزية صوفية يصعب فهمها من الآخرين. كما قمنا بإعطاء ترجمة قصيرة لكل علم ورد ضمن هذه المجالس. وبعد هذا لا بدّ لنا من توضيح العناصر الأخرى المتعلقة بهذه المخطوطة ومنها:

1. **عنوان الكتاب**: جاء في نهاية المخطوطة بالتحديد في آخر صفحة منها ما يلي (تمت النسخة المسماة بجلاء الخواطر من تصانيف الشيخ الإمام العالم...). فالمخطوطة عنوانها (جلاء الخواطر). ولأن المحقق ليس من حقه تغيير العنوان أو تبديله حاولنا تثبيت العنوان كما جاء في نص المخطوطة. إلا أن هذا العنوان يختلف عما جاء في عدد من المصادر منها: كتاب المختصر في تاريخ شيخ الإسلام سيدنا عبدالقادر الكيلاني وأولاده - نسخة يدوية - ص28 ذكر فيه العنوان (جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبدالقادر). وأكد هذا العنوان إبراهيم الدروبي مؤلف الكتاب السابق، وكذلك في كتابه اللاحق (الباز الأشهب) ص24. وكذلك فعل فرج توفيق الوليد محقق كتاب الغنية في ج1. ص14. والشيخ يونس السامرائي في كتابه الشيخ عبدالقادر الكيلاني، حياته وآثاره ص18. ونوري المفتي في كتابه، مكتبة المدرسة القادرية العامة. ص21. وعنهم ذكر الدكتور عماد عبدالسلام في المصدر السابق هذا العنوان.

ولكنا آثرنا تثبيت العنوان (جلاء الخواطر) للسبب السابق وهو العنوان الوارد في متن المخطوطة. ولسبب فكري آخر. وهو أن الخواطر في الفهم الصوفي ليس خاطراً واحداً، بل خواطر كثيرة. وعلى سبيل المثال كتاب (تقسيم الخواطر) لمصنفه روزبهان الفسوي. فإنه لم يقل تقسيم الخاطر. بل تقسيم الخواطر بصيغة الجمع. والسبب الثالث من داخل الكتاب نفسه حين تطالع مجلس الخواطر، وكيف قسمها سيدنا عبدالقادر الكيلاني (رضي الله عنه). سيفهم منه أن هناك

خواطر كثيرة متعددة.

2. وفي هذا الكتاب ذُكِرَ تاريخ بداية هذه المجالس وتاريخ انتهائها وكما يلي:

(في مجالس أولها تاسع من شهر رجب يوم الجمعة. وآخرها الرابع والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة ست وأربعين وخمسمائة)، 546هـ. ولغرض التوثيق التاريخي راجعنا كتاب الفتح الرباني والفيض الرحماني بطبعتيه، طبعة دار العلوم الحديثة ببيروت، 1983. وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت 1983، ص3 وص227. وجدنا فيهما أن مجالس الفتح الرباني تبدأ بالمجلس الأول بكرة يوم الأحد ثالث شوال سنة خمس وأربعين وخمسمائة. وتنتهي بآخر مجلس، المجلس الثاني والستون يوم الجمعة سلخ رجب سنة ست وأربعين وخمسمائة. هذه المراجعة تصل بنا إلى:

أ - هذا الكتاب (جلاء الخواطر) بدأ يوم الجمعة 9/ رجب/ 546هـ، أي بعد أسبوع واحد فقط من انتهاء مجالس الفتح الرباني يوم الجمعة 2/رجب/546 هـ.

ب - مجالس الفتح الرباني استغرقت تسعة أشهر وبلغت (62) مجلساً. والرواية الأكثر ثقة لدينا أن سيدنا الكيلاني كان يعقد ثلاثة مجالس في الأسبوع، صباح يوم الجمعة ومساء يوم الاثنين في المدرسة ويوم الأحد في رباطه. وعليه كان يمكن أن تكون المجالس ضمن هذا الحساب (108) مجلساً. بينما ما موجود لدينا هو (62) مجلساً فقط. فإما أن تكون بعض هذه المجالس قد فقدت أو كما لاحظنا في المجلس الأخير الذي كان طويلاً أكثر مما يجب (81) صفحة. بينما بقية المجالس كمعدل (3-5) صفحات. ويعني ذلك أنه تم دمج أكثر من مجلس في المجلس الأخير.

جـ - مجموع مجالس الفتح الرباني ومعها فتوح الغيب وهذا الكتاب (جلاء الخواطر) لا تشكل بمجموعها (200) مجلس. بينما جلس سيدنا الكيلاني (ﷺ) لأكثر من أربعين سنة للوعظ. فنحن أمام آلاف المجالس المفقودة اليوم ولا نعرف عنها شيئاً. ولم يصلنا سوى النزر اليسير والكم الصغير من هذه المجالس.

د - ترتيب مجالس (جلاء الخواطر) وتأريخها بعد مجالس (الفتح الرباني) يعطي

مصداقية وثقة بهذه المخطوطة، فضلاً عن العناصر الأخرى، مثل دراسة عبارات وكلمات ومفاهيم سيدنا الكيلاني (رضي الله عنه) لأن المتخصص بدراسة شخصية معينة لا يجد صعوبة كبيرة في تمييز أفكاره ومقالاته ومصطلحاته عن غيره. وقد تأكدنا من هذا الجانب الفكري لدى دراستنا لهذه المخطوطة وتأكدنا لدرجة الاطمئنان بنسبتها إلى سيدنا عبدالقادر الكيلاني (رضي الله عنه).

نماذج من صور المخطوطة

يا الله | يا محمد | يا غوث

رب يسر ولا تعسر وتمم بالخير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله
واصحابه وسلم قال الشيخ الامام العلامة الزاهد
العابد العارف الورع شيخ المشايخ حجة الاسلام قطب
الانام ناصر السنة قامع البدعة تاج العارفين ومحجة السالكين
ركن الشريعة وعماد الحقيقة وعلم الطريقة سيد الاولياء و
امام الاصفياء مصباح سالكي طريق الهدى ورئيس الاتقياء

وسراج اهل التقى والنقى الشيخ محي الدين ابو محمد عبد القادر
بن ابي صالح الجيلي سبط ابي عبد الله الصومعي قدس الله روحه
ونور ضريحه وحشرنا في زمرته واماتنا على محبته ونفعنا ببركته
وبكلامه في الدنيا والآخرة وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه اجمعين وسلم تسليما كثيرا كثيرا والحمد لله رب العلمين
في مجالس اولها تاسع من شهر رجب يوم الجمعة وآخرها رابع
عشر من شهر رمضان المبارك سنة ست واربعين و
خمس مائة يا غلام اياك والحسد فانه بئس القرين وهو الذي
خرب بيت ابليس واهلكه وجعله من اهل النار وجعله ملعون الحق

صورة الصفحة الأولى والثانية من مخطوطة (جلاء الخواطر) والمحفوظة في المكتبة القادرية - الحضرة القادرية - ببغداد

وانا الفقير الحقير المدعو به كريم بخش ارجو من الناظرين والقارئين

لهذا الكتاب المستطاب ان لاتنسوني بدعاء الخير والى تمة على

الايمان وان يحشرني في زمرة مريدي حضرت الغوث

الاعظم والقطب الافخم رضي الله عنه وارضاه عنا آمين يارب العلمين

قد وقع الفراغ من التحرير ثالث عشر يوم الثلثاء من شهر رمضان

سنة ١٣٠٦ وكانت لنسخة المنقول عنه كثير الاغلاط وقد اكل بعض

حروفه الديدان بذلت في التصحيح سعيي فما بقي الاغلاط هو من

قصوري والعذر عند كرام الناس مقبول فمن وجد نسخة صحيحة

فعليه بالتصحيح والتكميل سلام

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة (جلاء الخواطر)

عبارات مهمة وردت في الكتاب

وردت في هذه المجالس عبارات مهمة، ترقى إلى مستوى الحكمة الصوفية. والشعارات الإسلامية العظيمة كلماتها بسيطة وسهلة ولكنها عميقة. ولها قوة التأثير في النفس الإنسانية. حاولنا فرزها لغرض الانتباه إليها وتأملها من قبل المهتمين والباحثين والمحبين:

1. مجلس "الإخلاص" - (مفتاح القرب من الله عزَّ وجلَّ التوبة).
2. مجلس "الصوفي" - (الصوفي من صفا باطنه وظاهره).
3. مجلس "الزهد" - (ثقل الزهد على البُنية، وثقل المعرفة على القلب، وثقل القرب على السّر).
4. مجلس "نسب التقوى" - (النسب الصحيح نسب التقوى).
5. مجلس "المريد والمراد" - (المُريد تحت ظلال توبته والمراد تحت ظلال عنايته).
6. مجلس "خاطر الحق" - (خاطر الحق لا يجيء إلا إلى قلبٍ خالٍ عما سواه).
7. مجلس "الحياء" - (المؤمن يستحي من الخالق والمنافق يستحي من الخلق).
8. مجلس "العبادة" - (العبادة بترك العادة).
9. مجلس "الأصنام" - (كل ما سوى الله صنم).
10. مجلس "ما لا يعنيكم" - (من اتقاه وقاه ومن وقاه رقاه).
11. مجلس "الوعظ" - (كُن صحيحاً في خلوتك تَكن فصيحاً في جلوتك).
12. مجلس "الولي" - (الولي من شرطه الكتمان والنبي من شرطه الإظهار).
13. مجلس "الآداب" - (الأدب في حق العارف فريضة).
14. مجلس "القرب والبعد" - (لا ترغبوا في شيء يفارقكم).
15. مجلس "الشريعة والحقيقة" - (كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة).
16. مجلس "حقيقة الإسلام" - (صَفّوا ظواهركم بالإسلام وبواطنكم بالاستسلام).
17. مجلس "الملوك" - (العلماء والأولياء له، هم الملوك على الحقيقة).
18. مجلس "الشكر" - (لو عرفت الدنيا ما عصيت في طلبها).

19. مجلس "العلم والعمل" - (الكتب آلة يعمل بها. فكيف تنفع آلة لا يعمل بها).
20. مجلس "العارف بالله" - (رزق الأبدان الطعام والشراب، ورزق القلوب التوحيد، ورزق الأسرار الذكر الخفي).
21. مجلس "الأضداد" - (المصالح في طي المكاره).
22. مجلس "الإفتاء" - (استفتِ الكتاب والسنّة في جميع تصاريفك).
23. مجلس "الحزن" - (الحزن سجية القلوب، والخوف سجية النفوس).
24. مجلس "الموت الأحمر" - (ألا إني أدعوكم إلى الموت الأحمر).
25. مجلس "المخدع" - (المؤمن بعث ماله إلى الآخرة).
26. مجلس "بركة متابعة الرسول (ﷺ)" - (والدي زهد في الدنيا مع قدرته عليها ووالدتي وافقته على ذلك).
27. مجلس "الحكم والعلم" - (الحكم مشترك والعلم خاص)(الحكم إيمان والعلم عيان).
28. مجلس "المنة" - (كثير من الفقراء يحتملون نار الفقر ولا يحتملون نار المنة).
29. مجلس "المعاصي" - (المعاصي سُم الأَجساد).
30. مجلس "النفس" - (النفس جاهلة فعلموها، سيئة الأدب فأدبوها).
31. مجلس "الصادق" - (اذا ظفرت بصادق فلازمه).
32. مجلس "إسلام الظاهر والباطن" - (لاتقنعوا بالصور دون المعاني).
33. مجلس "القرآن الكريم" - (هذا القرآن شمس مضيئة فاتركوها في بيوت قلوبكم).
34. مجلس "الخوف" - (الخوف عزيمة والرجاء رخصة).
35. مجلس "الإخلاص في كل شيء" - (اعتمادك على الخلق والأسباب شرك).
36. مجلس "البلاء" - (إذا لم ترض بقضائه فلا تأكل من رزقه واطلب رباً سواه).
37. مجلس "المتقون" - (اليوم في جنة الطاعة، وغداً يكونون في جنات وعيون).
38. مجلس "البلاء والصبر" - (من أنت؟ حتى تريد تغيير علم الله عزَّ وجلَّ فيك وفي الدنيا).
39. مجلس "الخوف والشوق" - (رأس مالك دينك).
40. مجلس "الخلوة والجلوة" - (اتركوا إرادتكم لإرادته) (يا من تريد اجتهد إنك لا تريد).

المقدمة



الحمدُ لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه وسلم.

قال الشيخ الإمام العلامة الزاهد العابد العارف الورع، شيخ المشايخ حجة الإسلام وقطب الأنام ناصر السُّنة قامع البدعة تاج العارفين ومحجة السالكين ركن الشريعة والهدى، ورئيس الأتقياء وسراج أهل التقى والنقا[1]، الشيخ محيي الدين أبو محمد عبدالقادر بن أبي صالح موسى الجيلي سبط أبي عبدالله محمد الصومعي[2] قدس الله روحه ونورَ ضريحه، وحشرنا في زمرته وأماتنا على محبته ونفعنا ببركته وبكلامه في الدنيا والآخرة. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً كثيراً، والحمد لله رب العالمين.

في مجالس أولها التاسع من شهر رجب يوم الجمعة وآخرها الرابع والعشرين من رمضان المبارك سنة ست وأربعين وخمس مائة[3].

---

(1) أطلقت ألقاب وأسماء كثيرة للدرجة التي صنفت فيها رسالة بعنوان (أسماء الشيخ الكيلاني) محفوظة نسخة منها في الحضرة القادرية ببغداد برقم 672/5. انظر: الدكتور عماد عبدالسلام. الآثار الخطية في المكتبة القادرية. جـ3. ص31.

(2) ذكر اسمه على هذا النحو، أراد القول بأنه حسَني النسب من جهة أبيه، وحسيني النسب من جهة والدته. انظر كتاب الغنية. جـ1. ص47. وتاريخ ابن الوردي جـ2. ص68.

(3) من أجل توثيق هذه المجالس وتاريخها، راجعنا كتاب الفتح الرباني والفيض الرحماني، وجدنا أن المجلس الأول فيها بدأ يوم الأحد في 3/ شوال/545هـ وانتهت بالمجلس الثاني والستين بكرة يوم الجمعة مطلع/رجب/546هـ.

وبالمقارنة مع هذه المجالس التي تبدأ 9/رجب/546هـ من يوم الجمعة نستنتج ما يلي:

=

=

أ. إن مجالس الفتح الرباني انتهت في 2/رجب/546هـ من يوم الجمعة ببغداد.

ب. بدأت هذه المجالس بعد أسبوع من انتهاء مجالس الفتح الرباني. أي أنها القسم الثاني من الفتح الرباني وتكملة لها.

ج. هذه المجالس لا تغطي سوى ثلاثة أشهر من مجالس الوعظ (رجب، شعبان، رمضان). ولكون رمضان كان من ضمنها فإننا نرجح أن يكون هناك مجلس وعظ يومي أو أكثر، بعكس بقية الأشهر التي جرت العادة على ثلاثة مجالس وعظ في الأسبوع.

د - مجالس الفتح الرباني ومعها هذه المجالس لا تغطي بمجموعها سوى سنة واحدة من مجالس الوعظ. بينما المصادر تخبرنا بأن هذه المجالس دامت سنين طويلة، وبمعنى آخر إن هناك مجالس كثيرة لسيدنا عبدالقادر الكيلاني (ﷺ) لا تزال مفقودة. انظر: الفتح الرباني والفيض الرحماني. دار الكتب العلمية. بيروت. 1983، ص3، ص227.

مجلس (الحسد)

(ياعالم، لوكان عندك من ثمرة العلم بركته لما سعيت إلى أبواب السلاطين)

الزهد، الصدق، الذنب، العالم، قوم موسى(عليه السلام)

يا غلام: إياك والحسد، فإنه بئس القرين، وهو الذي خَرّبَ بيت إبليس وأهلكه وجعله من أهل النار، وجُعل ملعون الحق عزَّ وجلَّ وملائكته وأنبيائه وخلقه، كيف يحل[1] لعاقل أَن يحسد وقد سمع قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ سورة الزخرف، آية 32. وقوله تعالى ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ سورة النساء، آية 54. وقول النبي (ﷺ) (الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب). وقول بعض العلماء بالله في الحسد[2] ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله والحاسد مُعاند، لله عزَّ وجلَّ، يُنازعه في فعله وفي خلقه وفي قسمته.

يا غلام. إني زاهد في كلامي وفيكم[3] وبما في بيوتكم من بضائعكم وأموالكم وهداياكم، فما دمت على هذا، تنتفعون من كلامي إِنْ شاء الله تعالى ما دام عين المتكلم في عمائمكم وقمصانكم وجيوبكم لا تنتفعون بكلامه، مادام يشرد[4] على دخانكم ويطمع فيكم، لا تنتفعون بكلامه، يكون كلامه قشراً لا لب فيه، عظماً بلا لحم عليه، مرارةً بلا حلاوة، صورةً بلا معنى، كلام الطامع لا يخلو من مداهنة[5] ولا تمكنه المخالفة من المحاققة[6]، الطامع فارغ كالطمع، لأن حروف الطمع كلها مجوفة الطاء والميم والعين.

---

(1) في الأصل يحل بعاقل.

(2) في الأصل في حسد. الحديث أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة.

(3) في الأصل فيه زيادة - وفي.

(4) في الأصل، مادام يشرد.

(5) كلمة غير مفهومة في الأصل.

(6) في الأصل المخالفة المماققة - والقصد هنا أخذ الحق.

يا عباد الله أصدقوا تفلحوا[1]، الصادق لا يرجع، الصادق في توحيد الله تعالى لا يرجع لقول نفسه وهواه وشيطانه، الصادق في محبته[2] لا يسمع العاذل[3]، ولا يدخلهم[4] في أذنه، الصادق في محبته الله ورسوله والصالحين من عباده، لا يرجع بقول منافق ممقوت مخذول، الصادق لا يعرف إلا الصادق، والكاذب لا يعرف إلا الكاذب. والصادق همّته عالية في السماء لا يعيقها قول قائل.

إن الله عزَّ وجلَّ غالب على أمره، إذا أرادك لأمر هيّأَكَ له. يا عالم لو كان عندك من ثمرة العلم وبركته لما سعيت إلى أبواب السلاطين، في حظوظ نفسك وشهواتها. العالم، لا رجلان له يسعى بهما إلى أبواب الخلق، والزاهد لا يدان له يأخذ بهما أموال الناس. والمحب لا عينان له ينظر بهما إلى غير محبوبه[5].

الصادق لو لقى الخلق كلهم ما حلَّ[6] له النظر إلى غير محبوبه. وما تكبر في عيني رأسه الدنيا وما تكبر في عيني رأسه الآخرة، وما يكبر في عين سره غير المولى.

زعاق المنافق من لسانه ورأسه وزعاق الصادق من قلبه وسره. قلبه على باب ربه عزَّ وجلَّ وسره داخل عليه، لا يزال يصرخ على الباب حتى يدخل الدار[7]، أنت كذاب والله، في جميع أحوالك، ما تعرف الطريق إلى باب الله عزَّ وجلَّ، كيف تدل عليه وأنت أعمى؟ كيف تقود غيرك وقد أعماك هواك وطبعك ومتابعتك لنفسك ومحبتك لدنياك ورئاستك وشهواتك.

ويلك تحب البقاء في الدنيا، وهو شيء لا يقع بيدك[8]. متى ما تقدم الصلاة

---

(1) في الأصل: ارتباك في العبارة.

(2) في الأصل لا توجد محبته، وإنما موجودة في هامش المخطوط.

(3) في الأصل: العدل.

(4) في الأصل: ولا يدخل.

(5) في الأصل: غيره المحبوب. ومحبوبه موجودة في الهامش.

(6) في الأصل: كل.

(7) في الأصل: النار.

(8) في الأصل: فلا شيء سقع.

على دكانك[1]؟ متى ما تقدم الخالق على الخلق؟ متى ما تقدم السائل على نفسك؟ متى ما تقدم أمر الله عزَّ وجلَّ، والانتهاء عن نهيه؟ وتقدم[2] الصبر على الآفات التي تأتي منه على هواك وعادتك. متى ما تقدم إجابته على إجابة[3] خلقه؟ كن عاقلاً. أنت في هوس باطل، بلا حق ظاهر بلا باطن، علانية بلا سر، تقدم إليَّ ما دامت[4] المعاصي على ظهرك قبل أَن تصل إلى قلبك، فتصير مصراً، ثم تشتغل بالإصرار[5] فتصير كافراً.

تدارك الأمر[6] واحفظ باليسير الكثير، تدارك ما دام الحبل طرفاه[7] في يدك.

قال النبي (ﷺ) (التائب من الذنب كمن لا ذنب عليه)[8] وإن عاد في اليوم سبعين مرة[9]، إذا سمعت من الرسول (ﷺ) وعملت بقوله وأحسنت العشرة معه، باتباعك أصحابه، قدم قلبك إلى ربك عزَّ وجلَّ واسمع كلامه وتحقق[10] في طاعة الله وعبوديته، على قدر سماع[11] كلام موسى صلوات الله على نبينا وعليه وعلى سائر النبيين الصلاة والسلام، جاء إلى قومه ومعه التوراة، فيها[12] الأمر والنهي قالوا له ما نقبل منك حتى نرى وجه الله ونسمع كلامه، فقال لهم إني ما أراني وجهه فكيف نريكم، فقالوا إذا لم ترنا وجهه ولم تُسمعنا كلامه، ما نقبل كلامه، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إلى موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام، قل لهم إن أرادوا أن يسمعوا كلامي فليصوموا ثلاثة أيام، فإذا كان اليوم الرابع فليتطهروا

(1) في الهامش: رباحك.
(2) إضافة وتقدم لما يقتضيه سياق الكلام.
(3) في الأصل: أجابته.
(4) في الأصل: ما دام.
(5) في الأصل: تشغل الإصرار.
(6) في الأصل: أحظ.
(7) في الأصل: لطيرفيه.
(8) سنده ضعيف. في ابن ماجه.
(9) الأصل: يعاد.
(10) في الأصل: من تحقق.
(11) في الأصل: قدر على سماع كلامه.
(12) في الأصل: فيه.

ويلبسوا ثياباً طاهرة، ثم آت بهم حتى يسمعوا كلامي، فأخبرهم موسى بذلك ففعلوا، ثم جاؤوا إلى الموضع الذي كان يناجي[1] ربه عزَّ وجلَّ من الجبل.

وكان قد اختار من قومه سبعين رجلاً من علمائهم وزهادهم...، فخاطبهم الحق عزَّ وجلَّ فصعقوا كلهم، وبقي موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام وحده، فقال يا رب أَمت خيار أمتي؟ وبكى[2]، فرحم الله بكاءه، فأحياهم الله، فقاموا على أرجلهم وقالوا يا موسى لا طاقة لنا على سماع كلام الله تعالى، فكن أَنت الواسطة بيننا وبينه، فكلم الله موسى وهو يُسمِعَهُم ويُعيد عليهم قوله، وإنما قدَر موسى على سماع كلام الله عزَّ وجلَّ لقوة إِيمانه، وتحقيق طاعته وعبوديته، ولم يقدروا أَن يسمعوا منه لضعف إِيمانهم، فلو قبلوا منه ما جاءهم به من التوراة وأطاعوه في الأمر والنهي، وتأدبوا ولم يجترئوا[3].. على ما قالوا لقدروا على سماع كلام الله عزَّ وجلَّ.

يا غلام: اجتهد في طاعة مولاك بكل جهدك. واجتهد أَن تعطى من حرَمَك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، واجتهد أن يكون بُنيتكَ[4] مع العباد وقلبك مع رب العباد، واجتهد أنك تصدق ولا تكذب، واجتهد أنك تخلص ولا تنافق كان لقمان الحكيم يقول: يا بني لا ترَ الناس....[5] ولأنك إن تلقَ الله عزَّ وجلَّ ستلقاه وقلبك فاجر.. ويلك لا تكن ذا وجهين وذا لسانين وذا فعلين[6] لفلان وفلان. إِني مُسَلط على كل كذاب منافق دجال، مُتَسلط على كل عاص لله عزَّ وجلَّ، وأكبرهم إبليس وأصغرهم الفاسق.

إني محارب كل ضال مُضل داع إلى الباطل.. مُستعين على ذلك بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(1) في الأصل: فيناجي.
(2) أمت بصفة سؤال.
(3) الأصل كلمة غير مناسبة (ويتحركوا).
(4) المعنى: البدن والجسد.
(5) تعمدنا وضع فراغ لفصل العبارتين.
(6) الأصل: فعلان.

النفاق قد ثبت[1] في قلبك، تحتاج إلى الإسلام والتوبة وقطع الزنار[2]. كُن عاقلاً وسوف ترى، إذا انجلى عنك الغبار ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾ ﴾ سورة، ص،آية 88. من سمع كلامي وعمل به وأخلص فيه، صار من المقربين لأَنه كلام لب لا قشر فيه.

ويلكم تَدعون محبة الله وتقبلون بقلوبكم إلى غيره. لما صدق مجنون ليلى في محبتها، وما كان قلبه يقبل غير ليلى. أَقبل يوماً على قوم فقالوا من أَين جئت؟

قال: من عند ليلى. فقالوا: أين تمضي؟ فقال: إلى ليلى.

إذا صدق القلب في محبة الله عزَّ وجلَّ صار كموسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام، حيث قال الله عزّ وجلَّ ﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ ﴾ سورة القصص، آية 12. لا تكذب فما لك قلبان، بل هو قلب واحد، بأي شيء امتلأَ، فلا يسمع شيئاً آخر. قال الله تعالى ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ سورة الأحزاب، آية 4. قلب يحب الخالق وقلب يحب الخلق، لا يصح قلب تكون فيه الدنيا والآخرة. الجاهل بالله يُرائى وينافق، والعالم به لا يفعل ذلك. الأحمق يعصي الله عزَّ وجلَّ والعاقل يطيعه، والمُبغض يعصيه والمُحب يطيعه، والحريص[3] على جمع الدنيا يرائي وينافق والقصير قصير الأمل[4] لا يفعل ذلك.

الناسي للموت يُرائي والذاكر له لا يُرائي، والغافل[5] يرائي والمستيقظ[6] لا يرائي.

أولياء الله عزَّ وجلَّ لهم مُنَّبه ينبههم ومُعلم يُعلمهم، والحق يهيئ لهم أسباب التعلم. قال النبي (ﷺ) (لو أن المؤمن على جلة جبل قيض الله تعالى له

(1) في الهامش: نبت.

(2) الزنار: حزام يشد به الصليب من شعائر النصارى.

(3) الحرص: حديث (يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنان: الحرص والأمل) الحرص على الدنيا.

(4) قصير الأمل: عكس الحرص، بسبب إيمانه.

(5) الغفلة: من غفل قلبه عن الله عزَّ وجلَّ.

(6) المستيقظ: الذاكر لله تعالى.

عالماً يعلمه) لا تستعير كلمات الله الصالحات....[1]، وتَدعيها لِنفسك التكلم بالعارية[2] لا يخفى، اكتسب من مالك لا من العارية. ازرع القطن بيدك واسقه بيدك، ورَبِهِ بجهدك ثم انسجهُ وخيطه، والبسه، لا تفرح بمال غيرك وثياب غيرك، إذا أخذت كلام غيرك فتكلمت به وادعيته، مقتتك قلوب الصالحين، إذا لم يكن به لك فعل، فلا قول لك، ظاهر الأمر معلق بالعمل، قال الله تعالى ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ سورة النحل، آية 32. المؤمن لا يُتعب الملائكة بكثرة الكلام في الهوس وفيما لا يعنيه، بل قلبه يخشى الحق عزَّ وجلَّ، فلا جرم تخشاه جوارحه ليخرس لسانه، فيخرس لسان قلبه، ليخمد قلبه من هيبته فتخمد جوارحه[3]. تكون الملائكة في راحة ودعة.

يا غلام: لك ذنوب مزدحمة بعضها فوق بعض على عاقبة مبهمة، مشكلة غير مبينة هي إما لك وإما عليك. انتبه للموت ليس لك عن موتك فوت، دع ما أنت فيه، من القيل والقال، والاشتغال بما لا يعنيك. قَصِّرْ أملك وقلل حرصك، فأنت ميت عن قريب، وربما كان موتك وأنت قاعد ههنا، قد جئت برجليك وتحمل إلى بيتك على جنازة[4]. المؤمن شفى[5] من نفسه، إذا جاءتها الأذية يقول لها وعظتك فلم تتعظي من هذا، حذرتك يا جاهلة يا كافرة يا عدوة الله. كل من لا يُحاسب نفسه ويُحاققها[6] ويعظها لا يفلح. قال النبي (ﷺ) (من لم يكن له واعظ من نفسه لم ينفعه وعظ واعظ).

من أراد الفلاح فليعظْ نفسه ويزهدها ويجاهدْها. الزهد هو الترك للمحرمات

---

(1) العبارة بها خلل في أصل المخطوطة.

(2) العارية: اسم من الإعارة وأيضاً تمليك المنفعة بلا بدل. للدلالة على أخذ الأشياء دون تعب ودون مقابل. انظر: الكليات: ص652.

(3) العبارة هنا مرتبكة في أصل المخطوطة: وفي هامش على المخطوطة كُتب (لسان قلبه فيخرس لسان فيه).

(4) هذه العبارة فيها دلالة على أن الكلام يجري في مجلس وعظ، ويخاطب سيدنا عبدالقادر الكيلاني (قدس سره) الحضور بكلمة (ههنا) وبكلمة (تحمل إلى بيتك).

(5) الأصل: ليسعى.

(6) يحاققها: يطلبها بالحق.

ثم ترك الشبهات ثم ترك المباحات ثم ترك الحلال المطلق في جميع الحالات، حتى لا يبقى متروك في الجملة، حقيقة الزهد ترك الدنيا وترك الآخرة وترك الشهوات واللذات وترك الوجود وترك طلب الحالات والدرجات والكرامات والمقامات وكل شيء، سوى رب البريات، حتى لا يبقى إلا الخالق عزَّ وجلَّ، إليه المنتهى وهو غاية الأمل، وإليه تصير الأمور.

من المتكلمين[1]، منهم من يتكلم عن قلبه، ومنهم من يتكلم عن نفسه وهواه وشيطانه، وعادة المؤمن يتفكر ثم يتكلم، والمنافق يتكلم ثم يفكر، لسان المؤمن وراء عقله وقلبه، ولسان المنافق أمام عقله وقلبه.

اللهم اجعلنا من المؤمنين ولا تجعلنا من المنافقين، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار[2].

---

(1) لا تحمل العبارة (من المتكلمين) على أنهم أصحاب الكلام مثل المعتزلة.

(2) هذا الدعاء لازمة لسيدنا عبدالقادر الكيلاني (قدس سره) في نهاية كل مجلس وعظ. وكون المخطوطة لا تؤشر بداية ونهاية كل مجلس. لذا نرجح أن تكون هذه نهاية هذا المجلس.

مجلس «الكتاب والسنَّة»

(إنما يتبين لك علم الله فيك إذا رجعت إليه بكل قلبك وهمك)

العمل بالكتاب والسنَّة، الصّديق، البُدعي، المنافق، أَلكن القلب واللسان، جمع الطهارتين، علم الله، القناعة.

الكتاب والسنّة

القلب إذا عمل بالكتاب والسنَّة قرب[1]، فإذا قرب علم وأبصر ما له وما عليه وما لله عزَّ وجلَّ وما لغيره وما للحق وما للباطل.

إذا كان للمؤمن نور ينظر به، كيف لا يكون للصّديق المقرب؟ المؤمن له نور ينظر به ولهذا حَذَّر الرسول من نظره، فقال رسول الله (ﷺ) (اتقوا من فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى). والعارف المقرب أيضاً يُعطى نوراً يرى فيه قربه من ربه عزَّ وجلَّ، ويرى قرب ربه عزَّ وجلَّ من قلبه، فيرى أرواح الملائكة وأرواح النبيين، وقلوب الصّديقين وأرواحهم، ويرى أحوالهم ومقاماتهم كل هذا في سويداء قلبه وصفاء سريرته، وهو أبداً في فرحة مع ربه[2]، وهو واسطة يأخذ منه ويُفرق على الخلق، منهم من يكون عليم اللسان والقلب، ومنهم من يكون عليم القلب ألكنُ[3] اللسان، وأما المنافق فهو عليم اللسان ألكنُ القلب[4]، كل علمه في لسانه ولهذا قال النبي (ﷺ) (أخوف ما أخاف على أمتي منافق عليم اللسان).

يا غلام: يا غلام إذا دخلت عندي، فاطوِ عملك ورؤية نفسك، ادخل بلا شيء مفلساً، إذا جئت وأنت[5] ترى عملك ونفسك عجبت، من[6] هذا الذي أشير إليه.

---

(1) القرب من الله سبحانه وتعالى.

(2) يقصد الأنس بالله سبحانه وتعالى.

(3) أَلكن: من الُّلكنة: وهي العيُّ في اللسان. ورجلٌ ألكنُ وامرأةٌ لكناء، معجم مقاييس اللغة، ص925.

(4) ألكنُ القلب: قلبه لا يفقه شيئاً. عليه غين.

(5) في الأصل: وكنت أنت.

(6) في الأصل: عن

وتبغضني لأني أقول الحق وأخالفك، ما يبغضني إلا عدو الله، وما يجهلني إلا جاهل بالله عزَّ وجلَّ. كثير القول قليل العمل، وما يحبني إلا عالم بالله عزَّ وجلَّ، كثير العمل قليل القول، المُخلص يُحبني والمنافق يبغضني، السنّي يحبني والبُدعي يبغضني[1].

إن أحببتني، فنفع ذلك كله عائد اليك، وإن أبغضتني فضرر ذلك عائد إليك. ما أنا واقف مع مدح الخلق وذمهم، وليس على وجه الأرض أحدٌ أَخاف منه، ولا أَرجوه لا من الجن ولا من الإنس ولا من الحيوانات والحشرات، ولا من جميع المخلوقات، لا أخاف إلا من الله عزَّ وجلَّ، كلما أمنني ازددت من الخوف. لأنه فعال لما يريد، ولا يُسأل عما يعمل. وهم يسألون.

يا غلام: لا تشتغل بغسل ثياب بدنك. وتترك ثياب قلبك وسخة. اغسل القلب أولاً، ثم اغسل الثياب ثانياً، اجمع بين الغسيلين والطهارتين، اغسل ثيابك من الوسخ، واغسل قلبك من الذنوب، لا تغتر بشيء، فإن ربك فعال لما يريد، ولهذا حُكي عن بعض الصالحين، أنه زار أخاً له في الله عزَّ وجلَّ فقال: يا أخي تعال حتى نبكي على علم الله عزَّ وجلَّ[2]، وقد سمع قول النبي (ﷺ): ليعمل أحدكم عمل أهل الجنة، حتى لا يبقى بينه وبينها إلا ذراع أو باع[3].

يا غلام: إنما يتبين لك علم الله فيك، إذا رجعت إليه بكل قلبك وهمك، ولازمت باب رحمته، وجعلت بينك وبين الشهوات سداً من حديد، وتجعل القبر والموت نصب عيني رأسك وقلبك، وتراقب نظرات الحق عزَّ وجلَّ إليك وعلمه بك، وحضوره عندك، وتستغني بالفقر، وترضى بالافلاس، وتقنع بالقليل مع حفظ الحدود وهي امتثال الأمر، والانتهاء عن النهي، والصبر على ما يرد عليك من القدر، فإذا قمت على هذا، لقى قلبك ربك ودخل عليه سرك[4]، فحينئذ تنكشف الأشياء لك، ترى بعين اليقين[5].

---

(1) سيدنا عبدالقادر: طريقتنا اتباع وليس ابتداعاً.

(2) في نسخة: التكملة: فينا ما أحسن ما قال هذا الصالح، قد كان عارفاً بالله عزّ وجلَّ.

(3) الحديث.

(4) في الأصل: لقيت ربك ودخلت عليه بسرك، والتصحيح من هامش على أصل المخطوطة.

(5) بعين العين، والسياق يقتضي (عين اليقين) وهو مصطلح صوفي. علم اليقين، =

إذا خرج من قلب العبد الخلق، ولم يبق فيه سوى الحق عزَّ وجلَّ يراه ويقربه كما يشاء.. وقد يجذب قلبه إليه يعظه.. يغمض عيني وجوده... فسيراه بعينه على ما هو عليه من حيث الظاهر، ويعطيه معنى آخر فيراه به يرى صفاته، يرى كراماته وفضله وإحسانه والظفر به، ويرى ابره وكنفه، من تحققت عبوديته لا يقول أرني ولا ترني، وأعطني ولا تعطني، يصير فانياً مستغرقاً، ولهذا كان يقول بعض الصالحين من وصل إلى هذا المقام، أنا عبده وليس للعبد مع السيد اختيار ولا إرادة.

اشترى رجل مملوكاً، وكان ذلك المملوك من أهل الدين والصلاح، فقال: يا مملوك؟ أيش تريد تأكل؟.. فقال له: ما تطعمني، فقال: ما الذي تريد أن تلبس؟ فقال: ما تلبسني. فقال أين تريد أن تقعد من داري؟ فقال: موضعاً تقعدني. فقال: ما تحب أن تصنع من الأشغال؟ فقال: ما تأمرني. فبكى الرجل وقال طوبى لك[1]، لو كنت مع ربي عزَّ وجلَّ كما أنت معي. فقال المملوك: يا سيدي وهل للعبد مع سيده إرادة واختيار. فقال: أنت حر لوجه الله. وأريد أن تقعد عندي حتى أخدمك بنفسي ومالي.

كل من عرف الله لا يبقى له إرادة ولا اختيار، ويقول أيش عليَّ مني؟ لا يزاحم القدر في أموره، ولا في أمور غيره[2].

اسمعوا يا معترضين يا منازعين يا مُسيئين الأدب، اسمعوا مني، فإني من مبادئ أُمة الأنبياء، من جملة أتباعهم وسما سيرهم، إني أحكم على الكتاب والسنَّة، ثم على قلب كل من له قلب مقرب من الله عزَّ وجلَّ.

آحاداً أفراداً من عباد الله تعالى، يزهدون في الخلق ويستأنسون بقراءة القرآن، وبقراءة كلام الرسول (ﷺ)، فلا جرم تصير لهم قلوب مستأنسة بالحق عزَّ وجلَّ، قريبة منه، يَرون بها نفوسهم وغيرهم، نفح قلوبهم، فلا يخفى عليهم شيء مما أنتم عليه، يتكلمون على خواطركم[3] ويخبرونكم بما في بيوتكم.

=

عين اليقين، حق اليقين.

(1) في الأصل: ليَّ.

(2) لا يزاحم القدر: أي لا يعترض عليه.

(3) عرف سيدنا عبدالقادر الكيلاني، بأنه كان يتكلم على الخواطر، وهو نوع من الكشف.

ويحك كن عاقلاً، لا تزاحم القوم بجهلك، بعدما خرجت من الكتب صعدت تتكلم على الناس، بعد سواد المداد في ثيابك ويدك، وترقيت لتتكلم على الناس، هذا أمر يحتاج إلى إحكام الظاهر وإحكام الباطن، ثم الفناء عن الكل[1].

---

(1) إحكام الظاهر: إحكام الشريعة، وإحكام الباطن: إحكام الحقيقة على الباطن. الفناء عن الكل: الفناء في الله وترك ما عداه.

مجلس «الصوفي»

(الصوفي من صفا باطنه وظاهره)

متابعة النبي (ﷺ)، القلب، التوبة، الذكر

يا غلام: تعلق بقلبك إلى رحمة ربك، فإذا جاءك إبليس، حتى يُغرك ويُبدلك، فاستغث بالله حتى يرده عنك، استغث به كما أستغاث به من قبلك، أحسن عملك. فأحسن الظن بربك عزَّ وجلَّ. حُسن الظن به مع طاعته يعمل معك أشياء كثيرة، حُسن الظن بالله عزَّ وجلَّ وبأنبيائه ورسله والصالحين من عباده فيه خير كثير. ويلك تدعى أنك صوفي وأنت كدر. والصوفي من صفا باطنه وظاهره، بمتابعة كتاب الله وسنَّة رسول الله (ﷺ). فكلما ازداد صفاؤه خرج من بحر وجوده، وترك إرادته واختياره ومشيئته. من صفا كان النبي (ﷺ) سفيراً بينه وبين ربه عزَّ وجلَّ، كما كان جبرئيل. أساس الخير متابعة النبي (ﷺ) في قوله وفعله. كلما صفا قلب العبد، رأى النبي (ﷺ) في منامه يأمرهُ بشيء وينهاه عن شيء، يصير كله قلباً، وينعزل بنيّة، يصير سراً بلا جهر، صفاءً بلا كدر، أخرج الكل من القلب، قلع الجبال الرواسي يحتاج إلى معاول المجاهدات، والصبر على المكابدات وعند نزول الآفات. لا تطلبوا ما لا يقع في أيديكم، طوبى لكم عملتم بهذا السواد على البياض وكنتم مسلمين، طوبى لكم عملتم بهذا السواد ليوم القيامة، تكونون في زمرة المسلمين، ولا تكونوا في زمرة الكافرين، يقولون طوبى نقعد في أرض الجنة وعلى بابها، ولا نكون من أصحاب الدركات.

تواضعوا ولا تستكبروا، التواضع يرفع والتكبر يضع، قال النبي (ﷺ)من تواضع لله رفعه الله عزَّ وجلَّ، لله عباد يعملون من الخيرات أعمالاً كالجبال، كأعمال من تقدم، وهم يتواضعون لله عزَّ وجلَّ، ويقولون ما لنا عمل يدخلنا الجنة، فإن دخلنا فبرحمة الله عزَّ وجلّ. وإن لم يدخلنا فبعدله لا يزالون وقوفاً معه، على قدم الإفلاس. توبوا واعترفوا بتقصيركم، التوبة حياة، الحق عزَّ وجلَّ يُحيي الأرض بعد موتها بالغيث، ويحيي القلوب بعد موتها بالتوبة واليقظة.

يا عصاة توبوا ولا تقنطوا من رحمة الله عزَّ وجلَّ. ولا تيأسوا من رَوحه.

يا موتى القلوب داوموا على ذكر ربكم عزَّ وجلَّ، وتلاوة كتابه وسنَّة رسوله، وحضور مجالس الذكر، لتحيا قلوبكم كما تحيا الأرض الميتة بنزول الغيث عليها. دوام الذكر سبب لدوام الخير في الدنيا والآخرة. إذا صح القلب، الذكر دائما فيه. يكتب في جوانبه وعلى جملته فتنام عيناه وقلبه ذاكراً لربه عزَّ وجلَّ، يرث ذلك من نبيه محمد (ﷺ)، كان لبعض الصالحين رحمه الله تعالى مسبحة يُسبح فيها، ففي بعض الليالي كان يُسبح فيها فنام وهي في يده، فانتبه وهي تدور في يده من غير أن يديرها ولسانه يُسبح.

القوم[1] ينامون غلبَة سِنَة، ومنهم من يتكلف النوم ساعة من الليل حتى يستعين به على سهر يعينه، يعطي النفس بعض حقها حتى تسكن ولا تؤذيه، وكان بعض الصالحين يتكلف النوم في بعض الليالي، يتهيأ له من غير حاجة إليه، فسئِل عن ذلك فقال: يرى قلبي ربي عزَّ وجلَّ. صدقَ في قوله لأن المنام الصادق وحي من الله عزَّ وجلَّ. كانت قرة عينيه في نومه، المقرب من الله عزَّ وجلَّ له ملائكة موكلون، في جميع أوقاته إن نام قعدوا عند رأسه وعند رجليه يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، والشيطان ناحيته لا يجسر يقربه، ينام في حفظ الله تعالى وينتبه في حفظه، يتحرك ويسكن في حفظ الله تعالى.

اللهم اجعلنا في حفظك في جميع الأحوال، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

---

(1) القوم: يعني الصوفية.

مجلس «الزهد»

(ثقل الزهد على البُنية، وثقل المعرفة على القلب، وثقل القرب على السر)

(الحمية رأس الدواء، والبطنة رأس الداء)

عن النبي (ﷺ) قال: من حُسن إسلام المرء ترك ما لا يَعنيه.

الاشتغال بما لا يعنيه، شغل البطالين المهووسين، المحروم من رضى مولاه، من عمل بما لا يؤمر به[1]. فهذا الحرمان، والمقت بعينه[2]، والطرد بعينه.

ويحك امتثل الأمر وانته عن النهي، ووافق الموافقات، ثم سلم نفسك القدر، بلا لم؟ ولا كيف؟ نظر الله عزَّ وجلَّ لك مع علمه بك خير من نظرك لنفسك مع جهلك بربك. اقنع بعطائه، واشتغل بالشكر له، ولا تطلب منه الزيادة. فإنك لا تدري خيرته[3] في أي شيء هي.

الزهد[4] راحة لقلوب الزاهدين الطائعين، ثقل الزهد على البنية، وثقل المعرفة على القلب، وثقل القرب على السر. ازهد واقنع واشكر وارض عن ربك عزَّ وجلَّ، ولا ترض عن نفسك. أحسن الظن بغيرك، واترك الأسى بغيرك، ولا تحسن الظن بنفسك، اترك الشهوات، فتركها فيه الشفاء، وصفاء القلب.

الشبع من الحلال يعمي القلب ويسكره، فكيف من الحرام؟ ولهذا قال النبي (ﷺ) الحمية رأس الدواء والبطنة رأس الداء وكل جسد ما اعتاد.

---

(1) ارتباك في العبارة. والتصحيح من الهامش.

(2) تعريف المقت عند الصوفية: هو من باب العار العظيم، كون الإنسان يقول ما لا يفعل، المشار إليه بقوله "كبر مقتاً" سورة غافر، الآية 35. انظر القاشاني، لطائف الاعلام.

(3) خيرته: اختياره لك.

(4) الزهد في الحرام واجب، وفي الحلال فضيلة. وعرفوا الزهد: الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد: والزهد: هو قصر الأمل. والزهد: هو الثقة بالله تعالى، وترك ما يشغل عن الله سبحانه وتعالى. انظر القشيري: الرسالة القشيرية. ص216.

فقد جمع النبي(ﷺ)، علم الأبدان في هذه الكلمات الثلاث. البطنة[1] تطفئ نور الفطنة ومصباح الحكمة ونور الولاية. مادمت مع الدنيا والخلق فعليك بالحمية، لأنك في مارستان[2]، فإذا وصل قلبك إلى الحق كان الأمر إليه، يتولاك هو، وأنت في معزل عنه، كيف لا يتولاك؟ وقد صلحت له، قال عزّ من قائل ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦ ﴾ سورة الاعراف، الآية 196.

---

(1) البطنة: الشبع والتخمة.

(2) المارستان، المستشفى.

مجلس «نسب التقوى»

(ياصاحب النسب، انس نسبك وتعال، النسب الصحيح نسب التقوى)

التقوى، التواضع، الصبر، النفس، التسويف، الموت.

يا غلام: لا تنزعج لمجيء القدر فإن القدر لا يرده رادّ ولا يصده صادّ، كل مقضي كائن رضي من رضي، وسخط من سخط، اشتغالك بالدنيا يحتاج إلى نية صالحة، وإلا فأنت ممقوت، قُل في جميع أمورك لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اجعل ساعة للدنيا وساعة للآخرة وساعة لنفسك وساعة لأهلك، وباقي الساعات لربك.

اشتغل بطهارة قلبك أولاً، فإنه فريضة ثم تَعَرض للمعرفة، فإن ضيعت الأصل[1] فلا يقبل الاشتغال بالفرع. ما تنفع طهارة الجوارح مع نجاسة القلب، طهر جوارحك بالسنَّة وقلبك بالعمل بالقرآن. احفظ قلبك[2] حتى تحفظ جوارحك، كل إناء ينضح بما فيه، أي شيء كان في قلبك[3] ينضح منك على جوارحك.

يا غلام: تواضع، فكلما تواضعت ظهرت ورُفعت وكبرت، وإذا لم تتواضع فأنت جاهل بالله عزَّ وجلَّ وبرسله وأوليائه وبحكمه وبقدرته وبقدره، وبدنياه وأخراه. كم تسمع ولا تفهم ولا تعقل ولا تعمل، وتعمل ولا تخلص، وجودك وعدمك سواء. إذا كنت تجيء عندي ولا تعمل بقولي، فلماذا تجيء[4]، تضيق على الحاضرين مجالسهم[5]؟

يا غلام: ماتزال قاعداً في دُكانك متقلباً في خراب بيتك، فإذا جئت إلى هنا، تجئ فرجة، لتسمع كأنك ما سمعت، يا صاحب المال، انس مالك وتعال اقعد بين

---

(1) أكملت العبارة من هامش على المخطوط.

(2) كذلك.

(3) كذلك. في الأصل (أي شيء فيك).

(4) جرى اكمال العبارة من هامش على المخطوط.

(5) هذه العبارة توضح الازدحام الذي كان في المجلس. وصفته بعض المصادر بعشرات الألوف يتكدسون في مجلسه وخاصة عند رباطه قرب سور بغداد. ومجلسه الآخر في المدرسة.

الفقراء، وذل لله ولهم، يا صاحب النسب، انس نسبك وتعال، النسب الصحيح نسب التقوى.

قيل للنبي (ﷺ) من آلك يا محمد؟ قال (ﷺ) كل تقي من آل محمد (ﷺ).

لا تأتِ باقدام نسبك، بل آتني بأقدام تقواك، كن عاقلاً بما يقع بيدك، ما عند الله بمجرد النسب فحسب، بل متى يصح لك نسب التقوى.

قال عزَّ من قال ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ سورة الحجرات، آية 13.

لا خير فيك يا صبي ويا شاب ويا شيخ ويا مريد، إذا تُصفي نعمتك من الحرام، الأكثر منكم، بل الأعم يأكلون مأكولاً مشوباً حراماً صريحاً، من أكل الحرام اسود قلبه.

ومن أكل الشبهات تكدر قلبه، أهل النفوس، كعلماء السوء يُهوِّنون عليكم أكل الحرام، النفس والهوى يتشاركان في طلب الشهوات واللذات، ولا يتورعان في تحصيلهما، إذا كنت تطعم نفسك الخشكار[1]، وتطلب منك خبز السميد[2]، فأطعمها خبز الشعير، حتى تكون كل أُمنيتها، تعيدها إلى الخشكار.

النفس إذا كانت لا تتورع في مأكولها فمثلها كمثل الدجاجة التي ترعى على المزابل، فتنال من النجس والطاهر، فمن أراد أكل شيء منه ومن بيضه، فليحبسها ويطعمها الطاهر، ثم يأكل، احبس نفسك عن أكل الحرام وأطعمها الحلال الطاهر حتى يزول لحمها الذي تربى على الحرام. جنبها أكل الحرام والشهد، ثم جنبها الحلال بالهوى.

إذا قيل للواحد منكم أتحب أن تموت على هذا العمل الذي تعمله، فيقول لا، فإذا قيل: تُب وأحسن العمل، فيقول إن وفقني الله عزَّ وجلَّ، يحتج بالقدر في توبته، ولا يحتج به في شهواته ولذاته، بينما هو قائم على قدم التسويف[3] وبين لا ونعم.

---

(1) الخُشكار: هو الدقيق الذي لم يطحن طحناً جيداً. والعامة تقول (الخِشكار) كما جاء في (محيط المحيط) أو هو: ما خَشُن من الطحين.

المصدر (تكملة المعاجم العربية/ دوزي). نقله إلى العربية د. محمد سليم النعيمي 102/4.

(2) السميد (السميذ): عند العامة (البرغل) وهو بالذال أفصح، وهو (الحواري) يصنع منه الخبز، المصدر السابق: 140/6. 141.

(3) التسويف والمسوفون: الذين يؤجلون توبتهم ويماطلون في الرجوع عن ذنوبهم.

فإذا جاءه الموت فحتفه، وهو في طيب عيشته ونعمته، يأخذه من ولايته وعزّه، ويأخذه من دكانه وربحه، يفاجئه الموت ووصيته غير مكتوبة، وحسابه غير محرر، وآماله طويلة[1] عريضة. وأزال فرحهم وأدام حزنهم كل من عرف الله عزَّ وجلَّ. يكثر حزنه وخوفه، يصير له محدثاً يحدثه وشغلاً يشغله. يتمنى أن لا يسمع كلام أحد من الخلق، وأن لا يلقي أحداً، يتمنى أن يتخلص من أمله، وماله تمني، وإن تنقل أقسامه إلى غيره، يتمنى تغيير طبعه وخلقته إلى خلقة الملك. كلما أراد الخلاص من جميع ذلك حجر الحكم عليه، وقيده القدر، وجاءه بتوقيع السابقة والعلم[2]. فيحرص ليله ونهاره. فيستقبل إلى ربه عزَّ وجلَّ من الدنيا، ثم تغلب عليه معرفته له فيحرسه ظاهراً وباطناً.

كان الفتح الموصلي[3] رحمه الله تعالى يقول في مناجاته لربه تعالى: إلهي إلى متى تحبسني في الدنيا، متى تنقلني إليك حتى أستريح من الدنيا والخلق.

ما مثلك إلا كما قال نوح على نبينا وعلى سائر النبيين الصلاة والسلام. يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين، فقال: سآوي إلى جبل يعصمني من الماء - الواعظ لك هلم اركب معي في سفينة النجاة، وأنت تقول: سآوي إلى جبل يعصمني من الماء. جبلك طول أملك وحرصك على الدنيا. عن قريب يجيء إليك ملك الموت، فيغرقك في جبلك اقبلوا مني يا عباد الله، اخرجوا من بيوت جهلكم، وقد بنيتم حيطان أديانكم على غير أساس، قد جبرتم كسره على غير قاعدة، يحتاج إلى قلع وجبر. فإن الدنيا في قلوبكم، والمعاصي في قلوبكم. مكنوني منكم، حتى أطهركم وأُنظفكم، بشربات، أسقيكم إياها، أسقيكم الورع والزهد والتقوى والإيمان

(1) الأمل الطويل، المتعلق بالدنيا.

(2) السابقة والعلم: ما كان في علم الله من قدر وأقسام للعباد في السابق.

(3) الفتح الموصلي: هو فتح بن سعيد الموصلي: من أكابر الأولياء، وأعاظم الأصفياء، وقيل كان يبكي فينحدر الدمُ من عيونه، وله كرامات. من أقواله: من أدام النظر بقلبه أورثه ذلك الفرح بالمحبوب، ومن آثره على هواه أورثه ذلك حبه إياه. ومن اشتاق إليه وزهد فيما سواه، ورعى حقه وخافهُ بالغيب أورثه ذلك النظر، إلى وجهه الكريم. مات سنة عشرين ومئتين. صحب السّري السقطي. وأبا عبدالله بن الجلاء. وترجمته في الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية. للمناوي، ج1، ص403- 404.

والإيقان والمعرفة والعلم، ونسيان الكل، والفناء عن الكل. فحينئذ يجيئكم وجودكم بربكم عزَّ وجلَّ. والقرب منه والذكر له، من صح له هذا صار شمساً للخلق وقمراً لهم وليلاً لهم. آخذاً بأيديهم يعبرهم من شط الدنيا إلى ساحل الآخرة.

قال النبي (ﷺ): استعينوا على كل صنعة بصالحي أهلها.

ويلك تستغني برأيك، وتقول ماذا أعمل عند الفقهاء والعلماء. تظن أنك خلقت للكسب والأكل والشرب والنكاح فحسب.

تُب وارجع قبل أن يأتيك ملك الموت، على نبينا وعلى سائر النبيين والملائكة الصلاة والسلام، يأخذك وأنت على شر العمل، كل واحد يخاطب منكم، بالأمر والنهي والصبر على ما يأتي به القدر. واصبروا على أذية الخلق والجيران. فإن في الصبر خيراً كثيراً، كلكم مأمورون بالصبر، مسؤولون عنكم وعن رعاياكم.

قال النبي (ﷺ): كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.

اصبروا على الأمر بالقدر، حتى ينقلب الشقاء نعيماً، والسماع يقيناً. والصبر أساس الخير. الملائكة ابتلوا فصبروا، والأنبياء ابتلوا فصبروا، والصالحون ابتلوا فصبروا. وأنتم أثر القوم، فافعلوا كفعلهم، واصبروا كصبرهم. القلب إذا صح لا يبالي بمن خالفه، ومن وافقه ومن حمده، ومن ذمه، ومن أعطاه ومن منعه ومن قربه ومن أبعده ومن قبله أورده. لأن القلب الصحيح يمتلئ توحيداً وتوكلاً ويقيناً وتوفيقاً وإيماناً، ومن الله عزَّ وجلَّ قُرباً. يرى الخلق كلهم بعين العجز والذل والفقر، ومع ذلك لا يتكبر على طفل، طفل صغير، ومنهم يصير كالسبع وقت لقاء الكفار والمنافقين والعصاة، غيرته لله تعالى، ويتواضع ويذل للصالحين المتقين الورعين. وقد وصف الله القوم الذين هم بهذه الصفات، فقال عزّ من قال ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ سورة الفتح، آية 29.

إذا صح هذا العبد صار من وراء عقول الخلق، من وراء مأمورهم، ويظهر للخلق من قبل قوله عزَّ وجلَّ ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة النحل، آية 8.

كل هذا ثمرة التوحيد والاخلاص والصبر، نبينا محمد (ﷺ)، لما صبر رفع إلى السماء السابعة ورأى ربه عزَّ وجلَّ وقربه، وصح له هذا النبأ، بعد إحكام أساس الصبر، الخيرات كلها تحت أقدام الصبر، ولهذا كرر الله عزَّ وجلَّ ذكره وأكد أجره

فقال عزَّ من قائل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ سورة آل عمران، آية200.

اللهم اجعلنا من الصابرين التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين قولاً وفعلاً، وخلوة وجلوة، وصورة ومعنى في جميع أحوالنا، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

مجلس «المريد والمراد»

(المريد تحت ظلال توبته والمراد تحت ظلال عنايته)

(محمد (ﷺ) مراد وموسى (عليه السلام) مريد)

العمل. القيامة، الله متكلم، القلب، الصبر. الحكم والعلم. الخلوة

المريد تحت ظلال توبته والمراد قائم تحت ظلال عناية ربه عزَّ وجلَّ، المريد سائر والمراد طائر، المريد على الباب والمراد من وراء الباب في مخدع القرب، لما اجتهد المريد في العمل صار مراداً طالب القرب من غير عمل.. إنما يبنى الأمر على الأغلب لا على النادر.

موسى على نبينا وعليه وعلى سائر النبيين الصلاة والسلام، متى قُرب؟ أليس بعد مقاساته للشدائد والمجاهدات، لما خرج من دار فرعون هارباً، وقاسى رعي الغنم سنين، بعد ذلك رأى ما رأى، بعدُكم.. فكم.. حتى قرب؟.. لما قاسى الجوع والعطش والغربة، وظهر جوهره، ورحمته لبنات شعيب جاءه الخير بسبب قوته على الخدمة، لأنه كان جائعاً، قد عمل فيه الجوع، فلما سقى غنماً، أفرده الحياء تحت الشجرة ومنعه من طلب الأجرة على عمل السابقة، شدته صيانته وصفته ونظرات الحق عزَّ وجلَّ، وأنطقته بالسؤال لربه عزَّ وجلَّ حتى.. إذا جاءت ابنة شعيب خلفه، فحملته إليه فسأله شعيب عن حاله، فأخبره بقصته جميعها، فقال لا تخف نجوت من القوم الظالمين، ثم زوجه ابنته واستأجره لرعي الغنم. فنسى ملك فرعون ودلاله الذي كان فيه، لبس لبس الرعاة، وكان في الليل والنهار مع الغنم، يقعد مع من لا ينطق في البرية والقفر. تعلم الزهد والخلوة، فتطهر قلبه، واستحكم أمره في تلك السنين، ذهب ملك فرعون من قلبه وخرجت الدنيا بجميع ما فيها من سرّه، فلما قضى موسى الأجل الذي كان بينه وبين شعيب على نبينا وعليه الصلاة والسلام، عُتق من العهد الذي كان عليه، وبقى عهد الله عزَّ وجلَّ وحقه على قلبه، فلما ودعه وأخذ زوجته وسار ثلاثة فراسخ من المدائن، فأدركه الليل وكانت زوجته حاملاً. فضربها الطلق، فطلبت منه ضوءً تستضيء به، فأخذ الزند ليقدح فلم يخرج منه

شيء، وأعتم عليه الليل واشتد ظلامه، فجاءته الحيرة من كل جانب وضاقت الدنيا برحبها عليه، وبقي غريباً وحيداً في طريق لا يعرفها وامرأته في ذلك الكرب الذي هي فيه. فوقف على علو من الأرض ينظر يميناً ووراءً وقداماً حتى يسمع حساً أو صوتاً أو يرى ناراً، فرأى من جانب الطور ناراً. فقال لامرأته اسكني رأيت ناراً فلعلي آتيك منها بشيء، وأستعلم من أهلها خير الطريق، فلما أتاها نُودي، لما قرب منها وأراد أن يأخذ منها شعلة، انقلب الأمر، وذهبت العادة وبقيت الحقيقة. نسى الأهل ومصالحهم، وجاء إلى زوجته من أكرمها وهيأ لها أمورها وجاءها بما يصلحها، فناداه مناد، مخاطبة مخاطب، كلمة متكلم، وهو الحق عزَّ وجلَّ، بلا واسطة من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة. قال يا موسى إني أنا الله ربُّ العالمين، بقوله أنا الله، أي لست بملك ولا جني ولا إنسي، بل رب العالمين، أي كذب فرعون في قوله أنا ربكم الأعلى في ادعاء الألوهية دوني، أنا الله فقط، فرعون وغيره من الخلق من الجن والإنس والملك وجميع المخلوقات، من تحت العرش إلى تحت الثرى، عالم زمانك وعالم ما يأتي من بعدك إلى يوم القيامة. ويلك يا مبتدع ما يقدر أن يقول أنا الله. ربنا عزَّ وجلَّ متكلم ليس بأخرس، ولهذا أكد الله عزَّ وجلَّ الأمر في كلامه، فقال وكلم الله موسى تكليما، له تعالى كلام يُسمع ويُفهم. لما سمع موسى كلام الله عزَّ وجلَّ كادت نفسه أن تخرج، فوقع على وجهه من هيبته، سمع كلاماً ما سمعه من قبل، جاء على ضعف الرتبة، فبعث إليه ملكاً فأقامه ووضع إحدى يديه على صدره والأخرى وراء ظهره، حتى قدر على القيام، وأحضر عقله حتى عقل كلامه وفهمه، صح له ذلك بعد أن قامت قيامته، وضاقت عليه الأرض بما رحبت. أمر بالمضي إلى فرعون وقومه، وأن يكون رسولاً إليهم. فقال يا ربِ احلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واشدد ظهري بأخي. وكان في لسانه عقدة، كأنه ما يقدر أن يتكلم بفصاحة، لأجل ما جرى له مع فرعون لعنه الله، في حال صغره، فكان إذا أراد أن يكلمه بكلمة يتوقف، ويجهد في إقامة حروفها في مدة يقدر غيره أن يتكلم بسبعين كلمة. وسبب ذلك لما حصل في دار فرعون في حال صغره، أحضرته آسية زوجته بين يديه وقالت هذا قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى نأخذه ولداً، فضمه إليه حتى يقبله، فأخذ بلحيته فهزها، فقال فرعون: هذا المولود الذي يكون زوال مُلكي على يديه، فلا بدّ لي من قتله. فقالت له: هذا

طفل صغير لا يعقل ما يفعل، ثم أمرت أن يحضر بين يديه إناء فيه جمر من نار وإناء فيه لؤلؤ. وقالت نترك الإناءين بين يديه، فإن عرف الفرق بينهما، ومَد يديه إلى اللؤلؤ وحذر من النار فاقتله، وإن لم يفرق بينهما ومدَّ يده إلى النار فلا تقتله، وتشارطا على ذلك. وتركا بين يديه ذلك، فمد يده إلى النار فأخذ منها جمرة وتركها في فيه وبكى. فقالت ألم أقل لك أنه لا يعقل ما فعل عن قصد منه. فتركه ولم يقتله ورباه الله عزَّ وجلَّ. في داره سبحان من هيأ لشأنه وجعل له من كل همّ وغمّ وضيق فرجاً ومخرجاً. قال عزَّ من قائل ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ سورة الطلاق، الآيتان 2 - 3.

هذا القلب إذا صفا صح، سمع مناداة الحق من الجهات الست. يسمع مناداة كل نبي ورسول وولي وصديق. يقرب منه فتصير حياته القرب منه، وموته في البعد عنه، يصير رضاه في مناجاته له، ويقنع بذلك عن كل شيء، لا يُبالي بذهاب الدنيا، ولا يبالي بالجوع والعطش والعري، وجميع الأمراض.

اصبروا على أحكام الحكم، وقد انكشف لكم الغطاء عن العلم، قد أمركم الحق عزَّ وجلَّ بالصبر فاصبروا. أمر نبيه (ﷺ) بالصبر خاصة، ولكم عامة، الأمر له ولكم أيضاً. قال الله تعالى ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ سورة الأحقاف، الآية 35. اصبر يا محمد كما صبروا معي، في أقضيتي وأقداري عليهم في أهاليهم وأموالهم وأولادهم. وأذية الخلق لهم، فقابلوا ذلك كله بالاحتمال ما أقل أحتمالكم، ما أرى أحداً منكم يحتمل من صاحبه كلمة، ولا يقيم له عذراً. تعلموا من الرسول (ﷺ)، أخلاقه، وأفعاله، اقتدوا به واتبعوا أثر أقدامه (ﷺ). اصبروا على أفعال البداية حتى تأتيكم الراحة في النهاية، البداية انزعاج والنهاية سكون. نبينا (ﷺ)، في بدايته حُبب له الخلوة من الخلق. ففي بعض الأيام سمع قائلاً يقول يا محمد يا محمد فهرب من ذلك الصوت. ولم يعلم ما هو؟ بقي على ذلك مدة، ثم علم ما هو فثبت، ثم انقطع عنه ذلك الصوت، فضاق صدره ونام في الجبال. وكاد يلقي نفسه منها في الأول كان يهرب، وفي الثاني صار يطلب. في الأول انزعاج وفي الثاني سكون.

المُريد والمُراد مطلوب، كان موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام مُريداً،

ونبينا (ﷺ) مُراداً. بقي موسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم في ظل وجوده وطلبه لرؤيته على جبل طور سيناء. ونبينا (ﷺ) لما كان مُراداً أعطى الرؤية من غير طلب، وقُرب من غير تشوق وسؤال وأُغنى من غير طلب الغناء. ورأى ما حُجب عن غيره. طلب موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام الرؤية فلم يعط ووقع ميتاً عقوبة لما طلب، ما لم يُقسم له في الدنيا. ونبينا (ﷺ)، أحسن الأدب وعرف قدره وتجاهد وتواضع ولم ينبسط، فأُعطي ما لم يعط غيره، لنسيانه غير الحق عزَّ وجلَّ، وموافقته له، الشره ندم. اقنعوا بما قسم لكم ربكم عزَّ وجلَّ. وارضوا به. من صبرَ وصل، من صبر استغنى قلبه وزال فقره. عليك بالخلوة من الخلق، وقد قدرت على العبادة والإخلاص فيها الوحدة خير من قرناء السوء.

رُويَ أنه كان عند بعض الصالحين كلباً، فقيل له: لِمَ تركت هذا الكلب عندك؟ فقال: هو خيرُ من قرين السوء. كيف لا يحب الصالحون الخلوة، وقلوبهم قد امتلأت بالأُنس من ربهم عزَّ وجلَّ، وكنفه عليهم، كيف لا يهربون من الخلق وقد غابت قلوبهم عن النظر إلى نفعهم وضرهم. ورأت النفع والضر من ربهم عزَّ وجلَّ.

شراب القُرب يُحييهم والصحو يُميتهم، وكلام الشوق يقربهم، واطلاعهم على الأسرار. حسبتهم مجانين بالإضافة إلى الخلق، عقلاء وحكماء وعلماء بالإضافة إلى الله عزَّ وجلَّ.

من أراد أن يكون زاهداً، فليكن هكذا، وإلا فلا تتعب يا متكلف يا متصنع. يا هذا، بما أنت عليه، لا يتم لك الأمر. إلا بصيام النهار وقيام الليل، والتخشن في المطعم والملبس، مع وجود النفس والهوى والجهل ورؤية الخلق.

ويلك أخلص وتَخلص، أصدق فقد وصلت، وقربت على همتك وقد علوت، سلم وقد سلمت، وافق وقد وفقت. ارض وقد رضي عنك. أسرع وقد يتمم الحق عزَّ وجلَّ لك.

اللهم تول أمورنا في الدنيا والآخرة ولا تكلنا إلى نفوسنا ولا إلى أحد من خلقك، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

مجلس «محبة الله عزّ وجلّ»

«إنما يصير المُحب محبوباً إذا طهر قلبه عمّا سوى الله عزّ وجلّ»

المحب والمحبوب، الطالب والمطلوب، طهارة القلب، العبادة، الورع، الدنيا، الطبع،

قال الله تعالى في بعض كلامه كذِبَ من ادعى محبتي حتى إذا جنَّهُ الليل نام عني، إذا كنت من المُحبين لله عزَّ وجلَّ، قمت من نومك لا عن غلبة. المحب مُتعَب والمحبوب مستريح، والمُحب طالب والمحبوب مطلوب.

عن النبي (ﷺ) أنه قال، يقول الله عز وجل لجبرئيل: يا جبرئيل أقم فلاناً وأنم فلاناً، أقِمْ فلاناً المحب وأنم فلانا المحبوب. هذا قد ادعى محبتي أناقشه وأقيمه مقامه، حتى تساقط عنه أوراق وجوده مع غيره. أقمه حتى يتبين برهان دعواه، حتى تتحقق محبته. وأنم فلاناً لأنه محبوب قد طال ما تعب. ما بقيت عنده بقية لغيري، اتحدت محبته ليَّ وتحققت دعواه. جاءت التوبة إليَّ، ووفائي بعهده، هو ضيف والضيف لا يُستخدم ويتعب. أنمه في حجر لطفي وأقعده على مائدة فضلي. وآنسه بقربي، قد صحت مودته.

الوجه الآخر، أنم فلاناً، فإنه يريد بعبادتي وجه الخلق، وأقم فلاناً فإنه يريد بعبادتي وجهي. أنم فلاناً فإني أكره سماع صوته، وأقم فلاناً فإني أحب سماع صوته. إنما يصير المحب محبوباً، إذا طهر قلبه عما سوى الله عزَّ وجلَّ. فلا يتمنى الرجوع عنه إلى غيره، وصول القلب إلى هذا المقام، بأداء الفرائض والصبر عن الحرام والشبهات، وترك تناول المباح والحلال بالهوى والشهوة والوجود. واستعمال الورع الشافي والزهد الكامل وهو ترك ما سوى الله عزَّ وجلَّ. ومخالفة النفس والهوى والشيطان، وطهارة القلب من الخلق في الجملة، حتى استوى المدح والذم والعطاء والمنع والحجر والمدر[1]. أول هذا الأمر شهادة أن لا إله إلا الله، وآخره استواء الحجر والمدر والذهب والفضة. من صح قلبه واتصل بربه عزَّ وجلَّ.

---

(1) المدر: قطع الطين اليابس، لسان العرب، مادة (مدر).

استوى عنده الحجر والمدر، والمدح والذم والسقم والعافية والغنى والفقر، وإقبال الدنيا وإدبارها. من صح له هذا ماتت نفسه وهواه، وانخمدت نائرة طبعه، وذل شيطانه له، يحتقر الدنيا وأربابها. يصير بقلبه درباً في وسط الخلق يجوز فيه إلى الخالق. ينفرون يميناً وشمالاً، يتنحون عنه ويخلون الطريق له. يفرون من صدقه وهيبته. فحينئذ يدعى في الملكوت عظيماً، يكون الخلق كلهم تحت أقدام قلبه ويستظلون بظله.

أنت تدعي ما ليس بك، ونفسك مستولية عليك، والخلق والدنيا في قلبك، أكبر من الله عزَّ وجلَّ. أنت خارج عند حدّ القوم وعدهم. إن أردت الوصول إلى ما أشرت إليه، فاشتغل بطهارة قلبك عن الأشياء كلها، أنت لو تغور لك لقمة، أو تضيع منك حبة، أو ينكسر لك عرض. تقوم قيامتك وتعترض على ربِّك عزَّ وجلَّ، وتخرج غيظك في ضرب زوجتك وولدك؛ وتسب دينك ونبيك، لو كنت عاقلاً من أهل اليقظة والمراقبة، لخرست بين يدي الله عزَّ وجلَّ ولرأيت جميع أفعاله نعمة في حقك.

ويحك، اذكر جوع الجياع وعري العراة، ومرض المرضى، وحبس المحبوسين، لهان عليك ما عندك من البلاء. اذكر أهل القبور في أهوال يوم القيامة، اذكر علم الله عزَّ وجلَّ، فيك ونظراته إليك وسابقته لك، وقد استحيت منه، وإذا ضاق بك الأمر فتفكر في ذنوبك. وتب منها، وقل لنفسك بذنوبك ضيق الحق عزَّ وجلَّ عليك. إذا تبت من الذنوب، واتقيت الحق عزَّ وجلَّ، جعل لك من كل همَّ فرجا ومن كل ضيق مخرجاً.

قال الله عز وجل ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ﴾ سورة الطلاق، الآيتان 2 - 3.

العاقل من صدق وتميز عن الكذابين بصدقه، اجعل الصدق بدل الكذب، والثبوت بدل النفور، والإقبال بدل الإدبار، والصبر بدل الجزع والشكر بدل الكفر. والرضى بدل السخط، والموافقة بدل المنازعة واليقين بدل الشك.

إذا وافقت ولم تنازع، وشكرت ولم تكفر، ورضيت ولم تسخط، وسكنت ولم تشك. أليس الله بكاف عبده؟

ويحك، جميع ما أنت عليه وفيه.. لا ينظر الله إليه هذا الأمر لا يحيى بأعمال الجسد، وإنما بأعمال القلب ثم أعمال الجسد. نبينا محمد (ﷺ) يقول: الزهد ههنا، التقوى ههنا، الإخلاص ههنا، ويشير إلى صدر من أراد الصلاح.

فَليَصيرْ أرضاً تحت أقدام الشيوخ، ما صفة هؤلاء الشيوخ التاركين للدنيا والخلق المودعين لها، لما تحت العرش إلى تحت الثرى، والسمواتِ وما فيهن والأرضين وما فيهن، الذين تركوا الأشياء وودعوها وداع مَن لا يعود إليها قط، ودعوا الخلق كلهم ونفوسهم من جملتهم، لوجودهم مع ربهم عزَّ وجلَّ. في جميع أحوالهم.

كل من يطلب صحبة الحق عزَّ وجلَّ مع وجود نفسه فهو في هوس وهذيان. من صح زهده وتوحيده لا يرى الخلق ووجودهم. لا يرى معطياً سوى الحق عزَّ وجلَّ. لا يرى متفضلاً سواه. ما أحوجكم يا أهل الدنيا كلكم إلى سماع هذا الكلام، ما أحوجكم يا زهاد بالجهل إلى سماع هذا الكلام، الأكثر من المتزهدين المتعبدين عبيد الخلق مشركون بهم..

يا مخلص اهرب من الشرك إلى باب ربك قف عنده، ولا تهرب من مجيء الآفات، إذا وقفت على بابه وجاءتك الآفات من خلفك فتعلق بالباب، فإنها تدفع عنك، بتوحيدك وهيبة صدقك. فاذا جاءتك الآفات فعليك بالصبر والثبات وقراءة قول الله عز وجل ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ إبراهيم: 27. وقوله تعالى: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ سورة البقرة، آية 137. وقوله تعالى ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ الزمر: 36، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأكثر من الاستغفار والتسبيح، ذكر الحق عزَّ وجلَّ بالصدق يؤمن من جيش الآفات، وجيش النفس والهوى والشيطان، ما أكثر ما أعرفكم ولا تعرفون، من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له. كان نبينا محمد (ﷺ) **يحب هداية الضالين ويتمناه، فأوحى الله إليه:** ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ القصص: 56. **فحينئذ قال** (ﷺ).

بُعثِت بالهداية، وليس إلي... من.. الهداية شئ، وأغوى إبليس وجُعل سبب الضلالة وليس إليه من الضلالة شيء. اعتقاد المتبعين بكتاب الله وسنَّة رسول الله(ﷺ).

إن السيف لا يقطع بطبعه، بل الله عزَّ وجلَّ يقطع به[1]، والنار لا تحرق بطبعها، بل الله المحرق بها. وإن الطعام لا يشبع بطبعه، بل الله يشبع به، وان الماء لا يروي بطبعه، بل الله عزّ وجلَّ يروي به. وهكذا جميع الأشياء على اختلاف الأجناس، الله عزَّ وجلَّ المتصرف فيها وبها، وهي آلة بين يديه يفعل بها ما يشاء.

إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام، لما رمي في النار وأراد الحق عزَّ وجلَّ أن لا يحرقه بها، جعلها عليه برداً وسلاماً.وقد ورد في الخبر الصحيح عن النبي (ﷺ) أنه قال: تقول النار يوم القيامة للمؤمن خير يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي. العبد يضرب بالعصا والحر تكفيه الإشارة. يا عباد الله.. حافظوا على الصلوات الخمس في مواقيتها وأركانها، لا تغفلوا عنها إن سمعتم قول الله عزَّ وجلَّ ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ﴾ سورة الماعون، الآية 4 - 5. قال ابن عباس (ﷺ) والله ما تركوها غير أنهم أخروها [أخرجوها] عن مواقيتها. توبوا رحمكم الله، وافقوا التواب في توبتكم. توبوا يا أصحاب المعاصي، توبوا يا مؤخري الصلاة عن مواقيتها، يا متأولين بتأويل الشيطان ومكره، يا مخدوعين بخدعه، لا تعصوا من عقوبته النار لا تفتر بمن يعاقب بالدنيا بالعمى والطرش، الزمن والفقر مع قلة الصبر والحاجة إلى الخلق مع قساوة قلوبهم، وفي الآخرة بالنار، كل ذلك بشؤم المعاصي والزلات، نعوذ بالله من انتقامه وأخذه وبطشه وغضبه.

اللهم أعف عنا وعافنا وعاملنا بحلمك وكرمك، لا بعد لك، وارزقنا موافقتك آمين.

---

(1) الطبع: في الكليات لأبي البقاء: قوة للنفس في إدراك الدقائق. ص585، وفي ص671، قال: الرَّيْن والختم والطبع للكفار.

وجاءت الكلمة في القرآن الكريم: (بل طبعَ الله عليها بكفرهم) سورة النساء، آية 155. و(كذلك يطبع الله على الكافرين) سورة الأعراف، الآية101. والطبع في القرآن الكريم جاءت بمعنى الحجاب. انظر: تفسير كلمات القرآن الكريم للشيخ حسين محمد مخلوف. ص103.

نقول كلمة الطبع التي وردت في النص أعلاه بمعنى طبع الأشياء.

وفي هذا الباب هناك اختلاف بين الفرق الإسلامية. إذ ذهبت فرقة المعتزلة ومن اتبعها إلى أن طبيعة الخشب الاحتراق فهو كامن فيه. إلا أن أهل السنَّة قالوا: إن هذا الخشب لا يحرق إلا بأمر الله. وفي قصة نبي الله إبراهيم (ﷺ) حجة في ذلك. حين ألقي في النار ولم يحترق. ففصلوا بين طبيعة الأشياء ونتائج طبيعة هذه الأشياء. فالنتائج لله عزَّ وجلَّ وبأمره.

مجلس «خاطر الحق»[1]

(خاطر الحق لا يجيء إلا إلى قلب خال عما سواه)

الخاطر الملكي، الخاطر الشيطاني، خاطر الحق، خاطر الآخرة، خاطر النفس، خاطر الدنيا

سأل سائل عن الخواطر فقال: ما يدريك ما الخواطر؟ خاطرك من الشيطان والطمع والهوى، والدنيا همك. ماهمك خواطرك من أي جنس، همك، ماذا يعمل خاطر الحق؟ لا يجيء إلا إلى قلب خال عما سواه. كما قال الله عزَّ وجلَّ (لا نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده، إذا كان الله عزَّ وجلَّ وذكره عندك، فلا جرم يمتلئ قلبك من قربه ويهرب خاطر الشيطان وخاطر الدنيا والهوى من عندك، وإذا عرضت عن خاطر النفس وخاطر الدنيا وخاطر الهوى وخاطر الشيطان، جاءك خاطر الآخرة ثم خاطر الملك ثم خاطر الحق عزَّ وجلَّ أخيراً، وهو الغاية.

يا قوم: الحق عزَّ وجلَّ ينعم عليكم، لينظر هل تشكرون أو تشكون، تعترفون أو تنكرون، تطيعون أو تعصون. لا تكونوا ثناءً منشوراً وعيباً مستوراً، لا تفرحوا بذلك فعن قريب تجيء الفضيحة، إما عاجلاً أو آجلاً.

كان بشر الحافي (ﷺ)[2] يقول اللهم إنك اعطيتني فوق قدري، ونوهت بذكري وشهرتي بين الناس، اللهم لا تفضحني عندهم في القيمة فإني أعلم أن لي عيباً

---

(1) الخواطر: وللتوسع في هذا الباب: انظر أبو محمد روزبهان: تقسيم الخواطر. ص49. قال: الخواطر تنقسم إلى جهات شتى وبعضها إلهي، وبعضها روحي، وبعضها عقلي، وبعضها نفساني، وبعضها قلبي، وبعضها سري، وبعضها ملكي، وبعضها شيطاني. ولكل خاطر منها أصل وفرع، وبداية ونهاية، وموضع ومحل، وزمان وحال ووقت.

(2) بشر بن الحارث الحافي: وصف بأنه كبير الشأن عظيم المقدار. قال عنه الدارقطني وهو ثقة، لا يروي إلا حديثاً صحيحاً. عاش في بغداد. وأخذ عن الفضيل وطبقته وكان يمشي حافي القدمين. وقيل كان اسمه بين الناس كأنه اسم نبي. من أقواله: من عامل الله بالصدق استوحش من الناس. وقال: نعم المنزلُ القبر لمن أطاع الله. الكواكب الدرية - للمناوي. ج1. ص557.

مستوراً وثناءاً منشورا.

يا غلام: فصاحتك وبلاغتك وتصعير خدك...، وترقيع مرقعتك وجمع أكتافك وثيابك، كل ذلك من نفسك وشيطانك وشركك بالخلق، وطلب الدنيا منهم. أحسن الظن في غيرك، أُسِيءْ الظن بنفسك، حقر نفسك، واكتم أمرك وكن على ذلك، إلى أن يقال لك تحدث بنعمة الله عليك. كان ابن سمعون رحمة الله عليه[1]، إذا جاءته الكرامة يقول: هذه خدعة، هذه من الشيطان. ودام على ذلك حتى قيل له من أنت ومن أبوك، تحدث بنعمتنا.

يا محبين يا مريدين: احذروا أن يفوتكم الحق عزَّ وجلَّ، فإن فاتكم فقد فاتكم كل شيء، أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام، يا عيسى احذر أن أفوتك، فإن فتك، فاتك كل شيء، وإن لم أفتك لم يفتك شيء.

قال موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام في مناجاته لربه عزَّ وجلَّ: يا رب أوصني، قال سبحانه وتعالى: أوصيك بيَّ وبطلبي، كرر ذلك اربع مرات في كل مرة يقول له ذلك، ويجيبه بمثل الأول. ما قال له اطلب الدنيا ولا اطلب الآخرة، كأنه يقول له أوصيك بطاعتي وترك معصيتي، وأوصيك بطلب قربي، أوصيك بتوحيدي والعمل ليَّ، أوصيك بالإعراض عما سواي.

يا فقراء، اصبروا على فقركم وقد جاءكم الغنى في الدنيا والآخرة.

عن النبي (ﷺ) قال: الفقراء الصُّبر جلساء الله عز وجل يوم القيامة. الفقراء الصُّبر جلساء الرحمن عزَّ وجلَّ اليوم بقلوبهم وغداً بأجسادهم، الفقراء إلى الله عزَّ وجلَّ الصبر معه وعن غيره، قلوبهم عند مطيته منحسرة لا تقبل غيره، كما قال الله تعالى عن موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام: ﴿ ۞ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ ﴾ القصص: 12. إذا صح القلب وعَرف الحق عزَّ وجلَّ وأنكر غيره،

---

(1) ابن سمعون: الواعظ محمد بن أحمد بن إسماعيل البغدادي. الملقن والناطق بالحكمة. ج4. ص62. المناوي، الطبقات الكبرى.

وصف أنه واحد دهره. وفريد عصره في الكلام على علوم الخواطر والإشارات. ولد سنة ثلاث مئة. وكان خادم الشبلي. أسند الحديث الشريف. وكان ثقة مأموناً. توفي في بغداد ودفن فيها سنة سبع وثمانين وثلاث مئة. المناوي، الطبقات الكبرى. ج2. ص135-137.

واستأنس به واستوحش من غيره واستراح معه وتعب مع غيره.

يا قوم اذكروا الموت وما وراءه، ودعوا الحرص على جمع الدنيا الفانية، وقصروا آمالكم، وأقلوا حرصكم، أضر ما عليكم طول الأمل وكثرة الحرص.

عن النبي (ﷺ) أنه قال: إذا مات ابن آدم ودخل قبره، أتى شفير قبره أربعة أملاك يقف ملك عند رأسه وملك عن يمينه وملك عن شماله وملك عند رجليه.

فيقول الذي عند رأسه يا ابن آدم ذهبت الأموال وبقيت الأعمال ويقول الذي عن يمينه يا ابن آدم انقضت الآجال وبقيت الآمال ويقول الذي عن شماله يا ابن آدم مضت الشهوات وبقيت التبعات ويقول الذي عند رجليه يا ابن آدم طوبى لك اكتسبت حلالاً وأعطيت خياراً.

يا قوم: اتعظوا بهذه المواعظ، لا سيما مواعظ الله عزَّ وجلَّ، ومواعظ رسله صلاة الله وسلامه عليهم، اللهم اشهد أني مبلِّغ في مواعظ عبادك مجتهد في صلاحهم. يا أصحاب الصوامع والزوايا تعالوا ذوقوا من كلامي ولو حرفاً واحداً، اصحبوني يوماً أو أسبوعاً لعلكم تتعلمون شيئاً ينفعكم، ويحكم كثير منكم، في هوس. تعبدون الخلق في صوامعكم، هذا الأمر لا يجيء بمجرد القعود في الخلوات مع الجهل. ويلك امشِ في طلب العلم والعلماء حتى لا يبقى شيء، امشِ حتى لا يطاوعك شيء، فإذا عجزت فأقعه، امشِ بظاهرك ثم باطنك ثم بقلبك ومعناك. فإذا عييت ظاهراً أو باطناً ووقفت [وقعدت] جاءك القرب من الله عزَّ وجلَّ والوصول إليه.

يا غلام: لا تتدايك[1] وأنت فرخ في بيضة، لا كلام لك حتى تستكمل خلقتك، وتنشق عنك بيضتك، وتصير فرخاً تحت جناح أمك، تحت جناح صاحب الشريعة نبيك (ﷺ)، حتى يزقك حتى يقوى إيمانك، فإذا دب فيك الصلاح، لقطت من حبات فضل ربك عزَّ وجلَّ، فحينئذ تصير ديكاً للدجاج، تواسي وتؤثر بالحب وتصير حارساً لهن، تستقبل الآفات وتفتديهم بنفسك، العبد إذا صح، حمل أثقال الأرض والخلق وصار قطباً لهم، عن النبي (ﷺ) أنه قال: من تعلم وعمل وعلم دعي في الملكوت عظيماً، إني أقول كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وكرم الله

---

(1) أي لا تتصور أنك صرت ديكاً وانت لازلت فرخاً في البيضة.

وجهه: إن بين جنبي لعلماً لو وجدت له حملة، ووجدت فيكم أهليته لما كنت أغلق باب الأسرار وكنت أفتح أبوابها وأضيع مفاتيحها، ولكن يا سر احفظ الأسرار حتى يجيء الأهل، احفظ ما عندك فإذا طلبت منك فأظهرها، ما يمكني أن افتح، أفصح بكل ما عندي، لأن من الحلال ما يكتم، كان ابن سمعون رحمة الله تعالى عليه يقول: الإيمان بما أقول ولاية، من كان له قدم فيه فهو زيادة. إنما يقبل على هذا الكلام ويؤمن به ويعمل به، من خدم الحكم وعمل به وأخلص فيه، وهذا هو الكتاب والسنَّة.

أفلح والله من تربى عليهما ونشأ فيهما ولم يتجاوز حدودهما، أفلح.. يكون الإيمان والإسلام عندك عارية، بهذا يكثر خوفك وصومك وصلاتك وسهرك، بهذا نام القوم على وجوههم، والتحقوا بالوحوش، وزاحموهم في خشاش الأرض وماء الغدران، وصار ظلالهم الشمس ومصباحهم القمر والكواكب، اجتهدوا بأن تعملوا الطاعات والقربات قبل وصولكم إليه، لا تظلموا أنفسكم بمعصيتكم له وتجرؤكم عليه.

اللهم وفقنا لطاعتك وجنبنا معاصيك وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

مجلس «الوصايا»

(اللهم ارزقنا حسن الأدب معك في جميع الأحوال)

الصبر، البلاء، الإيمان، الدين. الموت. الآداب، الدعاء.

دعوا كثرة الهذيان، والقيل والقال، وإضاعة المال، لا تكثروا من القعود مع الجيران والأصدقاء والمعارف لغير سبب، فإن ذلك هوس، أكثر ما يجري الكذب والغيبة بين اثنين، والمعصية لا تتم إلا بين اثنين. لا يخرج أحدكم من بيته إلا إلى ما لا بدّ منه من مصالحه ومصالح أهله.

اجهد أن لا تبدأ بالكلام، بل يكون كلامك جواباً إذا سألك سائل عن شيء، فاذا كان جوابك مصلحة لك أو له أجبه، وإلا لا تجبه.

إذا لقيت أخاك المسلم فلا تسأله أين تمر ومن أين تجيء؟ فربما لا يحب أن يجيبك بما هو فيه، فيكذب فتكون أنت قد حملته على الكذب.

استح من الكرام الكاتبين، لا تُمْلِ عليهم ما لا يجوز لك قوله. لا تُمْلِ عليهم إلا ما تقرؤه ليوم القيامة.. التسبيح وقراءة القرآن. والكلام في مصالح نفسك ومصالح الخلق، كثر مدادهم بدموعك، وقَوّ أقلامهم بتوحيدك، ثم اقعد على الباب، ثم ادخل أنت إلى ربك عزَّ وجلَّ.

اجعلوا الموت نصب أعينكم، إذا رأى أحدكم أخاه فليودعه، ويسلم عليه سلام مودع، وهكذا إذا خرج من بيته فليودع أهله بقلبه فلعل رسول الموت يدعوه ولا يمكنه من العود إليهم، لعل الأجل يلقاه في الطريق.

فلهذا قال النبي (ﷺ): لا يبيت أحدكم إلا ووصيته مكتوبة تحت رأسه. إن كان على أحدكم دين وهو قادر على قضائه فليقضه ولا يؤخر قضاءه، فإنه لا يدري هل يقضي بعده أو لا ومن قدر على قضائه ولم يقضه فهو ظالم.

القوم يتعودون الصبر على البلاء ولا ينزعجون مثل انزعاجكم. كان بعضهم يبتلى كل يوم ببلية، فيوم لا يأتيه البلاء يقول إلهي ماذا فعلت اليوم من الذنوب حتى لم تنفذ لي بليتي. البلايا تختلف، منها في البُنية، ومنها في القلب، ومنها مع الخلق، ومنها مع الخالق. لا خير في من لا يؤدي البلايا.

خطا طيف الحق عزَّ وجلّ، [تهمة][1] الزاهد العابد في الدنيا الكرامات. وفي الآخرة الجنات. و[تهمة] العارف بقاء الإيمان عليه في الدنيا، والخلاص من نار الله عز وجل في الآخرة.

لا تزال [تهمته] وشهوته في هذا، حتى يقال لقلبه ما هذا أسكن وأثبت، الإيمان ثابت عندك ومنك، يقتبس المؤمنون نوراً لإيمانهم، وأنت غداً مُشفع مقبول القول، تكون سبباً لخلاص خلق كثير من النار، تكون بين يدي نبيك الذي هو سيد الشافعين، هذا توقيع ببقاء الايمان والمعرفة والسلامة في العاقبة، والمشي مع النبيين والمرسلين والصديقين الذين هم الخواص من الخلق.

يا منافق ما يقع هذا بيدك، بنفاقك وتصنعك، أنت ترى ناموسك، ترى قبولك في قلوب الخلق، ترى قبلة يدك، أنت مشؤوم على نفسك في الدنيا والآخرة. وعلى من تربيه وتأمره باتباعك، أنت مرائي دجال نصاب على أموال الناس، لا جرم ألا تكون لك دعوة مجابة، ولا موضع في قلوب الصديقين.

قد أضلك الله على علم، سوف ترى إذا انجلى الغبار، أفرس تحتك أم حمار. إذا انجلى الغبار ترى رجال الحق عزَّ وجلَّ على الخيول، وأنت على حمار مكسور من ورائهم، تأخذك دعاة الشياطين والأبالسة.

القوم يصلون إلى حالة لا يبقى لهم فيها دعاء ولا سؤال، لا يسألون في جلب الصالح، ولا في دفع المضار، يصير دعاؤهم بأمر من حيث قلوبهم تارة لأجلهم، وتارة لأجل الخلق، فينطقون بالدعاء وهم في غيبته.

اللهم ارزقنا حسن الأدب معك في جميع الأحوال وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

(1) تهمه الزاهد: يريد الكرامة في الدنيا وهي تهمة.

مجلس «الرضا»

(عليكم بالعزيمة والإعراض عن الرخصة)

الوعد والوعيد، الخوف والرضا، الفناء، القرب. دعاء التوبة. المريد. الفرض والنفل، الرخصة والعزيمة، معاملة النفس.

الله عزَّ وجلَّ خلق من خلقه يُحييهم في عافية، ويميتهم في عافية، ويحشرهم يوم القيامة في عافية، وهم أهل الرضاء بالقضاء، المنيبون إلى وعده تعالى الخائفون من وعيده، اللهم اجعلنا منهم آمين.

القوم يواصلون الضياء بالظلام في عبادة الحق عزَّ وجلَّ، وهم على قدم الخوف والرجاء والحذر، يخافون من سوء العاقبة، جهلوا علم الله فيهم وعاقبته منهم، فواصلوا بالظلام، حزناً وكآبة وبكاء، مع دوام الصلاة والصيام والحج وجميع الطاعات، ذكروا ربهم عزَّ وجلَّ بقلوبهم وألسنتهم، فلما وصلوا إلى الآخرة، دخلوا الجنة، ورأوا وجه الله عزَّ وجلَّ، وكرامته لهم، حمدوه على ذلك: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ سورة فاطر - 34.

يا غلام: إذا أحكمت الإيمان وصلت إلى وادي المعرفة ثم إلى وادي العلم ثم إلى وادي الفناء عنك وعن الخلق، ثم إلى الوجود به لا بك ولا بهم، فحينئذ يزول خوفك. فالحافظ يحفظك، والحمية تحوطك والتوفيق يطرق بين يديك، والملائكة تمشي حولك، والأرواح تأتيك تسلم عليك. والحق عزَّ وجلَّ يباهي بك الخلق، ونظراته ترعاك وتجذبك إلى دار القربة والأنس به، يا عصاة توبوا من معاصيكم، فإن ربكم عزَّ وجلَّ غفور رحيم، يقبل التوبة من عباده، ويغطي الذنوب، ويمحوها، توبوا، وقولوا بقلوبكم وألسنتكم: اللهم إنا تائبون إليك من كل ذنب ومن كل خطيئة، لا نعود إليها أبداً، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، يا غفار الذنوب اغفر لنا، يا ستار استر علينا، استر عيوبنا، استغفره فإنه

تعالى يغفر الذنوب، ويشكر القليل من الأعمال[1] ويثيب عليها بما هو خير منها، لأنه كريم جواد، يعطي من غير عوض ولا سبب، فكيف إذا كان بسبب، عاملوه بالتوحيد، والأعمال الصالحة، وترك الدنيا والإعراض عنها، واختاروا الآخرة والإقبال عليها والرغبة فيها، وترك المعاصي والزلات والهجر لها.

المريد للحق عزَّ وجلَّ لا يريد جنته ولا يخاف من ناره، بل يرجو وجهه فحسب، يرجو قربه منه، ويخاف من بعده عنه.

أنت أسير الشيطان والهوى والنفس والدنيا والشهوات، وما عندك في رجلك وقلبك قيد وما عندك خبر، اللهم خلصه من أسره، وخلصنا آمين.

عليكم بحفظ الصوم والصلوات الخمس في أوقاتها، وحفظ حدود الشرع جميعها. إذا أديتم الفرض فانتقلوا إلى النفل.

عليكم بالعزيمة، والإعراض عن الرخصة[2]، من لزم الرخصة وترك العزيمة، خيف عليه من هلاك دينه. العزيمة للرجال لأنها ركوب الأخطار، وإلا فالرخصة للصبيان والنسوان، لأنها الأسهل.

يا غلام: عليك بالصف الاول فإنه صف الرجال والشجعان، وفارق الصف الأخير فإنه صف الجبان. استخدم هذه النفس وعودها العزيمة، فإن لم تحملها، لا ترفع العصا عنها لا تَنَم وتلقِ الأحمال عنها، لا تُرها بياض أسنانك وبياض عينيك، هي عبد سوء، لا تعمل الاشغال إلا بالعصا، لا تشبعها إلا إذا علمت أن الشبع لا يطغيها، وأنها تعمل في مقابلة شبعها، كان سفيان الثوري كثير الطاعة كثير الشبع، فإذا شبع يقرأ للعبادة، فيأخذ منها حظاً وافراً، عن بعضهم أنه قال: رأيت سفيان الثوري أكل حتى مَقَتُّهُ، ثم صلى وبكى حتى رحمته. لا تقتد بسفيان في كثرة الأكل، واقتد به في كثرة عبادته، فلست سفيان، لا تشبع نفسك كما كان يشبعها، فلست تملكها كما كان هو يملكها.

إذا صح القلب كان شجرة لها أغصان وثمار وأوراق، يصير فيه منافع للخلق،

---

(1) ويشكر القليل من الأعمال: بمعنى حتى القليل من العمل له شكر عند الله.

(2) الرخصة: رخص الدين. في باب الاستثناءات. والمعنى من استخدم الرخص بنطاق واسع هلك دينه.

الإنس والجن والملائكة. إذا لم يكن للقلب صحة فهو كقلب الحيوانات، صورة بلا معنى، آنية بلا ماء، شجرة بلا ثمر، فص بلا خاتم، قفص بلا طائر، دار بلا ساكن، كنز مجموع فيه دنانير ودراهم بلا منطق، جسد بلا روح كالأجساد التي مسخت فهي صورة بلا معنى.

القلب المعرض عن الله الكافر به، ممسوخ فيه ولهذا شبهه الله بالحجر فقال عزَّ من قائل: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ ﴾ سورة البقرة، الآية 74. لما لم تعمل بنو إسرائيل بالتوراة، مسخ الله عزَّ وجلَّ قلوبهم حجارة، وطردها من بابه، هكذا أنتم يا محمديين، إذا لم تعملوا بالقرآن وتعملوا بأحكامه، يمسخ الله قلوبكم ويطردها من بابه، لا تكونوا ممن أضله الله على علم، إذا تعلمت للخلق عملت للخلق، وإذا تعلمت لله عزَّ وجلَّ عملت له الطاعة. عمل أهل الخبث والمعصية عمل أهل النار، وبعد ذلك الأمر إليه إن شاء أثاب واحداً منا بخير عمل، وإن شاء عاقب واحداً منا بغير عمل، فذلك عليه، فعال لما يريد، ولا يُسئل عما يفعل وهم يُسألون.

الصّديق ينظر بنور الله عزَّ وجلَّ لا بنور عينيه ولا بنور الشمس والقمر هذا نور الله للعامة، وله نور خاص أعطاه الله هذا النور بعد إحكام نور العلم الثاني.

اللهم ارزقنا حلمك وعلمك وقربك، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

مجلس «الحياء»

(المؤمن يستحي من الخالق، والمنافق يستحي من الخلق)

يوسف (عليه السلام). عيسى (عليه السلام). العداء. الله تعالى متكلم النفس والطبع. رؤية الله. الكسب والتوكل. الموت

عن النبي (ﷺ) أنه قال: الحياء من الإيمان.

يا عباد الله ما أوقحكم وما أجرأكم على ربكم عزَّ وجلَّ، الحياء من الخُلق: والوقاحة على الخالق حمق وهوس، وحقيقة الحياء أن تستحوا من ربكم عزَّ وجلَّ، في خلواتكم وجلواتكم، فيكون الحياء من الخلق تبعاً لا أصلاً. المؤمن يستحي من الخالق، والمنافق يستحي من الخلق، لا بارك الله فيكم يا منافقين، فما أكثركم، كل شغلكم عمارة ما بينكم وبين الخلق، وتخريب ما بينكم وبين الخالق. إذا عاديتموني فقد عاديتم الله عزَّ وجلَّ ورسوله (ﷺ)، لأني قائم لنصرتهما، لا تبغوا فإن الله غالب على أمره.

اجتهد إخوة يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام، على قتله فما قدروا، كيف كانوا يقدرون وهو ملك عند الله عزَّ وجلَّ، نبي من أنبيائه، وصديق من صديقيه، وقد سبق علمه أن يجري مصالح الخلق على يديه.

وهكذا اليهود راموا أن يقتلوا عيسى ابن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام، لأنهم حسدوه لما أظهر الآيات والمعجزات على يده، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه أن اخرج من بلادهم إلى مصر، فخرج [وهو] ابن ثلاث عشرة سنة، أخذه قرابة له وهرب به، فقوي أمره وانتشر ذكره في تلك البلاد، فاجتمعوا على أن يهلكوه فما قدروا، وكان الله غالباً على أمره. وهكذا أنتم يا منافقي هذا الزمان، تريدون أن تهلكوني لا كرامة لكم، أيديكم تقصر عن ذلك. تكلفوا فعل الطاعات وترك المعاصي والمنكرات، وقد صار التكلف طبعاً. تَفَهَّموا كلام ربكم واعملوا به، وأخلصوا في أعمالكم، ربنا عزَّ وجلَّ متكلم بكلام مسموع مفهوم، سمع كلامه في الدنيا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ومحمد (ﷺ)، وفي الآخرة يسمع كلامه المؤمنون من خلقه، ربنا يُرى، نراه غداً في القيامة، كما نرى الشمس والقمر،

كما لا نشك فيهما اليوم لا نشك فيه غداً، لله عزَّ وجلَّ عباد يبيعون الجنة بما فيها بنظرة، إذا علم صدق نياتهم في ذلك، وأنهم باعوا بنظرة واحدة، أدام لهم النظرات، أدام لهم القرب، عوضهم بقربه عن لذات الجنة.

يا جهال، بالله عزَّ وجلَّ ورسوله (ﷺ) ورجاله، ويحكم تقدموا بأقدام قلوبكم خطوة إلى طعام فضل الله عزَّ وجلَّ، أما ترون كيف أتركه بين أيديكم.

من كذبني منكم، كذبته ثيابه وداره وملائكته الذين حوله، ما أبالي بتكذيبه، يا منافق ودجال.

يا غلام: أنت نفس وطبع وهوى، تقعد مع النسوان الأجانب والصبيان الأمارد، ثم تقول لا أبالي؟ كذبت لا يوافقك الشرع ولا العقل، تضيف ناراً إلى حطب، فلا جرم يشتعل دار دينك وإيمانك، إنكار الشرع بهذا أعلم لم يستثن فيه أحداً، حصل الإيمان والمعرفة بالله عزَّ وجلَّ وقوة القرب، ثم افتح الدكان وكن طبيباً للخلق، نيابة عن الحق عزَّ وجلَّ.

ويلك كيف تمس الحيات وتقبلها، وأنت ما تعرف صنعة الحواة ولا أكلت الترياق[1]، أعمى كيف تداوي أعين الناس، أخرس كيف تعلم الناس، جاهل كيف تقيم الدين، من ليس له معرفة بحاجب كيف يقدم الناس إلى باب الملك. لا كلام له حتى تأتي القيمة وتروا العجائب.

أخلصوا في أعمالكم وإلا فلا تدعوا إذا قطعت العلق، وغلقت الأبواب والجهات. وإن فتحت لك جهة الحق وقربه وتهيأت لك الطريق إليه، وأتتك أرفع الأشياء وأحسنها وأسناها. هذه الدنيا فانية ذاهبة متلاشية، هي دار الآفات والبلايا والغموم والهموم، ما يصفو فيها لأحد عيش، لا سيما إذا كان حكيماً، كما قيل الدنيا لا تقر فيها عين حكيم ذاكراً للموت، من كان السبع بحذائه فاتحاً فمه قريباً إليه، كيف يستقر قراره وتنام عينه.

يا غافلين القبر فاتح فمه، سبع الموت وثعبانه فاتحان فمهما، سياف سلطان القدرة بيده السيف وهو منتظر الأمر، من كل ألف ألف واحد يكون على هذه الحالة مستيقظاً بلا غفلة، المستيقظ زاهد في كل شيء، فيقول إلهي إنك تعلم ما أُريد بهذه

---

(1) يقصد ليس لك علم بالتعامل مع الحيات ولا شربت الترياق، ضد سمها.

الأطباق، قد آثرت بها خلقك أريد لقمة من طبق قربك، أريد من شيء يخصك.

يا مشركاً بسببه[1]، لو ذقت الأكل بالتوكل، لما أشركت بالسبب ولقعدت على بابه متوكلاً عليه واثقاً به، ما أعرف الأكل إلا من شيئين، إما بالكسب مع ملازمة الشرع، أو بالتوكل. ويلك أما تستحي من الله عزَّ وجلَّ، تترك كسبك وتكدي من الناس. الكسب بداية والتوكل نهاية، فما أرى لك بداية ولا نهاية. إني أقول لك الحق، ولا أستحي منك، اسمع وأقبل ولا تنازع، منازعتي منازعة الحق عزَّ وجلَّ.

(1) الذي يجعل من الأسباب شريك لله سبحانه وتعالى.

مجلس «الصلاة»

الزهد. الدنيا. الأنبياء. الإلهام. الرؤية

حافظوا على الصلاة، فإنها صلة بينكم وبين ربكم عزَّ وجلَّ..

عن النبي (ﷺ) أنه قال: إذا دخل المؤمن في الصلاة، وأحضر قلبه بين يدي ربه عزَّ وجلَّ ضربت حوله سرادقات النور، وتقف الملائكة حوله وينزل البِرُّ عليه من السماء ويباهي به الحق عزَّ وجلَّ، من المصلين من يقتنص قلبه إلى الحق عزَّ وجلَّ كما يقتنص الطائر من القفص.

كما يقتنص الطفل من يد الأم، يؤخذ عن مألوفه، من معلومه، من مسكونه، ويغيب عنه فلو قطع ومزق ما علم، يحكى عن بعض الصالحين من هذه السادة، وكان من تابعي صحابة رسول الله (ﷺ)، وهو عروة بن الزبير بن العوام ابن أخت عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبيها، أنه وقع في رجله آكلة، فقيل له لا بدّ من قطعها، وإما هلك جميع جسدك، فقال للطبيب إذا دخلت في الصلاة فاقطعها، فقطعها وشدها وهو في السجود، فلم يحس بألمها.

أنتم قول بلا عمل، صورة بلا معنى، منظر بلا مخبر، ويحك لا تعيّرك مقالات الناس أنت تعرف ما أنت، أنتم تعرفون ما أنتم فيه وعليه.

قال الله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ سورة القيامة، آية 14. ما أحسنك عند العوام، وما أقبحك عند الخواص. قال بعض المشايخ لأصحابه.. إذا ظُلمتم فلا تَظْلِموا، وإذا حمدتم فلا تفرحوا، وإذا ذممتم فلا تحزنوا، وإذا كُذبتم فلا تغضبوا، وإذا أئتمنتم فلا تخونوا، وإذا [حزنتم] فلا تحزنوا، ما أحسن هذا الكلام أمرهم بذبح النفوس والأهوية. هذا مشتق من قول النبي(ﷺ): جاءني جبرئيل عليه السلام فقال لي الحق عزَّ وجلَّ يقول لك: (اعفُ عمن ظلمك وصل من قطعك وأعطِ من حرمك).

تفكروا في آلاء الله وصنعته وتصاريفه في خلقه. إذا زهدت في الدنيا وتحقق زهدك فيها، آتتك الدنيا في المنام في صورة امرأة. وتتواضع لك، وتقول لك أنا

خادمة لك، عندي ودائع خذها من عندي، تعدد أقسامها عليك قليلها وكثيرها، إذا قويت معرفتك آتتك وأنت في اليقظة، الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أول حالهم حالهم، وثاني حالهم منام، وإذا قويت أحوالهم جاءهم الملك ظاهراً يقول لهم الحق عزَّ وجلَّ يقول لكم كذا كذا. كن عاقلاً ودع عنك رئاستك. وتعال اقعد ههنا كواحد من الجماعة، حتى يزرع كلامي في أرض قلبك. لو كان لك عقل لقعدت في صحبتي وقنعت مني كل يوم بلقمة، وصبرت على خشونة كلامي. كل من كان له إيمان ثبت ونبت ومن ليس له إيمان يهرب مني. ويلك يا من يدعي الاطلاع على حالة غيره، كيف يصدقك وأنت ما اطلعت على حال نفسك. ذلك كذب فتب من كذبك.

اللهم ارزقنا الصدق في جميع الحالات وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

مجلس «التوحيد»

(وحد الحق عزَّ وجلَّ حتى لا يبقى في قلبك من جميع الخلق ذرة)

الدنيا، القلب. النفس. السر. الحزن والفرح. الزهد. الكشف والحجب. المجاهدة والموهبة. الإيمان. الخروج للخلق. باب الحق.

يا غلام: دع النفس للدنيا، والقلب للآخرة، والسر للمولى. لا تطمئن إلى الدنيا، هي حية مُزينة، تدعو الناس بزينتها، ثم تهلكهم، أَعرض عن هذا إعراضاً خالصاً، أخلص في عبادة ربك عزَّ وجلَّ، وفي صحبة إخوانك الصالحين، وفي خدمتهم، وفي الإعراض عن الشهوات.

وحد الحق عزَّ وجلَّ حتى لا يبقى في قلبك من جميع الخلق ذرة، لا ترى داراً ولا دياراً، لا ترد إرادة إلا التوحيد. التوحيد يقتل الكل، كل الدواء في التوحيد للحق عزَّ وجلَّ. وفي الإعراض عن حب الدنيا. لا خير فيك حتى تعرف نفسك، وتمنعها حظها، وتعطيها حقها،.. حتى تطمئن إلى القلب ويطمئن القلب إلى السر ويطمئن السر إلى الحق عزَّ وجلَّ.

لا ترفعوا عصا المجاهدة عن نفوسكم، لا تغتروا بدواهيها، لا تغتروا بتناومها عنكم، لا تغتروا بنوم السبع عنكم، فإنه يريكم أنه نائم وهو ينتظر الفريسة ليفترسها. احذروه وهو نائم كما تحذروه وهو منتبه، كونوا على حذر من نفوسكم. لا تضعوا السلاح عن أعناق قلوبكم، هذه النفس تظهر الطمأنينة والذل والتواضع والموافقة في الخير، وهي تبطن خلاف ذلك. كن على حذر مما يأتيكم منها بعد ذلك. أكثروا من الحزن وأقلوا من الفرح، فإن هذا الأمر مبني على الحزن والكآبة. وهكذا كان الأنبياء والمرسلون والصالحون الذين تقدموا صلوات الله وسلامه عليهم. كان النبي (ﷺ)، طويل الحزن، دائم التفكر، لا يضحك إلا بالتبسم، ولا ينبسط إلا تكلفاً. العاقل منكم من لا يفرح بالدنيا ولا بالأولاد والأهل والمال والمأكولات والملابس والمراكب والمناكح، كل هذا هوس، فرح المؤمن بقوة إيمانه ويقينه ووصول قلبه إلى باب قرب ربه عزَّ وجلَّ. افتح عين نفسك وقل لها انظري إلى ربك عزَّ وجلَّ، كيف ينظر إليك، انظري كيف أهلك من كان قبلك من الملوك والأغنياء. اذكري

مصارع من تقدم الذين سلكوا هذه الدنيا وتمتعوا بنعيمها، ثم سلبت من أيديهم وسلبوا منها، وهم الآن مأسورون في سجن العذاب، قصورهم خاوية وبيوتهم خربة، وأموالهم ذاهبة، وأعمالهم باقية. ذهبت الشهوات وبقيت التبعات. لا تفرح بما تحب في وقت الفرج، لا يعجبك حسن وجه زوجتك وولدك ودارك وكثرة مالك. لا تفرح بما لم يفرح به من تقدم من الأنبياء والمرسلين والصالحين صلوات الله عليهم أجمعين.

قال الله عزَّ وجلَّ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ سورة القصص، الآية 76.

بالدنيا وأهلها وبما سواه، ويحب الفرحين به وبقربه عزَّ وجلَّ. وسوسة القوم وتفكرهم ما يزيد أن يكون من أمور الآخرة، لا في الشهوات واللذات والترهات. يا مهووس ما عندك خبر مما تريد ان يكون منك. يا غافلين، في الآخرة عذاب شديد، لمن لم يعمل بطاعة الله عزَّ وجلَّ. إذا استقام العبد وودع الكل وتركه وراء ظهر قلبه يهون عليه ملك الدنيا لملك الآخرة. يقدم على النار والسباع ويخالط الوحوش ويهرب من الخلق، يُسَلِّمُ نفسه إلى عطش البراري وجوعها وهلاكها، ويقول يا دليل المتحير دلني عليك.

يا غلام: اجعل الهم بها واحداً، وهذا لا يتم إلا بعد الزهد في الحرام، ثم الزهد في المباح. ثم الزهد في الحلال المطلق، اجتهد أن تمسي وتصبح وليس في قلبك ذرة من الخلق.

إني أراك جبلاً من الشهوات واللذات والخلق والدنيا والاعتماد على الأسباب، فلم تتكلم في أحوال الصالحين وتدعيها لنفسك حالاً؟ تخبر غيرك، وتنفق علينا من كيس غيرك، تطالع الدفاتر وتستخرج منها كلامهم وتتكلم به، وتوهم السامعين أن هذا من خاطرك، وقوة حالك ونطق قلبك.

ويلك اعمل بما قالوا أولاً، ثم تكلم، يكون كلامك ثمرة شجرة عملك، ما يجيء هذا بمجرد رؤية الصالحين، والتحفظ لكلامهم، بل العمل بما يقولون وحسن الأدب في صحبتهم، وحسن الظن فيهم والملازمة لذلك في جميع الأحوال. العاصي يثاب على قدر خطواته بقدمه، والخالص يثاب على قدر همته، ومن صارت همومه هماً واحداً، كان الحق عزَّ وجلَّ واحداً، إذا ولى بقلبه عن غيره ولاّه

تعالى. قال عزَّ من قائل في محكم كتابه: ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلۡكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ سورة الأعراف، الآية 196.

إذا اتصل قلب هذا العبد بربه عزَّ وجلَّ صار هو طبيبه وأنيسه، لا يُطيّبه غيره ولا يؤنسه غيره، كان داوود على نبينا وعليه الصلاة والسلام يقول: إلهي قد أتيت أطباء عبادك فكلهم عليك دلوني. يا دليل المتحير دلني. من أحب الله عزَّ وجلَّ صار قلبه شوقاً كلياً، الإعراض كلياً فناء كلي. لاجرم أن تصير همومه هَماً واحداً. حقيقة الكشف لا تتم إلا بعد الخروج من المحب. إن أردت الوصول، فاترك الدنيا والآخرة. وما تحت العرش إلى الثرى، كل المخلوقين حجاب، سوى الرسول (ﷺ)، فإنه هو الباب، قال الله عزَّ وجلَّ في حقه ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ۚ ﴾ سورة الحشر، الآية 7.

فاتباعه ليس بحجاب، بل هو سبب الوصول.

يا غلام: متى يفقه قلبك ويصفو سرك وأنت مشرك بالخلق؟ كيف تفلح وأنت في كل ليلة تعين على من تمضي عليه وتشكو إليه وتكدي منه؟ كيف يصفو قلبك وهو فارغ من التوحيد، ما فيه ذرة منه؟ التوحيد نور والشرك بالخلق ظلمة. كيف تفلح وقلبك فارغ من التقوى، ما فيه ذرة منه. أنت محجوب عن الخالق بالخلق، محجوب بالأسباب عن المسبب، محجوب بالتوكل على الخلق وبالثقة لهم، أنت دعوى مجردة تافهة.

هذا الأمر إنما يصح بوجهين اثنين، الأول: المجاهدة والمكابدة وحمل الأشق والأَتعب وهو الغالب المعروف بين الصالحين، والثاني: موهبة من غير تعب وهو نادر لآحاد وأفراد من الخلق.

يا غلام: عليك بخويصتك عند ضعف إيمانك، ما عليك من أهلك وجيرانك وأهل بلدك، وإقليمك، فإذا قوى إيمانك فابرز إلى أهلك وولدك ثم إلى الخلق، لا تخرج إلا وتتدرع بدرع التقوى، وتترك على رأس قلبك خوذة الإيمان، وبيدك سيف التوحيد، وفي حقبك سهام إجابة الداعي، وتركب على حصان التوفيق، وتتعلم الكر والفر والضرب والطعن. ثم تحمل على أعداء الحق عزَّ وجلَّ، فحينئذ تجيئك النصرة والمعونة من جهاتك الست، يميناً وشمالاً وفوقاً وتحتاً وأماماً ووراءً، فتأخذ

الخلق من أيدي الشياطين، وتحملهم إلى باب الحق عزَّ وجلَّ، من وصل إلى هذا المقام، كشفت له الحجب عن عين قلبه، كيفما التفت إلى جهة من جهاته الست خرق نظره الحجب، ولم يحجب عنه شيء، يرفع رأس قلبه فيرى العرش والسموات، وإذا أطرق رأى أطباق الأرض وسكانها من الجن والإنس والوحوش، إذا وصلت إلى هذا المقام فادعُ الخلق إلى باب الله عزَّ وجلَّ، وقبل هذا لا يجيء منك شيء، إذا دعوت الخلق ولست على باب الخالق كان دُعاؤك لهم وبالاً عليك، كلما تحركت نزلت تطلب الرفعة اتصفت، ولا عندك من الصالحين خير، أنت تعلقه، أنت لسان بلا جنان، أنت ظاهر بلا باطن، جلوة بلا خلوة، وجولة بلا صولة، سيفك من خشب سهامك من كبريت، أنت جبان لا شجاعة لك، أدنى سهم يقتلك يقيم عليك قيامتك.

اللهم قَوِّ أدياننا وإيماننا وأبداننا، بقربك. وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

مجلس (الفناء)

الخوف. يوسف (ﷺ). الحب والشوق. خزانة الحق (القلب). القرب.

العبد إذا فنى عن نفسه وهواه وإرادته وعن الخلق، صار في الآخرة بمعناه وفي الدنيا بصورته يصير في علم الله عزَّ وجلَّ وفي قبضته، سابحاً في بحر قدرته. فإذا اشتد خوف هذا الخائف، وأشرف قلبه على التَّقطع من الخوف، قربه الحق عزَّ وجلَّ وعرفه نفسه، وبشره وأسكن روعه، كما فعل يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام بأخيه بنيامين، نظر إليهم مجتمعين. ورآه وحده متميزاً عنهم، أجلسهم يأكلون موضعاً واحداً وأقعده إلى جنبه وأكل معه، فلما فرغوا من الأكل، سره سراً وقال له إني أنا أخوك يوسف، ففرح ثم قال له أريد أن أُسرقك وأتهمك فاصبر على البلية، فتعجب أخوته مما جرى معه وحسدوه كما حسدوا يوسف من قبل، فلما أظهر سرقته وعيبه جاءت كرامته وقربه منه، هكذا المؤمن إذا ولاه الله عزَّ وجل امتحنه بالبلايا والآفات، فإذا صبر عليها ميزه بالكرامة والقُربة.

يا غلام: تتابع عند مجيء الأمر، وتمارض عند مجيء النهي، وغِبْ واسكنْ عند مجيء الآفات والأقدار. قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ﷺ) وكرم الله وجهه: (كن كأنك ميت فيما يرجع إلى جلب النفع إليك، ودفع الضر عنك).

المحب يسمع ويبصر بالإضافة إلى الحق عزَّ وجلَّ، وهو أعمى وأصم بالإضافة إلى الخلق. قد أحاط الشوق على حواسه الخمس، قالبه مع الخلق، ومعناه مع الخالق، كائن بائن على الأرض أقدامه، وفي السماء همته، وفي قلبه هموم. فالخلق لا يشعرون، يرون أقدامه ولا يرون همته ولا همومه، لأنهما في خزانة القلب، التي هي خزانة الحق عزَّ وجلَّ.

أين أنت من هذا يا كذاب؟ أنت قائم مع مالك وولدك وجاهك وشركك بالخلق والأسباب. فأنت تدعي قرب الحق عزَّ وجلَّ، الكذب ظلم، لأن حقيقة

الظلم وضع الشيء في غير موضعه. تُب من كذبك قبل أن يعود عليك شؤم كذبك. اصحب القوم فإن من صفاتهم أنهم إذا نظروا إلى شخص وجعلوا همتهم إليه، أحبوه وإنْ كان ذلك المنظور إليه، يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً، فإن كان مسلماً زاد إيمانه ويقينه وثباته.

مجلس «باب القرب»

(هات العمل الصالح وخذ القرب من رب العالمين)

التربية. أهل الجنة. المحب. قصر الأمل. الموت. الأسرار. ما وراء المعقول. تيه التكوين. القسمة.

يا غافلين عن الحق عزَّ وجلَّ وعن الصالحين من عباده، الأموال والأولاد لا تقربكم إلى الحق عزَّ وجلَّ، إنما يقربكم إليه التقوى والعمل الصالح.

الكفار كانوا يتقربون إلى السلاطين والملوك بأموالهم وأولادهم. ثم قالوا إذا أراد الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة، بأن نتقرب إليه بأموالنا وأولادنا فعلنا. فأنزل الله عزَّ وجلَّ قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ سورة سبأ، الآية 37.

إذا تقربتم إلى الله عزَّ وجلَّ بأموالكم وأنتم في الدنيا نفعكم ذلك، وإذا علمتم أولادكم الخط والقرآن والعبادة، وقصدتم التقرب إلى الله عزَّ وجلَّ نفعكم ذلك، تجدون نفع ذلك ثواباً بعد موتكم، وقد أخبركم أن جميع ما أنتم فيه لا ينفع، وإنما ينفع الإيمان والعمل الصالح والصدق والتصديق.

ما يزال هذا المؤمن العارف رضى الله عنه، يُرضي الرسول (ﷺ) بالعمل معه حتى يستأذن بقلبه على ربه عزَّ وجلَّ، يكون كالغلام بين يديه، فإذا طالت خدمته يقول يا أستاذ أرني باب الملك، أشغلني معه أوقفني موضعاً أراه، اترك يدي في حلقة باب قربه، فأخذه معه قَربه من الباب، قيل له يا محمد ﷺ من معك؟ يا سفيراً يا دليلاً يا معلماً، فيقول إنك تعلم [أنه] فُرَيْخ قد ربيته ورضيته لخدمة هذا الملك، ثم يقول لقلبه ها أنت وربك، كما قال جبرائيل له عليهما السلام لما رقى به إلى السماء ودنا من ربه عزَّ وجلَّ: ها أنت وربك.

يا غلام: هات العمل الصالح وخذ القرب من رب العالمين. أما أهل الجنة فهم في الغرفات آمنون، من آفات الدنيا ومن الصبر على الفقر وموت العيال والأمراض

والأسقام والغموم والهموم آمنون من الموت ومن شرب كأسه مرة بعد أخرى، ومن مسائل منكر ونكير، يدخلون الجنة وتغلق الأبواب خلفهم لا خروج لهم منها أبد الآباد. راحة أهل الجنة في دخولهم إليها. وأما المحبون فلا راحة لقلوبهم ولو دخلوا ألف ألف حبة حتى يروا محبوبهم، ما يريدون مخلوقاً وإنما يرون خالقاً، ما يريدون النعم وإنما يريدون المنعم، يريدون الأصل لا الفرع، وهم [في] نزاع العشائر مفردون الملك، ضاقت بهم أرض قلوبهم بما رحبت، عندهم شغل شاغل عن الخلق.

إذا رأت قلوبهم الجنة يقظة أو مناماً لا يعيرونها طرفاً، ينظرون إليها كما ينظرون إلى السباع والقيود والسجون، يقولون كلها بما فيها حجب ووهمٌ وعذاب، ويهربون منها، كما تهرب الخلق من السباع والقيود والسجون.

يا غلام: قصر أملك وقلل حرصك، صلِ صلاة مودع، احضر عندي حضور مودع فإن جاءك القدر بحضور يوم آخر، فذاك من حسابك، لا ينبغي لمؤمن أن ينام إلا ووصيته مكتوبة تحت رأسه، فإن أيقظه الحق عزَّ وجلَّ في عافيته كان مباركاً فيها، وإلا فيأخذ أهله وصيته فيعملون بها بعد موته، وإن كان مات يترحمون عليه، يكون أكلك أكل مودع وقعودك بين أهلك قعود مودع، ولقاؤك لإخوانك وأصدقائك لقاء مودع، كيف لا يكون كذلك من أمره في يد غيره؟ إنما آحاد أفراد من الخلق يطلعون على ما يكون منهم ولهم، وأي وقت يموتون وهو مخزون في قلوبهم، يرون ذلك عياناً كما ترون أنتم الشمس، لا تفتر عنهم ألسنتهم أول ما يطلع على ذلك السّر، ويُطلع السّر القلب، ويُطلع القلب النفس المطمئنة تكتم ذلك. تطلع على هذا الأمر تأدّبها وخدمتها للقلب، وقيامها معه، تأهل لذلك بعد المجاهدات والمكابدات. ومن وصل إلى هذا المقام فهو نائب الحق عزَّ وجلَّ في الأرض وخلفيته فيها. هو باب الأسرار عنده مفاتيح خزائن القلوب التي هي خزائن الحق عزَّ وجلَّ. هذا شيء من وراء معقول الخلق، جميع ما يظهر منه فهو ذرة من جبله وقطرة من بحره ومصباح من شمسه، اللهم إني أعتذر إليك من الكلام في هذه الأسرار وأنت اللهم تعلم أني مغلوب.

قد قال بعضهم إياك وما يعتذر منه، ولكني إذا صعدت إلى هذا الكرسي أغيب عنكم، فلا يبقى بحذاء قلبي من أعتذر إليه وأتحفظ منه.

هذا القلب إذا صح وثبت أقدامه على باب الحق عزَّ وجلَّ، وقع في تيه التكوين وفي واديه وفي بحره، يكون تارة بكلامه وتارة بهمته وتارة بنظره، يصير فعل الله عزَّ وجلَّ، وينعزل هو بفنائه وهو يبقى، القليل منكم من يؤمن بهذا والأكثر منكم من يكذب به، الإيمان بهذا أولاً تيه والعمل به نهاية، ما يجحد بأحوال الصالحين إلا منافق دجال راكب هواه. هذا الأمر مبني على الاعتقاد الصحيح ثم العمل بظاهر الحكم، أورثه العمل المعرفة بالله عزَّ وجلَّ، والعلم بينه وبين ربه عزَّ وجلَّ، تصير أعماله الظاهرة ذرة بالإضافة إلى جبل أعماله الباطنة، تسكن جوارحه وقلبه لا يسكن، عينا رأسه تنامان وعينا قلبه لا تنامان، عمل قلبه لا يفتر ويذكر وهو نائم، متى تعرفون الدنيا فتتركونها؟ متى تعرفون الآخرة فتتركونها؟ وتَكونون مُطلقين لها. متى تتركون الحسد لأخوانكم والتمني لما في أيديهم؟ ويحك تحسد أخاك المسلم على زوجته وولده وداره وما في يده من الدنيا، وتتمنى سعة الرزق وقد سبق العلم بضيقه فأنت معاقب ممقوت، لأنك تطلب ما لم يقسم لك، كم تسعى في طلب الدنيا وتحرص؟ وليس لك منها إلا ما قد قسم لك.

اللهم أيقظ قلوبنا من غفلاتها وأيقظنا لك، ووفقنا في خدمتك، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

مجلس «الصالحون»

(لا يزال المؤمن في تعب حتى يلقى ربه عزّ وجلّ)

كتاب الأمان، اليقين، المعرفة، صفة اللقاء.

عن النبي (ﷺ) أنه قال: استعينوا على كل صنعة بصالحي أهلها.

هذه العبادة صنعة وصالحوا أهلها، الصالحون في الأعمال العاملون، المخلصون بالحكم العاملون به. المودعون للخلق بعد معرفتهم به. الهاربون من أنفسهم ومن أموالهم وأولادهم وجميع ما سوى ربهم عزَّ وجلَّ. بأقدام قلوبهم وأسرارهم، مبانيهم في العمران بين الخلق وقلوبهم في البراري والقفار، لا يزالون على ذلك حتى تتربى قلوبهم وتتقوى أجنحتها فتطير إلى السماء، علت همتهم فطارت قلوبهم وصارت عند الحق عزَّ وجل. فصاروا من الذين قال الله عزَّ وجلَّ في حقهم: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ سورة ص، الآية 47.

ولا يزال المؤمن يخاف حتى يعطى سره كتاب الأمان، فيخبئهُ عن قلبه ولا يطلعه عليه، وهؤلاء آحاد أفراد.

ويحك يا مشرك بالخلق كم ندق أبواباً ليس من ورائها دياركم، كم تدق على حديد بلا نار، لا عقل لك، لا فكر لك، لا تدبير لك.

ويلك ادن مني وكل من طعامي لقمة لو ذقت من طعامي، زهدت في طعام غيري، لو ذقت طعام الخالق لزهد قلبك وسرك في طعام الخلق.

هذا شيء يكون في القلوب من وراء الثياب واللحوم والجلود، لا يصلح هذا القلب وقد بقى فيه ذرة من الخلق، ولا يصلح الإيقان وفي القلب من حب الدنيا ذرة. إذا صار الإيمان يقيناً واليقين معرفة، والمعرفة علماً. فحينئذ تصير جهبذاً[1] لله عزَّ وجلَّ. تأخذ من يد الاغنياء وتعيد إلى الفقراء، تصير صاحب المطبخ تجري الأرزاق على يد قلبك وسرك، لا كرامة لك يا منافق حتى تكون كذلك.

---

(1) الجَهبذ: النقَّاد، الخبير بغوامض الأمور، البارع، العارف بطرق النقد.
(تاج العروس) لمرتضى الزُّبيدي، مادة [جهبذ].

ويلك ما تهذبت على يد شيخ ورع زاهد عالم بحكم الله عزَّ وجلَّ وعلمه. ويلك تريد شيئاً بلا شيء ما يقع بيدك. إذا كانت الدنيا لا تحصل إلا بالتعب. فكيف ما عند الله عزَّ وجلَّ؟ أين أنت من الذين وصفهم الله عزَّ وجلَّ في كتابه بكثرة عبادتهم فقال عزّ من قائل:

﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ ﴾ سورة الذاريات، الآيتان 17 - 18.

لما علم صدقهم في عبادتهم أقام لهم من ينبههم ويقيمهم من فراشهم،

قال النبي (ﷺ): يقول الله عزَّ وجلَّ لجبرئيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام. يا جبرائيل أقم فلاناً وأنم فلان.

القوم إذا انتهت خطى قلوبهم إلى الله عزَّ وجلَّ رأوا في المنام ما لم يروا في اليقظة. ترى قلوبهم وأسرارهم شيئاً لا يرونه في اليقظة، صاموا وصلوا وجاهدوا أنفسهم وكسروا الأعراض وواصلوا الضياء بالظلام في أنواع العبادات حتى حصلت لهم الجنة، فلما حصلت لهم قيل لهم الطريق غير هذا، وهو طلب الحق عزَّ وجلَّ، فتصير أعمالهم من حيث القلوب. فإذا وصلت إليه ثبتت. عنده من علم ما يطلب، هان عليه ما يبذل من قواه وجهده في طاعة الله عزَّ وجلَّ.

لا يزال المؤمن في تعب حتى يلقى ربه عزَّ وجلَّ. قال النبي (ﷺ):

إذا مات الرجل ودخل في قبره وسأله منكر ونكير وأجابهما، أُذن لروحه بالصعود إلى الله عزَّ وجلَّ والسجود له ومعها جماعة من الملائكة فتلقاه وينكشف لها ما كان محجوباً عنها، ثم تحمل إلى الجنة مع أرواح الصالحين فيستقبلونها ويسألونها عن أحوالها وعن أمور الدنيا، فتخبرهم بما تعلم من ذلك، ثم يقولون لها ما فعل فلان؟ فتقول مات قبلي فيقولون ما وصل إلينا، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، سلك به إلى أمه الهاوية. ثم تجعل في حوصلة طير أخضر ترى في الجنة وتأوى إلى قنديل معلق تحت العرش.

هذه صفة لقاء الأغلب من المؤمنين عليهم سلام الله وتحياته، اللهم اجعلنا منهم وأحيينا محياهم وأمتنا مماتهم آمين.

مجلس «الفقراء»

(عين السر ينظر بها إلى الحق عزَّ وجلَّ)

السلوك، المحاسبة، السماع، القلوب، الخوف والرجاء، عين الرأس والقلب والسر، المؤمن، الموت. المريد والشيخ، النفس والطبع، اتباع الرسول (ﷺ)

يا فقراء يا مبتَلِين بالمصائب، اذكروا الموت وما وراءه، وقد هان عليكم فقركم ومصائبكم، وسهل عليكم وداع الدنيا وأهلها.

اقبلوا مني فإني جربت هذا وسلكته. القوم لا يريدون غير وجه الله عزَّ وجلَّ. قاموا من الجنان ووقفوا بين يدي خالق الجنان، تتجافى جنوبهم عن المضاجع طلباً لوجهه ومرضاته، حيل بين قلوبهم وأهليهم، جاءهم أمر نبيهم، وأغلق دكاكينهم وأسكنهم الفيافي والقفار، لا قرار لهم، ولا ليلهم ليل، ولا نهارهم نهار، تتجافى جنوبهم عن المضاجع، تصير قلوبهم كالحَب في المقلا الحار[1] تنفر وتهرب من قلوبهم، حب على مقلا التفكر في المحاسبة، والمناقشة والمحاققة، هم العقلاء الأذكياء الفطناء، الذين عرفوا الدنيا وأهلها، عرفوا مكائدها وسحرها وغدرها وذبحها لأبنائها.

نودي بقلوب القوم، فتجافت قلوبهم عن المضاجع، سمعت معانيهم بعد سماع صورهم، سمعت الطيور مع سماع الاقفاص، وسمعوا الحق عزَّ وجلَّ في بعض كلامه كذب من ادعى محبتي إذا جن عليه الليل نام عني. خجلوا واستحوا من هذه الموافقة، فقاموا بين يديه في ظلمة الليل ووضعوا أقدامهم بين يديه، وأرسلوا دموعهم على خدودهم، خاطبوه بدموعهم ودخلوا عليه بأقدام قلوبهم ووقفوا بين يديه بقدمي الخوف والرجاء، خوفاً من الرد، ورجاء القبول.

يا قوم: اخدموا هذا الحكم الظاهر، اعملوا بكتاب الله وسنَّة رسوله (ﷺ)، وأخلصوا في أعمالكم، ثم انظروا ماذا ترون من ألطافه وكراماته، وطيب مناجاته؟

يا محرومين يا آبقين يا مدبرين: أقبلوا يا هاربين، ارجعوا لا تهربوا من سهام

---

(1) المقلا أو المقلاة: هو ما يعرف بالطنجير أو (الطاوة) في بغداد. أداة لقلي اللحم والطعام.

الآفات، إنما هو توهيم، اثبتوا وقد كفيتم أمرها وشرها، اثبتوا ما يقع فيكم شيء، غيركم تريها صدور الصادقين، ما أنتم أهلها، لا هي لكم ولا أنتم لها. أنتم نظارة أنتم تبع، أنتم مكثروا سواد القوم، ومن كثّر سواد القوم فهو منهم.

المؤمن له ثلاثة أعين، عين الرأس ينظر بها إلى الدنيا، وعين القلب ينظر بها إلى الآخرة، وعين السر ينظر بها إلى الحق عزَّ وجلَّ، عين الرأس تفنى مع الدنيا،وعين القلب تفنى مع الآخرة، وعين السر تبقى مع الحق عزَّ وجلَّ في الدنيا والآخرة، لأنها ناظرة إليه دنيا وأخرى.

المؤمن الذي هو هذه صفته، إذا كان في العمران فهو رحمة لأهل العمران، لولاه لخسف بتلك الناحية ولولاه وقعت الحيطان على أهلها.

صدقوا بهذا وآمنوا به، ولا تكونوا مع الجهال الذين قتلوا الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والمعادين لهم ولربهم عزَّ وجلَّ المبعدين المحجوبين المطرودين.

اللهم تب علينا واهدنا واهدهم... آمين.

يا متنعمين بنعيم الدنيا، عن قريب تفارقون نعيمكم، ما أحسن ما قال بعض الشعراء شعرا

إن لم تبادر فهو الفوت، نل كل ما شئت وعش ناعماً، آخر هذا كله الموت

عن قريب يفنى مالك وعمرك، ويكل بَصَرُك ويختل عقلك ويقل أكلك وشربك، ترى الشهوات فلا تقدر أن تأكل منها شيئاً، تبغضك زوجتك وجاريتك وولدك، ويتمنون موتك، يُلقى عليك الهَم والغَم، وتذهب عنك الدنيا، وتقبل عليك الآخرة. فإن كان لك عندها عمل صالح استقبلتك وضمتك إليها، وإن لم يكن ذلك فالقبر موضعك والنار مأوى لك.

كان النبي (ﷺ) يقول: العيش عيش الآخرة. يكرر ذلك على نفسه وأصحابه (ﷺ)، تعلموا مني يا جهال، اتبعوني فإني أهديكم إلى سبيل الرشاد، ويلك تدعي إرادتي وتخبئُ مالك عني، كذبت في دعواك.

المريد ليس له قميص ولا عمامة ولا ذهب ولا ملك بالإضافة إلى شيخه، إنما يأكل على طبقه ما يأمره بأكله، هو فان عنه ينتظر أمره ونهيه، يعلم أن ذلك مصلحة من الله عزَّ وجلَّ على يده، وفتلٌ في حباله. إن اتهمت شيخك فلا تصحبه، فإنه لا

تصح لك صحبته ولا إرادته، المريض إذا اتهم الطبيب لم يبرأ بمداواته.

يا غلام: لا تشتغل بما لا يعنيك فيفوتك ما يعنيك، ذكرك لأحوال غيرك، وعيوبه مما لا يعنيك، وذكرك لأحوال نفسك مما يعنيك.

صاحب النفس والهوى والطبع، كل كلامه عليه لا له، هو كحاطب الليل لا يدري ما يقع بيده، إذا اطمأنت النفس وانخمدت ثائرة الهوى والطبع عنها ترعرع العقل، وقوى الإيمان، وجاء السكون، وجاء التَّمييز بين الحق عزَّ وجلَّ والباطل، فيمسك عن الباطل ويتكلم بالحق، ثم يأتيه الحكم فيعمل به، فيصير عبداً له، يطيع الرسول (ﷺ) في أمره ونهيه لأنه سمع قول الحق عزَّ وجلَّ يقول ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ سورة الحشر، الآية 7.

اعلم أن هذا عام في جميع ما أتى به من الأوامر والنواهي فيقبل أمره في الطاعات وينتهي عن نهيه. (ﷺ)، فحينئذ يصير مسلماً يقيناً، فإذا تحقق في ذلك، صار عارفاً بالله عز وجل، يصير عنده سكون وصمت وإصغاء دائم لما يقال له في قلبه، يصير عنده حديثاً دائماً، وفرحة دائمة.

اللهم ارزقنا لذة قربك وطيب مناجاتك والفرح بك وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

مجلس «العبادة»

(العبادة بترك العادة)

زهد القلب والسر، الخلوة والعزلة. العادة والعبادة، الحزن، أحوال النبي (ﷺ)،

من صح زهده في الخلق صحت رغبتهم فيه، وانتفعوا بكلامه وبالنظر إليه، وإذا صح زهد القلب في الخلق، وزهد السر في جميع ما سوى القرب منه، كان القرب في الدنيا خليله وفي الآخرة أنيسه، إذا عَلمت الخلق بعلم الله وعَرّفتهم بمعرفته، غابت عنك صفاتهم، ينعدم عنك الإنس والجن والملك، لوصف قلبك بصفة أخرى، وكذلك سرك، تنحى عنك قشرة وجودك، قشرة عادة النبي آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام، يأتي الحكم فيصير قميصاً عليك فتكون متلبساً بأمر نفسك وبخلق ربك عزَّ وجلَّ وأمره، ويأتي العلم الرباني الإلهي فيصير قميصك على قلبك وسرك.

لا تنعزل في صومعتك مع الجهل، فإن الانعزال مع الجهل فساد كلي، ولهذا قال النبي (ﷺ): تفقه ثم انعزل.

لا ينبغي لك أن تقعد في صومعة وعلى وجه الأرض أحد تخافه وترجوه، لا ينبغي لك سوى مخوف واحد ومرجو واحد هو الله عزَّ وجلَّ.

العبادة بترك العادة. لانت[1] العادة حتى تصير موضع العبادة. لا تطلبوا التعلق بالدنيا والآخرة والخلق، وتعلقوا بالحق عزَّ وجلَّ، لا تتبهرجوا فإن الناقد بصير، ما يأخذ منكم إلا بمحك التبهرج الذي معكم، ارموه لا تعدوه شيئاً، ما يأخذ منكم إلا ما يدخل الكير ويصفى من الدغل، فلا تحسبوا أن الأمر سهل، الكثير منكم يدعون الإخلاص وهم منافقون، لولا الامتحان لكثرت الدعاوى، من ادعى الحلم نمتحنه بالإغضاب، ومن ادعى الكرم نمتحنه بالسؤال، ومن ادعى شيئاً امتحناه بضده.

إذا ترك العبد الدنيا والآخرة وخرج مما سوى الله تعالى، وحصل قلبه في دار

(1) لانت: من لين.

قربه ومنته ولطفه لا يكلفه تحصيل الطعام والشراب واللباس أو شيء من مصالحه يستنزه قلبه عن الاشتغال بذلك ويحكم، تريدون شيئاً بلا شيء، ما يقع في أيديكم أدوا الثمن وخذوا المثمن، احتملوا همَّ الدنيا حتى يحصل لكم فرج الآخرة. كان نبيكم (ﷺ) طويل الحزن دائم الفكر، كان (ﷺ) كثير العبادة وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، كان (ﷺ) يتفكر تارة في الخلق وأخرى في الخالق. كان (ﷺ) يتفكر فيما يتم على أمته من بعده. كان الحسن البصري[1] رحمه الله إذا خرج من بيته كأنه نشر من قبره وأثر الحزن على وجهه، الحزن دأب المؤمن في جميع أحواله حتى يلقى ربه عزَّ وجلّ.

القوم لا يزالون على قدم الخرس، إلى أن يأتيهم الإذن بالنطق على الخلق، يجمع بينهم وبين المريدين الصالحين فينطقون عليهم، ويدلونهم على مرادهم، يصير لهم نطقاً كلياً، فإذا مالت قلوبهم إلى الخلق جاءتهم يد الغيرة بالقبض واللجام لغلق الباب من دونهم، حتى يعتذروا ويتوبوا. فإذا تحققت توبتهم فتح لهم الباب، وقربت قلوبهم.

يا موتى القلوب ما قعودكم عندي، يا عبيد الدنيا والسلاطين، يا عبيد الأغنياء، يا عبيد الغلا والرخص لو بلغ ثمن حبة من الحنطة ديناراً لا أُبالي. المؤمن لا يهمه رزقه لقوة يقينه واتكاله على ربه عزَّ وجلَّ.

لا تعد نفسك مع المؤمنين، انعزل منهم، سبحانه أوقفني بينكم، كلما طال جناح جاءت يد القدرة قصته، وكلما طال جناح العلم قصه مقراض الحكم. اقبلوا قولي ونصحي عليكم بدلالات التوحيد والإصغاء إلى كلمات الصديقين والأولياء، كلامهم كالوحي من الله عزَّ وجلَّ، ينطقون عنه ويأمرهم من وراء العالم، أنت هوس تؤلف كلامك من الكتب وتتكلم به، إن ضاع كتابك ما تصنع أو وقع الحريق في كتبك أو انطفأ مصباحك الذي تبصر به، وانكسرت جرتك فتبدد الماء الذي فيها، أين مقدحتك وحراقك وكبريتك ومعينك؟ من تعلم. اعمل. وأخلص به، صارت

(1) الحسن البصري: أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن، من التابعين. وصفه صاحب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء بقوله الحسن البصري حليف الخوف والحزن، أليف الهم والشجن. عديم النوم والوسن. نقل عنه حزم بن أبي حزم، قال: سمعت الحسن يحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما يسع المؤمن في دينه إلا الحزن. حلية الأولياء.جـ2. ص120ـ122.

المقدمة والمعين في قلبه، يصير قلبه نور الله عزَّ وجلَّ يستضيء به، هو وغيره. تنحوا يا أبناء اللقلقة يا أبناء الصحف المؤلفة بأيدي النفوس والأهوية.

ويلكم تنازعون المحظوظ، تنقصمون وتهلكون، ولا يتغير حظه، كيف يتغير حظ السابقة والعلم[1].

(1) حظ السابقة والعلم: ما كتب لكل عبد في السابق، من علم الله من أقسامه وأرزاقه وحظوظه.

مجلس «المسلم»

(حقيقة الإسلام الاستسلام)

التسليم، الخوف، الاغترار، مجالس الذكر

كونوا مُسلمين ومُسَلمين[1]، أما سمعتم قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝ ﴾ سورة الزخرف، الآية 69.

حقيقة الإسلام الاستسلام. القوم استطرحوا بين يدي ربهم عزَّ وجلَّ ونسوا لمَ؟ وكيف؟ افعل ولا تفعل. يعملون أنواع أعمال الطاعات وهم وقوف على قدم الخوف، ولهذا وصفهم الحق عزَّ وجلَّ فقال ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝ ﴾ سورة المؤمنون، الآية 60.

يتمثلون أوامري وينهون عن مناهي ويصبرون على بلائي، ويشكرون على عطائي، ويسلمون أنفسهم وأموالهم وأولادهم وأعراضهم إلى يد سابقتي، وقلوبهم وجلة خائفة مني. يا مغتر بغنائه وصفائه، عن قريب ينقلب صفاؤك كدراً وغناؤك فقراً وسعتك ضيقاً. لا تغتر بما أنت فيه، وعليك بالمواظبة، على مجالس الذكر وحسن الظن بالشيوخ العمال بالعلم، والاستماع منهم والإصغاء لما يقولون.

---

(1) قال الإمام البخاري في صحيحه: باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف لقوله تعالى: "قالت الاعراب آمنا قُل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا" سورة الحجرات، الآية 14. فإذا هو على الحقيقة فهو على قوله - جلَّ ذكره "إنَّ الدين عند الله الإسلام" سورة آل عمران، الآية 19.

وكان سيدنا عبدالقادر الكيلاني كما جاء في كتاب الغنية ج1، ص62. يقول: وأما الإسلام فهو من جملة الإيمان. وكل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيماناً. وله استشهاد بسورة الحجرات، الآية14.

مجلس «المريد»

(يامريدين أفرغوا قلوبكم من الخلق)

الشيخ. الصحبة. القلب. جنة القرب. مناظرة النفس وترويضها وتربيتها. عشق النفس. التسويف. جمع الأموال.

إذا صحت صحبة المريد للشيخ، لقمه ورزقه ما في قلبه، طعام المعرفة وشرابها.

يا مريدين أفرغوا قلوبكم من الخلق، وقد رأيتم العجب غدا، يقال لأهل الجنة ادخلوا الجنة. واليوم إذا طلع الحق عزَّ وجلَّ على قلوب خواصه من عباده فرآها فارغة من الدنيا والجنة وما سواه، يقول لهم ادخلوا جنة قُربي عاجلاً أو آجلاً.

ويلكم لا توافقوا نفوسكم على مخاصمة ربكم عزَّ وجلَّ، أعدى عدو لكم نفوسكم التي بين جنبيكم، كلما أشبعتموها وأرويتموها وسمنتموها أكلتكم، تصير سبعاً ضارياً، اقطعوا عنها حظوظها وشهواتها ووفوها حقوقها وهو ما لا بدّ منه، كسرة تسد الجوعة، وخرقة تستر العورة، وذلك بشرط طاعة الله عزَّ وجلَّ، قل لها لا أعطيك حقك حتى تطيعي الله عزَّ وجلَّ وتصومي وتصلي وتفعلي جميع ما أمرك الله به من الطاعات. ناظرها مناظرة. فإذا دمت على هذا مات شرها، وبقى خيرها، أطعمها الحلال وقد اطمأنت، لا تأمنها فالنفاق دأبها ولذاتها. تصلي وتصوم وتحمل المشاق حتى تسمع مدحها من الخلق، والذكر لها في المحافل، تعلموا فإن من لا يرى المفلح لا يفلح. إذا طهر قلب العبد المؤمن من نجاسة الرياء والنفاق. كانت ركعتان له خيراً من ألف ركعة ممن لم يطهر قلبه منها. يا منافق كل نفاقك من نفسك اقطع مراد نفسك وقد ذلت لخالقها، وقد انقطع شرها، النفس تريد تربية وصنعة، حتى تتحمل وتنصلح، وتحمل ما تحمل، مثلها كمهرة اشتريتها وهي صغيرة، لا تقدر على حملك ولا تحمل رحلك، أليس تربيها وتدرجها من شيء إلى شيء؟ حتى تطمئن وتحمل متاعك وتمشي تحتك في الفيافي والقفار، أنت عاشق نفسك لا تقدر أن تخالفها تقودك إلى حيث تريد، يوماً بعد يوم، وقد جاء حتفك. وقد جعلت طاعتك في التسويف، تقول اليوم أتوب، غداً أتوب، سوف أتفرغ لطاعة

ربي عزَّ وجلَّ، سوف أقضي ما في ذمتي من الذنوب والمظالم، سوف أفعل كذا وكذا. فبينما أنت كذلك في غمرات اغترارك إذ جاءك الموت. فأخذك، يأتيك بغتة، فلا تقدر التخلص منه. وتبقى ديونك وذنوبك ومعاصيك معبأة عليك.

ويحك تجمع ديناراً فوق دينار وليس لجمعك منتهى، كل ذلك عقارب عليك وحيات تلسعك، الدينار دار النار والدرهم دار الهمّ، الدنيا اشتغال والآخرة أحوال والعبد بينهما، إلى أن يستقر به القرار، فإما إلى الجنة أو إلى النار.

يا غلام: لا تأكل ما لم تعلم أصله وفرعه، أكل الحرام يُسوّد القلب، كل من لا صبر له كيف يأكل الحلال؟ إنما يأكل الحلال من له صبر على محاربة النفس والهوى والشيطان، المحارب الصابر يأكل الحلال.

اللهم ارزقنا الحلال وباعد بيننا وبين الحرام، وارزقنا من فضلك وخيرك وقربك وارزق قلوبنا وأسرارنا وجوارحنا ذلك آمين.

مجلس «الدعـاء»

(سلوه على قدم الذل)

معرفة الله، اتخاذ اليد، رد السائل، الفقراء.

يـا عـباد الله كونـوا عقـلاء واجـتهدوا أن تعـرفوا معـبودكم قـبل ممـاتكم. سـلوه جمـيع حـوائجكم فـي نهـاركم ولـيلكم. الـسؤال عـبادة، إن أعطـى وإن لـم يعـط، لا تـتهموه ولا تـستعجلوه ولا تـسأموا مـن الـسؤال. سـلوه علـى قـدم الـذل، وإن تأخـرت إجابـتكم لا تعترضـوا علـيه، فإنـه أعلـم بمـصالحكم مـنكم. اسـمعوا هـذا الكـلام وافهمـوه واعملـوا بـه، هـو كـلام علـى جادة مـستقيمة، كـلام مجرب. حريص واحراه عليكم، كيف تموتون وما عرفتم ربكم عزَّ وجلَّ؟

ويحكـم كـيف تقدمـون علـى مـن لـم تتعـرفوا إلـيه؟ ولـم تعاملـوه، ولـم تستـضيفوا وتأكلـوا مـن ذكـر ضـيافته. عاملـوه وقـد ربحـت معاملـتكم، اتخـذوا عـنده يـدا لوصـولكم إلـيه أكـرموا الفقـراء والمـساكين وقدمـوا شـيئاً مـن أمـوالكم وقـد اتخـذتم عـنده يـدا. إذا فعلـتم ذلـك أكـرمكم وأحـسن إلـيكم دنـيا وأخـرى، هـذا المـال الـذي فـي أيـديكم مـا هـو لكـم هـو وديعـة عـندكم، إنـه مـشترك بيـنكم وبـين الفقــراء. لا تـتملكوا الـوديعة علـى صـاحبها فـيأخذها مـن أيـديكم. إذا طبخ أحـدكم قـدراً فـلا يأكـل منه وحـده، بـل يطعـم مـنها جـاره، الـذي يأتـي إلـى بابـك، والـضيف الـذي تستـضيف، لا تـرد الـسائل مـع القـدرة علـى اعطائـه، فـإن ردهم سبب لزوال النعم.

عـن النبـي (ﷺ) "مـن رد سـائلاً عـن بابـه مـن غيـر عـذر لـم تقـرب الملائكـة الحفظة بابه أربعين صباحاً".

قـد عـودتم ألـسنتكم وقـت مجـيء الفقـراء (وسـع الله علـيك) (أعانـك الله)، تـردونه مـع القـدرة. علـى إعطائـه، مـا الـذي أمـنكم أن يوسـع علـيه ويـضيق علـيكم. ويحـك أنـت أمـا كـنت فقيـراً لا تملـك ذرة وأغـناك الله عـزَّ وجـلَّ. وأزال فقـرك، وكثـر خيـرك ورزقـك مـا لـم يكـن فـي حـسابك، ثـم بعـث إلـيك فقيـراً، أحالـه علـيك حتـى تواسـيه بـشيء ممـا أعطـاك، تـرده خائـباً ولا تقـبل

حوالـته، عـن قـريب يأخـذ مـنك جمـيع مـا أعطـاك، ويعـيدك إلـى فقـرك وكـدك، ويلقي في قلوب الخلق القساوة عليك، مع قلة صبرك.

اللهـم ارزقـنا اليقظة قبل المـوت، والتوبة قبل المـوت، والهداية قبل المـوت، والمعـرفة قبل المـوت، ومعاملتك قبل المـوت، والـرجوع إلى بابـك قبل المـوت، والدخول إلى دار قربك قبل الموت... آمين.

مجلس «حرب التوحيد»

(من أحب الله عزّ وجلّ لا يبقى له إرادة)

القلب. النفس. المعرفة. العلم. الحب. زهد القلب. زهد العارف. الحجاب

يا غلام: خذ بيدك سيف التوحيد، وترس الورع، واركب حصان صدقك وإرادتك، واحمل حملة إخلاصك على النفس والهوى والطبع والشرك بالخلق والدنيا والشيطان، وقد جاءتك النصرة والأمداد من الله تعالى. القوم سجنوا أنفسهم، وتبلغوا بالقليل حتى بلغوا الكثير، رأوا (الخلع) المهيآت لهم معلقة على أوتاد القدرة، فصبروا على لبس الخلقان، إلى أن يأتي ما هو مهيأ لهم من الأقسام الدنيوية والأُخروية.

إذا زهد القلب فيما سوى الحق عزَّ وجلَّ، جاز في فيافي المعرفة وقفار العلم. يصير في منزل الأمان مما سواه. فلا يتسلط عليه العصيان ومتابعة الشيطان ومخالفة الرحمن.

يا مستعجلين اثبتوا، يا طالبين مجيء الأشياء قبل حينها لا تفعلوا، أما سمعتم قول النبي (ﷺ)(العجلة من الشيطان والتؤدة من الرحمن). لعلمه بالمصالح. من أحب الله عزَّ وجلَّ لا يبقي له إرادة، لأنه لا إرادة لمحب على إرادة محبوبه، كل محب يعرف طعم المحبة، المحب فإن مع محبوبه، كالعبد بين يدي سيده، العبد العاقل الطائع لسيده لا يخالف ولا يعارض سيده في شيء.

ويحك أنت لا محب ولا محبوب، ولا ذقت طعم المحبة ولا طعم المحبوبية، المحب منزعج حذر، والمحبوب ساكن. المحب في شقاء، والمحبوب في دعة، تدعي المحبة وتنام عن محبوبك. قال الله عزَّ وجلَّ في بعض كلامه: كذب من ادعى محبتي إذا جاءه الليل نام عني.

منهم من لا ينام إلا عن غلبة، ينام سِنه، ينام في سجوده.

عن النبي (ﷺ) أنه قال: إذا نام العبد في سجوده باهى الله عزَّ وجلَّ به ملائكته، يقول: ما ترون عبدي روحه عندي وجسده في طاعتي بين يدي.

يا غلام: إذا نام المصلي قال الله تعالى يا ملائكتي روحه عندي وجسده في

طاعتي بين يدي، الذي يغلبه النوم في صلاته هو في صلاة، لأن نيته في الصلاة، وجاءته الغلبة وقهرته، والحق عزَّ وجلَّ لا ينظر إلى الصورة وإنما ينظر إلى النية وإلى المعنى، العارف إذا زهد في الآخرة، يقول لها تَنَحِّي عني فإني طالب باب الحق عزَّ وجلَّ، أنتِ والدنيا عندي واحدة، الدنيا كانت تحجبني عنك وأنت تحجبيني عن ربي عزَّ وجلَّ، لا كرامة لك في أن تحجبيني عنه، اسمعوا هذا الكلام فإنه لب علم الله عزَّ وجلَّ وإرادته من خلقه وفي خلقه، وهو حال الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

مجلس «الأصنام»

(كل ما سوى الله صنم)

صنم الدنيا، المتقون، درجة القرب، الزكاة، عبادة النفس. الميتة. الأسباب.

يا عُبّاد الدنيا، يا عُبّاد الآخرة، أنتم جهال بالله عزَّ وجلَّ وبدنياه وآخرته. أنت صنمك الدنيا، وأنت صنمك الآخرة، وأنت صنمك الشهوات واللذات، وأنت صنمك الحمد والثناء وقبول الخلق لك. كل ما سوى الله صنم.

القوم يريدون وجهه، وَيْحكم القيامة قريبة منكم، إنما هي نومة ويقظة، إنما هي إعراض وإقبال ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ سورة هود، الآية 81.

يوم القيامة يوم المتقين يوم نصر المتقين يوم فرح المتقين، المتقون هم الذين اتقوا الله عزَّ وجلَّ في خلواتهم وجلواتهم، في البأساء والضراء، فيما يحبون وفيما يكرهون. هم عباد الله عزَّ وجلَّ ورجاله، هم الرجال الأبطال هم السادة وهم الرؤساء. عندهم أساس الإيمان وبناؤه. يتقون الشرك والنفاق ظاهراً وباطناً. يزهدون في الدنيا والخلق، ويكسرون أعراض النفوس.

لا تنال درجة القرب من الله عزَّ وجلَّ حتى تترك ما سواه. كيف تنال ما عند الله وأنت تحب الدنيا وتشح عليها. إذا أنفقت منها أنفقت أردأَ ما عندك. ممن تقدم من الصالحين إذا حضر بين يديه طعام سني قال لغلامه احمل هذا الطعام إلى بيت فلان الفقير.

ويحك أما تستحي إذا كان عليك زكاة تخرج أردأَ ما عندك من الذهب، تخرج قُراضة رديته عن الصحيح، فضة عن الجوهر، إذا كان لك شيء يساوي ديناراً قومته بالنصف، تنقص ما للفقراء عندك، وإذا كان بين يديك طعام تصدقت بأخبثه وتأكل أطيبه، أنت عابد لنفسك، ما يمكنك مخالفتها، أنت تابع لهواك وشيطانك وأقرانك السوء.

المتقون نزّاع العشائر[1] من كل ألف ألف واحد، لا تتعبوا، ما يقبل الله عزَّ وجلَّ منكم إلا صافياً، لا تقعد على مائدته إلا طاهراً، ما يحضر على مائدته إلا ما ذبح بيده على صاحب طبقه، ما يقبل ميتة. طالب الخلق والدنيا ميتة. الأسباب بخس[2]، ربنا عزَّ وجلَّ لا يقبل إلا ما أريد به وجهه، هو أغنى الشركاء.

(1) نزاع العشائر: النوادر القلة الأفراد الآحاد.

(2) الأسباب بخس، المقصود الذين يبحثون عن سبب وراء كل شيء وما يقف خلفه من مصالح. لذلك فهو بخس. مقابل من يريد وجه الله في كل شيء.

مجلس «ما لا يعنيكم»

(من تقاه وقاه ومن وقاه رقاه)

القيمة. موائد الرحمن. التحجيب والترفيع. الجنة والنار، كشف البصر، الرؤية عند الموت، آسية وفرعون، وادي العلم، المقربون المفردون.

كونوا عقلاء ولا تتكلموا فيما لا يعنيكم، اشتغلوا بما أمرتم به، ولا تضيعوا زمانكم بما لا يعنيكم. اتقوا ربكم عزَّ وجلَّ وتوبوا إليه، من اتقاه وقاه، ومن وقاه رقاه إلى باب قربه. يرقيه إلى العيش الدائم، يرقيه من تحجيب إلى ترفيع، إلى السماء السابعة.

عن قريب ترون القيمة، ترون كيف يَحشر الله عزَّ وجلَّ المتقين له، في ظل عرشه، ويقعدهم على موائد عليها شهد أبيض، والناس منغمسون في الحر والعرق، وهم قاعدون على تلك الموائد يتفرجون على الخلق وهم على أحوالهم.

قوم يُحملون إلى الجنان وقوم يحملون إلى النار، هم قعود هناك ومنازلهم التي في الجنة بحَذائهم، تلوح إليهم نساؤهم وغلمانهم، يرون ما لهم قبل وصولهم إليه، ما من مؤمن إلا عند الموت يكشف عن بصره، فيرى ما له في الجنة، تشير إليه الحور والولدان، ويصل إليه من طيب الجنة فيطيب له الموت والسكرات، يفعل الحق عزَّ وجلَّ بهم كما فعل بآسية امرأة فرعون رحمة الله عليها، عذبها فرعون بأنواع العذاب وجعل في يديها ورجليها أوتاد الحديد، فكشف عن بصرها، وفتحت لها أبواب السماء، فرأت الجنة وما فيها، ورأت الملائكة وهي تبني لها بيتاً في الجنة، فقالت: رب ابنِ لي عندك بيتاً في الجنة، فقيل لها هذا لك، فضحكت، فقال فرعون ألم أقل لكم إنها مجنونة، أما ترونها كيف تضحك وهي في هذا العذاب.

وكذلك المؤمنون يَرون ما لهم عند الله عزَّ وجلَّ عند الموت، ومنهم من يعلم ذلك قبل الموت وهم المقربون المفردون المرادون. إذا عمل أحدكم لأجل الجنة فلا يَعده عملاً، اعملوا لوجه الله. لا يفترون عن الصيام والصلاة وجميع أفعال الخير مع مقارنة الإخلاص، أحكموا هذا الظاهر، فإنه يحملكم العمل به إلى وادي العلم. سيروا إلى باب ربكم عزَّ وجلَّ بأقدام الايمان والإيقان، فحينئذ ترون ما لا عين

رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. اسمعوا يا قلوب اسمعوا يا بُلغ[1]، اسمعوا يا عقلاء، الحق عزَّ وجلَّ، ما خاطب الصبيان وإنما خاطب الكبار البالغين، ما خاطب النفوس وإنما خاطب القلوب. المؤمنون سمعوا خطابه، والمشركون صَمّوا عن خطابه.

اللهم أيقظنا من رقدة غفلاتنا، واستُر علينا في جميع أحوالنا، استر علينا الخير والشر، ولا تجعل بيننا وبين غيرك معاملة، لا مدحة ولا فضيحة لا عند المدح فنعجب ولا عند الفضحية فنُهتك، فلا هذا ولا هذا... آمين.

(1) يا بُلغ: من البالغ.

مجلس «عناية الله»

(وحدوه وقد تَوحدتم من وَحد تَوحد)

معرفة الله. منازعة القدر، موسى وفرعون، من اصطفاه الرب،

وقال رضي الله عنه: إني أرى الأكثر منكم، إن رأوا شراً نشروه، وإن رأوا خيراً كتموه. لا تفعلوا، لستم وكلاء على الناس دَعوا الناس تحت ستر الله عزَّ وجلَّ. ودعوا الناس من أيديكم، فما بهم على ربهم. لو عرفتم الله عزَّ وجلَّ لرحمتم الخلق وسَترتم عليهم، لو عرفتموه أنكرتم غيره. لو عاملتموه لكرهتم معاملة غيره، لو عرفتم بابه ولت قلوبكم عن باب غيره. لو رأيتم النعم منه لشكرتموه ونسيتم شكر غيره. اسألوا ولا تسألوا يده، وَحدوه وقد تَوحدتم من وَحّد توحد. ومن طلب وجَد وَجد، من أسلم واستسلم سَلم، من وافق وُفق، ومن نازع القدر قُصِم.

فرعون لما نازع القدر، وأراد تغيير علم الله قصمه وفي اليم أغرقه، ولموسى وهارون ورثه، لما خافت أم موسى على نبينا وعليهما الصلاة والسلام من الذباحين الذين أقامهم لذبح كل مولود، ألهمها الله تعالى أن تلقيه في اليم فخافت نفسها عليه، فقيل لها لا تخافي ولا تحزني، إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين، لا تخافي فليأمن قلبك ويسكن سرك، لا تخافي عليه الغرق والهلكة فنرده إليك، ونغن به فقرك فاستعملت له تابوتاً. ثم تركته فيه وألقته في اليم، فسار على رأس الماء إلى أن وصل دار فرعون، فلما تجاوزها فاستقبلته جواريه وابنته وآسية. وفتحوا التابوت فرأوا فيه صغيراً، فأحبوه جميعاً، ووقعت رحمته في قلوبهم. ودهنوه وغيروا ثيابه وقميصه. وصار من أحب الخلق إلى ابنته وآسية وجواريه، وكل من رآه من قوم فرعون أحبه وهو معنى قوله تعالى ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى ﴾ سورة طه، الآية 39.

قيل إنه كان كل من نظر إلى عينيه أحبّه. ثم رده إلى أمه ورتبه في دار فرعون على الرغم منه. ولم يقدر على هلكته، من اصطنعه الرب عزَّ وجلَّ لنفسه كيف يهلك؟ وكيف يذبح؟ وكيف يغرقه الماء؟ وهو محفوظه، من أحبه الحق عزَّ وجلَّ من يبغضه ومن ينصره؟ من يقدر على أن يخذله؟ من يغنيه من الذي يفقره؟ من يرفعه

من الذي يقدر على أن يضعه؟ من يوليه من يقدر على أن يغير له؟ من يقربه من يقدر على أن يبعده؟

اللهم افتح لنا أبواب قربك واجعلنا من أهل طاعتك ومن مفرديك ومن جنودك، وأقعدنا على سماط فضلك واسقنا من شراب أُنسك وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.... آمين.

مجلس «المؤمن»

(احذروا دعاء المظلوم)(المؤمن لا يموت حتى يُنتقم من ظالمه)

الظلم، حال المؤمن.الرضى. الدعاء. القضاء والقدر. الولاية. العبودية. الإسلام والإيمان. العارف. البدلاء.

يا عباد الله: احذروا من الظُّلم فإنه ظُلمات يوم القيامة، الظُّلم يَسودّ به القلب والوجه، احذروا من دعاء المظلوم، احذروا من بكاء المظلوم، واحتراق قلب المظلوم.

المؤمن لا يموت حتى ينتقم من ظالمه، ويرى موته وسواد بابه، ويُتم أولاده، وأخذ أمواله وانتقال ولايته إلى غيره. المؤمن إذا صار القلب الغالب عليه، أن لا يحكم عليه بل يُحكم له. لا يهُان بل يُهان له، لا ينقص عليه بل ينقص له، لا يستباح حريمه ولا يذل، ولا إلى أيدي الظلمة يُسَلم، وإنما آحادُ أفراد يكون عليهم بقايا ذنوب فيطهرون بالآفات والبليات. فيكون لهم في الآخرة درجات، لا يصلون إليها إلا بذلك.

عليكم بالرضا بالقضاء مع أحكام الحكم، ولزوم الأعمال الصالحة في جميع الأحوال، عند الشدة والرخاء، عندما تحبون وما تكرهون. عن النبي (ﷺ) قال: من لم يرض بقضاء الله فليس لحمقه دواء، سيرى الذي قضى، سَخط العبد أم رضى.

ويلك يا معترض على الله عزَّ وجلَّ، لا تُهذي هذياناً فارغاً. القضاء لا يرده راد ولا يصده صاد، سلِّم وقد استرحت. هذا الليل وهذا النهار، هل يمكنك ردهما؟ إذا جاء الليل وأقبل وأنت كاره أو راض، والنهار كذلك كلاهما يجيئان على رغمك. هكذا قضى الله عزَّ وجلَّ وقدَّره لك أو عليك؟ إذا جاء ليل الفقر فسلم وودع نهار الغنى، وإذا جاء ليل المرض فسَلم وودع نهار العافية، وإذا جاء ليل ما تكره فسلم وودع نهار ما تحب. استقبل الأمراض والأسقام والفقر وكسر الأعراض بقلب مستريح [صابر]، لا ترد شيئاً من قضاء الله عز وجل وقدره فتهلك، ويذهب إيمانك ويتكدر قلبك ويموت سرك.

قال الله عزَّ وجلَّ في بعض كتبه: أنا الله الذي لا إله إلا أنا من استسلم لقضائي

وصبر على بلائي وشكر على نعمائي كتبته صدّيقاً وحشرته مع الصدّيقين، ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر على نعمائي فليطلب رباً سواي.

إذا لم ترض بالقضاء ولم تصبر على البلاء ولم تشكر على النعماء، فلا رب لك، التمس رباً غيره ولا رب غيره... إن أردت فارض بالقضاء وآمن بالقدر، خيره وشره حلوه ومره، وما أصابك لم يكن ليخطئَكَ بالحذر، وما أخطأك لم يكن يصيبك بالجد والطلب، إذا تحقق لك الإيمان تقدمت إلى باب الولاية. فحينئذ تَصير من رجال الله عزَّ وجلَّ المتحققين بعبوديته. علامة الولي أن يكون موافقاً لربه عزَّ وجلَّ في جميع أحواله، يصير كله موافقة من غير، لم؟ وكيف؟ مع أداء الأوامر والانتهاء عن المناهي. لا جرم تدوم حجته له، يصير صدراً بلا ظهر، قُرباً بلا بُعد، صفاء بلا كدر، خيراً بلا شر.

يا غلام: أنت ما أحكمت الإسلام، كيف تكون مؤمناً؟ وما أحكمت الإيقان فكيف تكون عارفاً ولياً بدلاً؟ ما أحكمت المعرفة والولاية والبدلية، كيف تكون مُحباً فانياً عنك موجوداً به.

كيف تُسمي نفسك مسلماً. والكتاب والسنَّة ما عملت بحكمهما، ولا اتبعتهما؟ من طلب الله عزَّ وجلَّ وجده، من جاهد فيه هداه، لأنه قال في محكم كتابه:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ سورة العنكبوت، الآية 69.

ليس هو ظالماً ولا يحب الظلم، انه تعالى ليس بظلام للعبيد، إنه تعالى يعطي بلا شيء، فكيف بشيء. قال عزَّ من قائل:

﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَـٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَـٰنُ ۝٦٠ ﴾ سورة الرحمن، الآية 60.

من أحسن عمله في الدنيا أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة، ما يردكم عن طاعته وتوحيده إلا ذنوبكم وجهلكم وخراب دياركم وحرماتكم.

عن قريب تأتيكم الندامة، اسمعوا آيات القرآن بأسماع قلوبكم، هرولوا إليه، ودعوا كل باب، والزموا باب ربكم عزَّ وجلَّ، هو كاشف الضُّر وهو الذي يُجيب المضطر إذا دعاه، اصبروا معه وقد رأيتم الخير، اشكروه إذا أجابكم، واصبروا معه على تأخير إجابتكم، الشجاعة صبر ساعة.

يا كاشف الضُّر والبلوى اكشف عنا ضرنا وبلوانا، فإنك تجيب المضطر إذا

دعاك، يا فعالاً لما يريد يا قادراً على كل شيء، يا عالماً بكل شيء، أنت العالم بحوائجنا وأنت القادر على قضائها، أنت العالم بعيوبنا وذنوبنا، وأنت القادر على محوها، اغفر لنا ولا تحلنا إلى غيرك، ولا تَكلنا إلى غيرك، ولا تدفعنا إلى باب غيرك، ولا تردنا إلى غيرك... آمين.

مجلس «الوعظ»

(كُن صحيحاً في خلوتك تَكن فَصيحاً في جلوتك)

الوقوف، الصدق، الشفاعة، كن صحيحاً، أسس الوعظ، الدنيا، عين القلب، المؤمن، الأسباب، النفس ومرادها،

يا قوم: اطلبوا الوقوف في عبادة ربكم عزَّ وجلَّ، فإنه أثنى على القانتين بين يديه، عن النبي (ﷺ) أنه قال: (كلما طال قيام العبد بين يديه عزَّ وجلَّ في صلاته تناثرت ذنوبه كما يتنافر الورق اليابس من الشجر في يوم ريح شديد.)

وكلما صدق العبد في طاعة ربه عزَّ وجلَّ تناثرت ذنوبه من ظاهره وباطنه وجملته وتَنور قلبه وصفا سره.

يا غلام: كُن صحيحاً تَّكن فصيحاً، كُن صحيحاً في خلوتك تَكن فصيحاً في جلوتك. إذا كنت في الدنيا صَحيحاً تَكن في الآخرة فَصيحاً. فالكلام بين يدي الله عزَّ وجلَّ، تَشفع وتُشفع، يشفعك فيمن يشاء من خلقه، بعد إذنه وأمره، يقبل منك كرامة لك، واظهاراً لموضعك عنده، كن صحيحاً فيما بينك وبينه تَكن فصيحاً. تقعد في هذا المقام تعظ الناس، ثم تضحك معهم، وتحكي حكايات مضحكة، لا جرم لا تفلح ولا يفلحون.

الواعظ مُعلم ومُؤدب، والسامعون كالصبيان، والصبي لا يتعلم إلا بالخشونة، ولزوم الحرمة والعبوس، وآحاد أفراد منهم يتعلمون بغير ذلك. موهبته من الله عزَّ وجلَّ.

يا قوم: الدنيا فانية، الدنيا قيود وخسران، وهموم وغموم وحجاب عن ربكم عزَّ وجلَّ، انظروا بعيني قلوبكم لا بعيني رؤوسكم. عين القلب تنظر إلى المعاني، وعين الرأس تنظر إلى الصور.

المؤمن كله لله عزَّ وجلّ ليس فيه ذرة لخلق الله عزَّ وجلَّ، وظاهره وباطنه معه لا يتحرك إلا له ولا يكون إلا له، فهو به ومنه وفيه. المؤمن بالله تأتيه أقسامه وتطرق بابه وهو نائم عنها، تأتيه وتقف في خدمته، وأنتم جعلتم كل شغلكم الكد وجلب أقسامكم والحرص عليها، وقد نسيتم الموت وما وراءه، نسيتم الله عزَّ وجلَّ وتغييره

وتبديله، وتركتموه وراء ظهوركم، قد أعرضتم عنه، ووقفتم مع الدنيا والخلق والأسباب. الأكثرون منكم يعبدون الدنيا والدراهم، ويتركون عبادة الخالق الرازق. كل هذه الدواهي من نفوسكم، فعليكم حبسها في سجن المجاهدات وقطع مرادها ومنعها عن حظوظها. اقطعوا عنها مُرادها، حتى تكون أمنيتها في كسرة يا بسة وجرعة من ماء، يصير هذا كل شهوتها، إذا سمنتموها بأنواع الشهوات أكلتكم، تصير كما قال بعضهم، إذا سَمنت كلبك أكلك. أي خير يراد منها؟ وقد قال تعالى في حقها:

﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ﴾ سورة يوسف، الآية 53.

يا قوم: تّذكروا، إنما يتذكر أولوا الألباب، القوم هم أولوا الألباب، عقلوا أمر الدنيا، فزهدوا فيها. ثم عقلوا أمر الآخرة فدخلوا إليها. حتى إذا نبتت لهم أشجارها وجرت لهم أنهارها وتمكنوا منها يقظة ومناماً، جاءتهم محبة الحق عزَّ وجلَّ. فقاموا عنها وسافروا عنها وخرجوا منها، وشدوا أوساط قلوبهم وتوجهوا نحو ربهم عزَّ وجلَّ. صاروا من الذين يريدون وجهه ولا يريدون غيره، تبَركوا بهؤلاء القوم واقصدوهم، اخدموهم تَعرفوا إليهم، تَأدبوا في صحبتهم.

اللهم ارزقنا حسن الأدب معك في جميع أحوالنا، ومع الصالحين من عبادك، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

مجلس «ثمن الجنـة»

(افنَ فيه عنـك)

أنواع العبيد. الموت، باب القرب، الفناء، الشهوات الدنيوية والأخروية، مريد الحق، باب التوبة. الأسس، والاستغناء،

يا عبد النار، يا عبد الخلق، يا عبد القميص والعمامة والدينار والدرهم والمدح والذم، ويحك كلك للدنيا وكلك لغير ربك عزَّ وجلَّ، أين حظه فيك؟ بخلوتك وجلوتك، ما خلقك إلا لعبادته، كل من له عقل ولب وتحصيل، يعبد ربه عزَّ وجلَّ، ويرجع إليه في مهامه ومن ليس له عقل لا يفعل ذلك. يكون قلبه منسوخاً بالخلق، ويحب الدنيا، كثيراً ممن يدّعى الإسلام بظاهره، ويقول كما يقول الكفار ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ سورة الجاثية، الآية 24. هم الكفار قالوا هذا وكثير منكم يقولون ذلك، ويسترونه، يقولون بأفعالهم التي تصدر منهم. كلا فما لهم عندي قدر، ولا وزن جناح بعوضة. فكيف عند الحق عزَّ وجلَّ؟

لا عقل لهم ولا تَمييز عندهم يفرقون به بين الضّر والنفع.

يا عباد الله: اذكروا الموت وما وراءه، اذكروا الحق عزَّ وجلَّ وتصاريفه في خلقه. وفي ربوبيته وعظمته تفكروا في ذلك. إذا خلوتم عن أهاليكم، ونامت العيون، إذا صلح القلب لله عزَّ وجلَّ، لا يدعه مع البيع والشراء والأخذ بالأسباب، ويُميزه ويخلصه ويقيمه من سقطته، وعلى بابه يقعده، وفي حجر لطفه ينومه.

يا مُعرضاً عن ربه عزَّ وجلَّ، سوف ترى إذا انجلى الغبار عن قريب، ترى خراب بيتك، وبطش الحق عزَّ وجلَّ بك. إن لم ترجع وتلتفت وتنتبه. ويلك قميص إسلامك غير منشرح، باطنك خراب وظاهرك عامر، صحائفك مسودة، دنياك التي تحبها عنك راحلة، والقبر والآخرة مقبلان عليك، تنبه لأمرك وما تَصير إليه عن قريب. ولربما كان موتك اليوم أو في هذه الساعة، يحال بينك وبين مالك من يعلم؟ ما تطلب هان. عليه ما يبذل الصادق في المحبة لا يقف مع غير محبوبه، إذا قال الواحد من الخلق، قد سمعت بمخبر الجنة وما فيها من النعيم بقوله عزّ وجلَّ

﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ سورة الزخرف، الآية 71. سَلّم النفس والمال وقد صارت لك الجنة. قال آخر أريد أن أكون من الذين يريدون وجهه، وقد لمح قلبي باب القرب، وأرى المحبين داخلين فيه وخارجين منه وعليهم خلع الملك. فما ثمن الدخول إليه؟ قلنا له ابذل كلك ودع شهواتك ولذاتك. وافن فيه عنك، ودع الجنة وما فيها واتركها، ودع النفس والهوى والطبع ودع الشهوات الدنيوية والأخروية، ودع الكل واتركه وراء ظهرك. ثم ادخل فإنك ترى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

يا غلام: قل الله ثم ذرهم، قل الذي خلقني فهو يهدين.

يا زاهداً في الدنيا إذا خرج قلبك منها طلباً للآخرة، فقل الذي خلقني فهو يهدين، وأنت يا مريد الحق الراغب فيه، الزاهد فيما سواه، إذا أُخرج قلبك من باب الدنيا طالباً لمولاه، فقل الذي خلقني فهو يهدين، استعن بهدايته من وعورة الطريق.

يا قوم: أجيبوني فإني داعٍ لله عزَّ وجلَّ، ارجعوا إلى خالقكم بقلوبكم، أنتم موتى كلكم بعد قريب. أستفتحوا باب التوبة إليه. والاعتذار بين يديه، راقبوه، واعلموا أنه مطلع عليكم رقيب قريب شاهد. أما سمعتم قوله تعالى ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ سورة المجادلة، الآية 7. كلوا من طعام ذكره واشربوا من شراب أُنسه، وأَستغنوا بقربه يا موتى القلوب، يا قعوداً على الرياءِ، قوموا قبل أن تعرضوا، قوموا قبل أن تهلكوا، يا قعوداً على مكان الجَزر، قوموا قبل أن يأتيكم المد، قوموا دخل الماء تحتكم، قوموا من أرض شرككم إلى أرض توحيدكم. يا ربنا أقمنا على تجارة تُرضيك عنا، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، لا تملُ قلوبنا عن الحق، لا تخرجها عن اتباع كتابك وسنَّة رسولك محمد (ﷺ)، والعمل بهما، لا تخرجنا عن جادة من تقدم من الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، اللهم اجعل أرواحنا مع أرواحهم، وأدخلنا في دار قُربك في الدنيا قبل الآخرة... آمين.

مجلس «المُكَوِّن»

(لا جنة قبل الدنيا)

القرب، ترك الدنيا والمخلوق، رجال الحق. الانقلاب. طريق السالكين. طريق المجذوبين

لوكان للمحبين طريق يوم القيامة إلى الامتناع عن الدخول إلى الجنة لما دخلوها، لأنهم يقولون أي شيء نعمل بالتكوين نريد المُكَون، أي شيء نعمل بالحديث نريد القديم[1]، هذا القلب إذا صحَّ بهذه الصفة. فلا جرم يقرب من الحق عزَّ وجلَّ. إذا صح ترك الدنيا والمخلوق في الجملة، فصَحّ لهُ القرب.

ويلك أنا واقف على باب الحق عزَّ وجلَّ من حال صغري إلى الآن، وأنت ما رأيته قط، ما رأى قلبك الباب ولا صاحبه، أنت بالشرق وهذا الذي أشير إليه بالغرب. بم رُبيت ورَبيت، ما عقلت عقلي وأنا على بابه مع خواص عباده، قل قد صدق الأمين، يا صاع يوسف تحدث بما عندك، أخبر بما وراءَك[2].

يا غلام: تحدث عن قلبك وصدقك، وإلا فاخرس، أنفق من معدنك من كنزك من بيتك وإلا فلا تسرق وتنفق، أطعم الناس من كنزك من طبقك، واسقهم من معينك.

المؤمن العارف يسقي ويشرب من معين لا ينشف ماؤه أبداً، من مَعين حضّرهُ بمعاول مجاهدته.

يا غلام: لا جنة قبل الدنيا، ولا قرب الجنة. يقرب العبد من الدنيا ويريدها ثم إذا تبين له عيوبها، فيزهد فيها ويقنع منها. بالبلغة وما لا بدّ منه يأخذ ذلك منها، بيد الشرع والتقوى والورع يأخذ ذلك من يد الزهد من يد القلب. لا من يد النفس والهوى والشيطان. فإذا تم له هذا جاءت الجنة، لأن زهده في الدنيا ثمن الجنة.

---

(1) الحديث: المُحدَث وهو المخلوق. والقديم هو الخالق سبحانه وتعالى.

(2) هنا وكأن الحال أخذ سيدنا الكيلاني (رضي الله عنه). والمعنى العام أن هناك أسراراً تقف خلف كل شيء. والله أعلم.

ومنا من يحبها فإذا أدخلها قلبه واستقرت أقدامه فيها، فتمكن سره وسهلت أمورها عليه، فبينما هو كذلك إذ رأى رجال الحق عزَّ وجلَّ، وهم سائرون إليه. قال لهم إلى أين؟ قالوا له إلى باب الملك، ثم شَوقوه ونَبهوه وزَهَّدوه في الجنة. وفيما هو عليه، وقالوا نحن من الذين قال الله عزَّ وجلَّ في حقهم فضاقت عليهم أرض الجنة برحبها. فطلب الانقلاب منها وناشدها طيراً، دَلّني الباب، حتى أخرج قد صرت كالطير المحبوس في القفص، قد صار قلبي في سجنك. لأن الدنيا سجن المؤمن وأنت[1] سجن العارف. فيخرج منها مُهرولاً، فيلحق بالذين سبقوه.

هذا طريق السالكين، وأما طريق المجذوبين فإن بارق القرب يقتنصهم في أول قدم من غير تدرج وواسطة. اللهم اجذب قلوبنا إليك. وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

(1) أنت: الجنة.

مجلس «الولي»

(الولي من شرطه الكتمان، والنَّبي من شرطه الإظهار) (كلما امتلأ حوضي نقصته فإن جاء السيل فاض حواليه)

صفاء السر، التواضع. الأمن. إشارات. النعم الباطنة. الولي. السياحة. الخلوة والجلوة. الفتوح، الخوف والحذر.

القوم لهم أعمال كالجبال من الخير، وهم لا يعَدونها عملاً. يتواضعون ويذلّون أنفسهم. كُن عاقلاً على قدم التواضع والحذر، والخوف من المخَوّف. ومن كدر صفاء السّر وضيقه، وضيق الصدر. إذا دمت على ذلك جاءك الأمن، من الله عزَّ وجلَّ، وقد ختم على قلبك وسرك وانكببت على حيطان خلوتك. تَصير لها ولجوارحك إشارات وتسبيح وذكر، يسمع قلبك عجائب. ولا يخرج منه كلمة، لا يسمع ظاهرك والخلق منه كلمة، يكون شيئاً لا يتعداك، يصير ذلك نعمة تعرفها تتحدث بها في نفسك.

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝ ﴾ سورة الضحى، الآية 11.

يا ولي تحدث بهذه النعم الباطنة، مع نفسك، وأنت يا بني تحدث بنعمة ربك عزَّ وجلَّ وكرامته لك مع الخلق. لأن الولي من شرطه الكتمان والنبي من شرطه الإظهار، إظهار الولي إلى الله عزَّ وجلَّ، فإن أظهر أمره ابتلى وسُلبَ حاله. إذا أظهر أمره بمجرد فعل الله عزَّ وجلَّ لا يكون عليه مؤاخذة ولا عتاب، ذلك غيره لا هو.

قال لي قائل: أرى كل من وقع به يكتمه وأنت تظهره.

قلت: ويحك ما أظهرنا شيئاً، هذا يظهر غلبة لا قصدا، كلما امتلأ حوضي نقصته. فإن جاء السيل عليه فاض حواليه، بلا اختياري ماذا أفعل؟[1].

ويحك تنقطع للفتوح، ما لك والزاوية والخلق وأنت بلا قلب، عليك بالصحاري والبراري. فإذا وقعت هناك بكنز القرب فدونك القعود بين الخلق. فحينئذ تكون دواء لهم، رحم الله المؤمن به، بما أقول، الذائق لما أقول، العامل به

---

(1) في هذه العبارة يتحدث سيدنا الكيلاني عن حاله ومقامه.

في خلوته وجلوته.

يا قوم جاهدوا واجتهدوا ولا تيأسوا، من ساعة إلى ساعة فرج، أما سمعتموه عزَّ وجلَّ كيف يقول ﴿ لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾ سورة الطلاق، الآية 1. خافوا من ربكم وارجوه، أما سمعتموه كيف يقول ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ سورة آل عمران، الآية 30. على قدر خوفكم وحذركم ترون الأمان، توكلوا على ربكم، أما سمعتموه كيف يقول ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ سورة الطلاق، الآية 3.

اللهم اغننا عن خلقك، اغننا عن الذين جمعوا الأموال وتركوها تحت أرجلهم، وتكبروا بها وهم غائصون في تيه عجبهم، والفقراء يسألونهم ويستغيثون بهم، وهم يتصاممون، اللهم اجعلنا ممن ينزل حوائجه بك، ويستغيث في مهماته... آمين.

مجلس «معرفة الله عزَّ وجلَّ»

(كيف تموتون وما عرفتم ربكم عزَّ وجلَّ)

طلب الحوائج. العمل لله. الإخلاص.

قيل لسفيان الثوري[1] رحمة الله تعالى عليه: من الجاهل؟ قال: هو الذي لا يعرف الله عزَّ وجلَّ، حتى يطلب حوائجه منه، من لا يطلب حوائجه من الله عزَّ وجلَّ كمثل رجل يعمل في دار ملك شغلاً، أمره الملك بعمله. فترك العمل وخرج إلى باب رجل في جوار الملك يطلب منه كسرة ليأكلها. أليس إذا علم الملك بذلك مقته ومنعه من الدخول إلى داره.

يا موتى القلوب: اسمعوا وآثاره عليكم، كيف تموتون وما عرفتم ربكم عزَّ وجلَّ؟

اللهم ارزقنا معرفتك، وإخلاص العمل لك، وترك العمل لغيرك، ارزقنا علم حكمك الظاهر وعلم الباطن[2]، صبرنا ورضِّنا، طيب لنا مرارة بلائك الذي قد سبق به علمك لنا، أمت لحوم قلوبنا حتى لا تؤلمنا بمقاريض قدرتك، حتى تدوم لنا صحبتك... آمين.

---

(1) سفيان الثوري: هو سفيان بن سعيد الثوري (رضي الله عنه). ولد سنة سبع وتسعين للهجرة. وتوفي سنة إحدى وستين ومائة للهجرة في البصرة. عالم الأمة. وعابدها وزاهدها. وكان يسمونه أمير المؤمنين في الحديث. كان يقول: لا ينبغي للرجل أن يطلب العلم والحديث حتى يعمل في الأدب عشرين سنة. قيل له ألا تدخل على الولاة فتتحفظ وتعظهم وتنهاهم فقال: أتأمرني أن أسبح في بحر ولا تبتل قدماي إني أخاف أن يترحبوا بي فأميل إليهم فيحبط عملي. وللتوسع انظر: الإمام الشعراني: الطبقات الكبرى. ص74.70.

(2) علم الظاهر: علم الشريعة،وعلم الباطن: علم الحقيقة.

مجلس «سر الكيلاني»

(سري بعد الموتِ عاقبة كلامي)

الرغبة والحرص، النظرة والقرب والأنس، صفة الأولياء، الفراغ والصحة، الفقير، موعظة الموت. الرضا. التوكل. الشكر.

يا غلام: ما هُوَ لكَ لا يفوتك ما يأكله غيرك، وما هُو لغيرك لا يأتيك بالرغبة فيه والحرص عليه. إنما هو أمر الذي مضى أو يومك الذي أنت فيه، وغداً الذي يأتي. أمْسكَ، صار موعظة ويومك حالك وغداً أجل. إما أن تكون فيه أو لا تكون، لأنك لا تدري بما في غدٍ فستذكرون، أقول لكم وتندمون.

ويحك تبيع حضورك عندي لأجل ربح حبة أو حبتين، إنما قطعك عني جهلك بما أنا فيه، وبما أقول. لقد جهلت فرعه وأصله. قد جهلت معينه وحبله، لو علمت وعرفت ما انقطعت. ستذكر بعد وقت ما أقول لك من النصيحة، سري بعد الموت عاقبة كلامي، فستتذكرون ما أقول لكم. وأفوض أمري إلى الله تعالى.

قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

أحب الأشياء إلى المؤمن العبادة، أحب الأشياء إليه القيام في الصلاة وهو قاعد في بيته وقلبه ينتظر المؤذن، الذي هو داعي الحق عزَّ وجلَّ، إذا سمع الأذان دخل إلى قلبه السرور، يطير إلى المساجد والجوامع. ويفرح بمجيء السائل إليه، إذا كان عنده شيء يعطيه، لأنه سمع قول النبي (ﷺ) السائل هدية الله عز وجل إلى عبده.

كيف لا يفرح وقد نفذه ربه عزَّ وجلَّ يستقرض منه على يد الفقير. عن النبي (ﷺ) أنه قال: يقول الله عزَّ وجلَّ لعباده يوم القيامة: آثرتم آخرتكم على دنياكم وآثرتم عبادتي على شهواتكم، وعزتي وجلالي ما خلقت الجنة إلا لكم.

هذا قوله لهؤلاء. وأما قوله للمحبين له، أنتم آثرتموني على جميع خلقي دنياي وآخرتي، عزلتم الخلق عن قلوبكم، وغيبتموهم عن أسراركم، فهذا وجهي لكم وقربي لكم وأنسي لكم، أنتم عبادي حقاً. من الأولياء من يأكل في نومه من طعام الجنة ويشرب من شرابها، يرى جميع ما فيها، ومنهم من يفنى عن المأكول

والمشروب، وينعزل عن الخلق ويحجب عنهم، ويعمر في الأرض بلا موت كالياس والخضر (رضي الله عنهما)، وعدد كثير منهم محجوبون في الأرض يرون الناس وهم لا يرونهم، الأولياء فيهم كثير، والأعيان منهم، فيهم قلة آحاد أفراد مفردون. والكل يأتونهم يتقربون إليهم هم الذين بهم تنبت الأرض وتمطر السماء، ويدفع البلاء عن الخلق، الملائكة طعامها وشرابها ذكر الحق عزَّ وجلَّ والتسبيح والتهليل، وآحاد أفراد من الأولياء يصير طعامهم ذلك. ما أكثر غبنك، أيها الصحيح الفارغ، عن النبي (ﷺ) أنه قال: نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ.

استعمل صحتك وفراغك في طاعة الله عزَّ وجلَّ، قبل أن يجيئك مرض صحتك وشغل، ويذهب فراغك. اغتنم غناك قبل فقرك فإن الغنى لا يدوم، أكرم الفقراء وأشركهم فيما بيديك. فإن الذي تعطيه هو الذي يحصل لك عند ربك وينفعك في آخرتك. ويحكم اغتنموا حياتكم قبل موتكم، اتعظوا بالموت فإن النبي (ﷺ) كان يقول: كفى بالموت واعظاً.

الموت يبلي كل جديد ويقرب كل بعيد ويكدر كل صاف، الموت ليس عنه فوت. ربما جاء في هذه الساعة وفي هذا اليوم. هذا الأمر بيد غيركم، ليس هو بأيديكم، كل ما أنتم فيه عارية، شبابكم وصحتكم وفراغكم وغناكم وحياتكم، عندكم عارية[1].

ويلك كيف تأمر غيرك بالصبر؟ وأنت جزع، كيف تأمره بالشكر على النعم؟ وأنت تارك الشكر، كيف تأمره بالرضى بالقضاء؟ وأنت ساخط، كيف تأمره بالزهد في الدنيا؟ وأنت راغب فيها. كيف تأمره بالرغبة في الآخرة؟ وأنت زاهد فيها. كيف تأمره بالتوكل على الله عزَّ وجلَّ؟ وأنت متوكل على غيره.

أنت ممقوت الحق عزَّ وجلَّ، وممقوت الملائكة، وممقوت قلوب الصديقين والصالحين من عباده.

أما سمعت قول بعضهم شعرا:

لاتنه عن خُلقٍ وتأتي مثلهُ ... عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ

كلك للخلق وكلك نفاق، فلا جرم لا تزن عند الله جناح بعوضة، أنت مع

---

(1) عارية: العارية: الشيء المستعار الذي لا تملكه.

المنافقين في الدرك الأسفل من النار.

الثبات على كلامي من علامة الإيمان والهرب منه علامة النفاق.

اللهم تب علينا ولا تفضحنا في الدنيا والآخرة، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

مجلس «حقوق الفقراء»

(اخرج بقلبك عرياناً عما بيدك)

الأموال. الزكاة. الإنفاق. البلاء، الصبر والتسليم، الخلق، القلب،

يا قوم: دعوا عنكم القال والقيل، والجمع للدنيا والمخاصمة عليها، أَنتم معاقبون بما في أيديكم من الدنيا. إن لم تؤدوا منه حقوق الفقراء والمساكين، وتنفقوا البقية في طاعة الله تعالى عزَّ وجلَّ وعبادته. ويحكم أنتم وكلاء، على هذه الأموال، أما تستحون من جيرانكم الفقراء، يموتون جوعاً، وأنتم معرضون عنهم. أما سمعتم ربكم عزَّ وجلَّ كيف قال ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ سورة الحديد، الآية 7.

فقد أخبركم أنكم مستخلفون فيه وأنتم تملكتم عليه، قد خرجتم عليه خوارج، ما أمركم بإخراج الكل، بل جعل للفقراء حقاً معيناً وهو الزكاة والكفارات والنذور. اقضوا حقوق الفقراء، ثم اقضوا حقوق الأهل والأقارب. المواساة بعد إخراج الزكاة من أخلاق المؤمنين، من عامل الله عزَّ وجلَّ ربح، وهو أصدق القائلين، قال في محكم كتابه ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾ سورة سبأ، الآية 39.

يا غلام: اخرج بقلبك عرياناً عما بيدك، وانعزل عن جميعك، حتى تُعطي عوض جميع ذلك[1]. ويحك الخلق لا ينفعونك ولا يضرونك، إلا بعد توقيع

(1) (اخرج بقلبك عرياناً عما بيدك)، اترك كل ما عندك من أملاك، واخرج بقلبك لأن القلب هو مكان المعرفة، معرفة الله سبحانه وتعالى. (وانعزل عن جميعك). جميعك من بدن ونفس وغيرها. انعزل عنها ولا تلتفت لها. لأن النفس ليس لها غير مطلب لشهوات والبدن ليس له غير الحاجات. هنا يدعوك إلى المجاهدات والمكابدات والمشاق. لكسر الشهوات والمطالب. وهذا فيه مشاق (حتى تعطى عوض جميع ذلك) والله سبحانه وتعالى من يعوض العبد، مشاقه ومكابدته، وكل ما ترك لله تعالى عوضه الله تعالى.

من الله عزَّ وجلَّ إلى قلوبهم، هي بيده يحركها كيف يشاء، تارة في التسخير وتارة في التسليط. أما سمعت كيف قال الله تعالى ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ سورة فاطر، الآية 2.

مجلس «باب المراد»

(لا تهرب من باب مرادك لأجل سهام بلائه)

البلاء، الثبات، الشيخ والمريد،

يا غلام: إذا جاء البلاء اليك فاستقبله بالإيمان والصبر والتسليم والتبسم، اصبر عليه ومعه[1]، حتى تذهب أيامه وتمحق أوقاته.

يا مريد: لا تهرب من باب مرادك لأجل سهام بلائه[2]، اثبت وقد وقعت بمرادك. إذا ابتلي المريد يحتاج إلى أستاذ يطببه في بلائه، بشربات الصبر والشكر. يأمره بأخذ شيء وترك شيء، يأمره بالإعراض عن نفسه وترك القبول منها. من صدق في صحبته لشيخه نفعه الله عزَّ وجلَّ عاجلاً أو آجلاً.

يا حائلاً بين الماء المالح والعذب، اللهم حُل بيننا وبين التسخط عليك والمنازعة لك في أقدارك، اللهم حُل بيننا وبين معاصيك ببرزخ من رحمتك.. آمين.

---

(1) الصبر على البلاء: البلاء نفسه، والصبر معه: لأن للبلاء وقتاً وزمناً يطولان ويقصران.

(2) (لا تهرب من باب مرادك لأجل سهام بلائه): المخاطب هو المريد، وغاية المريد القرب، وطريق القرب وعرة فيها بلاء. والمقصود أن لا يترك المريد مراده وهو القرب (باب مرادك) بسبب سهام البلاء التي أصابته.

مجلس «ذكر الحق»

(لا اله إلا الله الملك الحق المبين)

الذكر، الورع. عرش إبليس

يا غلام: إني أراك قرين الشيطان وخليفته، قد آمنته على نفسك وصادقته، وهو يأكل لحم دينك وتقواك، ويُضَيع رأس مالك وما عندك خبر. ويحك ادفعه عنك، وهَربه من عندك. بالذكر الدائم فإنه يهلكه ويهزمه ويفرق جمعه. اذكر الحق عزَّ وجلَّ بلسانك تارة وبقلبك تارات وغيِّر طعامك وشرابك واستعمل الورع في جميع أحوالك، استعن على هزم الشيطان بقول:

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ما شاء الله كان،

لا إله إلا الله الملك الحق المبين، سبحان الله وبحمده،

سبحان الله العظيم وبحمده.[1]،

وبهذا ينقلب وتنكسر شوكته وينهزم جنوده. عرش إبليس على البحر وهو يبعث جنوده على الأرض، أعظمهم عنده حركة أشدهم فتنة لابن آدم.

---

(1) الذكر القادري: هذا المجلس يعتبر من أهم المجالس، كونه تناول موضوع "الذكر" والذكر القادري كما أشيع من خلال الكتب مثل (الفيوضات الربانية) وغيرها، وكما نقل شفاهاً إلى حلقات الذكر القادري بالتقادم، لم يتناول هذا التفصيل. لذا فإن هذا المجلس يؤصل بشكل مباشر كلام سيدنا عبدالقادر الكيلاني (ﷺ) عن أصول الذكر القادري وكما يلي:

أ. الذكر باللسان والقصد منه الذكر الجهري، والذكر بالقلب وهو الذكر السري.

ب. كلمات الذكر: وكما وردت في النص أعلاه، لم ترد سابقاً في كتب الأذكار القادرية بهذه الصيغة. لذا أنصح باعتمادها كما وردت، لأنها جاءت من مؤسس الطريقة القادرية نفسه.

مجلس «الآداب»[1]

(الآداب في حق العارف فريضة)

العارف. المقت. حسن الأدب.

الآداب في حق العارف فريضة، كالتوبة في حق العاصي. كيف لا يكون متأدباً، وهو أقرب الخلق إلى الخالق. من عاشر الملوك بالجهل كان جهلهُ مقرباً له إلى القتل. كل من ليس له أدب ممقوت، من الخلق والخالق[2]، كل وقت ليس فيه أدب فهو ممقت. لا بدّ من حسن الأدب مع الله عزَّ وجلَّ.

يا غلام: لو عرفتني ما برحت من بين يدي، وتبعتني أين ما توجهت، ما كنت تقدر تبوح، سواء استخدمتك أو بطلتك، أخذت منك أو أعطيتك، أفقرك أو أغنيك، أتعبتك أو أرحتك، أصل هذا حسن الظن وإصلاح النية، وقد عدمتها. فكيف تصلح أنت لصحبتي، وتنتفع بكلامي؟ في أدب الصحبة والمعاشرة، مع الخالق عزَّ وجلَّ والخلق[3].

اللهم لا تجعل سماعهم لهذا الكلام حجة عليهم واجعله حجة لهم، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

---

(1) الأدب: كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل، وكذلك الأخلاق الحميدة تسمى أدباً. وعند السادة الصوفية: فإن التصوف مبني على الأدب. وجعلوا لكل باب من أبوابهم أدباً، مثل أدب المريد. وأدب الذكر. وأدب السلوك.. الخ

(2) الأدب مع الخلق جاء في الرسالة القشيرية: مجالسة الخلق على بساط الصدق ومطالعة الحقائق بقطع العلائق. وقال: حقيقة الأدب اجتماع خصال الخير، والأديب الذي اجتمع فيه خصال الخير.

(3) وذكر السهروردي في عوارف المعارف: عن أدب الحضرة، الأدب مع الحق: قال: الحق سبحانه يقول من ألزمته القيام بأسمائي وصفاتي ألزمته الأدب.
وقال الجلاجلي البصري: التوحيد موجب يوجب الإيمان فمن لا إيمان له لا توحيد له. والشريعة موجب توجب الأدب فمن لا أدب له لا شريعة له ولا إيمان ولا توحيد. ومن قول الجلاجلي تتوضح العبارة أعلاه (الأدب في حق العارف فريضة) لأن الأدب عندهم مرتبط كل الارتباط بالشريعة والإيمان والتوحيد.

مجلس «العمل الصالح»

(من عمل عملاً صالحاً صار عمله نوراً يسعى بين يديه)

أهل النار وأهل الجنة. التوبة. التفكر.

يا غلام: من عمل صالحاً صار عمله نوراً يسعى بين يديه، مركوباً تحته. تظهر أعمال قلبه على وجهه يصير وجهه كالبدر، يصير كأنه ملك مقرب. فرح قلبه مما يرى من إكرام الله تعالى له في الجنة. يبشره عمله بما قد أعد الله له في الجنة. العمل الصالح يصير صورة تقول له أنا بكاؤك وصبرك وتقواك وإيمانك ويقينك وصلاتك وصومك ومجاهدتك وشوقك إلى ربك عزَّ وجلَّ. ومعرفتك له وعلمك به، وحسن عملك وأدبك بين يديه عزَّ وجلَّ، فيزول ثقله ويسكن روعه، وينقلب خوفه أمناً، وشدته رخاءً.

وأما من لم يعمل عملاً صالحاً وبارز ربه بالعظائم. فإن ثقال معاصيه وأحمالها على ظهره، والجوع والعطش في باطنه، والخوف والذل ظاهره، والملائكة تسوقه من ورائهِ. يحبو حَبواً، أو يجر نفسه جراً، حتى يحضر عرصات القيامة، ثم تأتيه المناقشة والمحاسبة، فيحاسب حساباً شديداً. ثم يوقع له بالنار، فيعذب بها، فإن كان من أهل التوحيد عُوقب على قدر أعماله، وأخرجه الله عزَّ وجلّ من النار برحمته. وإنْ كان من أهل الكفر فهو مُخلد في النار مع أبناء جنسه.

يا غلام: إذا دمت في التوبة والفكر الصحيح، وتركت ما للدنيا واشتغلت بما للآخرة، وتركت ما للخلق واشتغلت بما للخالق، وتركت الشر وعملت بالخير. أنت رابح. وإن تركت التفكر والتوبة أنت خاسر. وما عندك خير، أنت خاسر غير رابح، مثلك مثل رجل يبيع ويشتري ولا يحسب ما ينفق ولا تجود النقد، فبعد قليل ينظر وقد ذهب رأس ماله، والذي بقى معه شبه فضة رديئة.

ويلك قد ذهب رأس مالك الذي هو عمرك، وما عندك خبر. كل كسبك بهرج وغيرك من المؤمنين كل كسبه جوهر. عن قريب يوفى للمؤمن، وتؤخذ أنت

وتحبس. ما يقبل الحق من الذي معك ذرة. إنما يقبل الحق عزَّ وجلَّ الإخلاص، ولا إخلاص عندك.

أما سمعتم قول النبي (ﷺ): حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا زنوها قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر.

مجلس «السماع»[1]

(القرآن به حياة القلوب وصفاء الأسرار وأساس جوار الرحمن عزّ وجلّ)

تربية القلوب، المجاهدة، السماع، القرآن، النور، الطمأنينة

قيل كل من يريد الله عزَّ وجلَّ، أن يكون عارفاً به عزَّ وجلَّ، ولياً من أوليائه، محباً من أحبابه، مراداً من مراديه. يُربّي قلبه كما يربي نيته، يلهمه الخير ويصرف عنه الشر، كما قال تعالى عن يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ سورة يوسف، الآية 24. هذا فعله مع الأنبياء والمرسلين والأولياء والصّديقين صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين. اجتاز عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام، على صبيان وهم يلعبون فقالوا له تعال العب معنا، فقال: سبحان الله ما خُلقنا للّعب.

نفوس القوم أمارة بالخير لا بالسوء، التحقت بالقلوب بعد المجاهدات كلما جاهدت اطمأنت وحسنت إلى الرفيق الأعلى، يصير سماع القرآن كله منيتها، وقبل هذا كانت تسمعه صورة بلا معنى. لا تكثر من سماع الهذيان والكلام به، فإن القرآن به حياة القلوب، وصفاء الأسرار وأساس جوار الرحمن عزَّ وجلَّ في الجنة المؤمن يعرف الخلق، له فيهم علامات، قلبه حساس ينظر بنور الله عزَّ وجلَّ، الذي أُسكن في قلبه النور. نور القلوب الطاهرة، طهارة القلوب والأسرار والخلوات، إذا لم يكن قلبك طاهراً وخلوتك طاهرة. فماذ تنفعك طهارة ظاهرك؟ لو اغتسلت كل يوم ألف مرة، مازال من وسخ قلبك شيء، المعاصي لها رائحة خبيثة يعلم بها الذين ينظرون بنور الله، لكنهم يسترون على الخلق ولا يفضحونهم.

---

(1) السماع عند السادة الصوفية موضوع متشعب وفيه آراء كثيرة. والحديث في هذا المجلس مقصور على سماع القرآن الكريم، وهو أعلى أنواع السماع، بشرط اقترانه بالفهم والتفكر.

ويحك أنت سكران كسلان، فلا جرم لا يقع بيدك شيء. جيرانك وإخوانك وأقاربك سافروا وفتشوا وحضروا، فوقعوا بالكنوز. ربحوا الدرهم عشرة وعشرين فرجعوا غانمين. وأنت قاعد في مكانك. عن قريب يذهب هذا القدر اليسير الذي بيدك وتطلب بعد ذلك من الناس.

مجلس «المجاهدة»

(ويحك جاهد في طريق الحق عزّ وجلّ)

الهداية. لسان الشرك. الاعتماد على الأسباب

ويحك جاهد في طريق الحق عزَّ وجلَّ، ولا تتكل على قدرة، أما سمعت قوله تعالى[1] ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ سورة العنكبوت، الآية 69.

جاهد وقد أتتك الهداية، بك لا تجيء. منك وحدك لا تجيء، أسرع وقد جاء غيرك، وتم شغلك، كل شيء بيد الله عزَّ وجلَّ. فلا تطلب من غيره شيئاً، أما سمعت قوله تعالى كيف يقول في محكم كلامه القديم[2] **(وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ)** سورة الحجر، الآية 21.

---

(1) ذكر ابو عبدالرحمن السلمي، في تفسيره (حقائق التفسير) في تفسير سورة العنكبوت، الآية 69: قال محمد بن خفيف: كلُّ محتمل لثقل العبودية في اختلاف ما وضع الله من فرض وفضل فهو داخل في أحوال المجاهدة، واللبيب من العقلاء من يعمل في تصفية قلبه من كل همه وانفراده بإصلاح ما هو أولى به في الحال بدوام المجاهدة واستعمال الرياضة وشدة الحراسة ومفارقته ما كانت النفوس عليها عاكفة لحقيقة المجاهدة لأن الله يقول: والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا... وقيل في قوله **(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا)** في طلبنا تحرياً لرضانا **(لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)** سبل الوصول إلينا.

(2) وذكر الامام القشيري في تفسيره المسمى (لطائف الإشارات) في تفسير سورة الحجر، الآية 21: خزائنه في الحقيقة مقدوراته وهو سبحانه قادر على كل ما هو مرسوم بالحدوث. ويقال خزائنه في الأرض قلوب العارفين بالله، وفي الخزانة جواهر من كل صنف.. ويقال من عرف أن خزائن الأشياء عند الله تقاصرت خُطاه عن التردد على منازل الناس في طلب الإرفاق منهم، وسعى في الآفاق في طلب الأرزاق منها، قاطعاً أمله عن الخلق، مُفرداً قلبه لله متجرداً عن التعلق بغير الله. قوله **(وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ)**: عَرَفَ القِسمة من استراح عن كد الطلب، فإنَّ المعلوم لا يتغير، والمقسوم لا يزيد ولا ينقص.

أبقـي بعـد هـذه الآيـة كـلام؟ يـا طالـب الديـنار والـدرهم، همـا شـيء، وهمـا بـيد الله عـزَّ وجـلَّ، فـلا تطلـبهما مـن الخلـق، فـلا تطلـبهما بلـسان شـركك، واعتمادك على الأسباب.

اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

مجلس «دار الحكمة»

(العاقل منكم من ذكر الموت)

الواسطة، القرب من المقربين، النفوس، الموت، الملوك، الرضا والشكر.

يا عباد الله أنتم في دار الحكمة. ولا بدّ من الواسطة. اطلبوا من معبودكم طبيباً يُطبب أمراض قلوبكم، مداوياً يداويكم، دليلاً يدلكم ويأخذ بأيديكم. تقربوا إلى مقربيه ومفرديه، وحُجاب قربه، وبوابي بابه.

قد رضيتم بخدمة نفوسكم ومتابعة أهويتكم وطباعكم، تجتهدون في رضاء نفوسكم وشبعها من الدنيا، وهي لا شيء، يقع بأيديكم[1] ساعة بعد ساعة، ويوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر وسنةً بعد سنة، وقد جاءكم الموت، فلا تقدرون أن تتخلصوا من يده. هو منكم على رصد، وما عندكم خبر، أنتم غائبون عن انتظاره، وهو قائم بحَذائكم، ينزل عن قريب بساحتكم، ساحته ساحة عوافيكم وحياتكم. ترحل روح أحدكم ويبقى جسده، كجسد شاة ميتة، من يرحمك ويواريك في التراب، قبل ان تأكلك سباع الأرض وهوامها، ثم يقعد أهلك وأصدقاؤك وأعداؤك في أكلهم وشربهم وتنعمهم، إما يترحمون عليك أو لا يترحمون. كثير من الملوك قتلهم أعداؤهم ورموا بهم في البراري من غير دفن قصداً، لتأكلهم الكلاب والحشرات، ما أقبح ملكاً يؤول أمره إلى هذا، وما أحسن ما قال بعضهم شعراً:

ليس ملكا يزيله الموت ملكا ... إنما الملك ملك من لا يموت

العاقل منكم من ذكر الموت، ورضى بما يأتي به القدر، فشكر على ما يحب، وصبر على ما يكره، اجعلو تفكركم في أمور أديانكم عوضاً عن التفكر في الشهوات واللذات، وفي الموت وما وراءه.

---

(1) يقع بأيديكم: المقصود هنا العمر، الذي نهايته الموت.

مجلس «أقسام»[1]

(الأقسام قد فرغ الله عزَّ وجلَّ منها لا يزيد فيها ذرة ولا تنقص منها ذرة)

الاشتغال بالقسم، أوقات معلومة، الحرص والطمأنينة.

الأقسام قد فرغ الله عزَّ وجلَّ منها لا يزيد فيها ذرة ولا يُنقص منها ذرة، قال النبي (ﷺ) «فرغ الله عزَّ وجلَّ من الخلق والرزق والأجل، قد جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة».. لا تشتغلوا بطلب ما قد قُسم، فإن ذلك الاشتغال لعب وحمق، جميع أحوالكم قد دبرها الله عزَّ وجلَّ وأرخها في أوقات معلومة، وما دامت النفس غير مطمئنة بالمجاهدة فهي لا تؤمن بهذا، ولا تترك الحرص واللجاج، قبل الطمأنينة، تؤمن به دعوى باللسان. كونوا عقلاء، تهذبوا بما أقول، لا تشتغلوا بطلب المقدور المكوّن، الذي لا بدّ من وجوده عندكم ومجيئه إليكم في أوقاته المؤرخة في علم الله عزَّ وجلَّ.

عن النبي (ﷺ) أنه قال: لو قال العبد اللهم لا ترزقني لرزقه، على رغم أنفه عرض فرض ثقة، من الله عز وجل.

---

(1) الأقسام: ما قُسم للعبد من رزق وغيره. وتحدث سيدنا الكيلاني (ﷺ) عن الأقسام في الفتح الرباني. ودائماً ما يكون ضمن باب الزهد. قال في المجلس الخامس والعشرين (الصادق في زهده تجيء إليه أقسامه فيتناولها ويلبس ظاهره بها، وقلبه مملوء من الزهد فيها وفي غيرها). وذكر في المجلس الثامن والعشرين (ترك الاقسام تعدوا وتذل وتسأله قبولها) وغيرها من الأقوال.

مجلس «الذكر»

(ويحك كم تقول الله أكبر وأنت تكذب الخبز أكبر عندك.. سلطان بلدك أكبر عندك)

التوحيد، الغيرة، ذكر القلب وذكر اللسان، لسان القلب.

أين أنت من التوحيد[1] يا مشرك؟ أين أنت من الصفا يا مُتكدر؟ أين أنت من الرضا يا متسخط؟ أين أنت من الصبر يا شاكر إلى الخلق؟

هذا الذي أنت عليه، ما هو دين من تَقَدم من الصالحين، إني أغار إذا سمعت واحداً يقول الله وهو يرى غيره.

يا ذاكراً اذكر الله عزَّ وجلَّ وأنت عنده، لا تذكره بلسانك وقلبك عند غيره. اهرب من الخلق إلى بابه، أخرج الدنيا والآخرة وما سواهما من قلبك، ثم اذكر بلسان قلبك وسرك ومعناك، ثم بلسان ظاهرك.

ويحك كم تقول الله أكبر وأنت تكذب الخبز أكبر عندك، الآدام أكبر عندك، واللحم أكبر عندك، الغنى الذي في حياتك عندك أكبر. حارس محلتك ودربك إلى محتلك عندك أكبر. سلطان بلدك أكبر عندك. تخاف

---

(1) التوحيد: قال الشريف الجرجاني في (التعريفات) التوحيد في اللغة الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد. وفي اصطلاح أهل الحقيقة. تجريد الذات الالهية عن كل ما يتصور في الأفهام ويتخيل في الاوهام والأذهان، والتوحيد: ثلاثة أشياء: معرفة الله تعالى بالربوبية والإقرار بالوحدانية. ونفي الانداد عنه جملة.

وعند سيدنا عبدالقادر الكيلاني (ﷺ): التوحيد مغروز في النفس وهي مفتقرة له بالعبودية قال (النفس بأجمعها تابعة لربها موافقة له إذ هو خالقها ومنشؤها وهي مفتقرة له بالعبودية) وذكر في الفتح الرباني إلى توحيد الألوهية،: بقوله: إذا قلت لا إله إلا الله فقد ادعيت. فيقال لك: ألك بينة. والبينة امتثال الأمر والانتهاء عن النهي والصبر على الآفات والتسليم إلى القدر هذه بينة الدعوى.

هؤلاء وترجوهم وتتعلق بهم وتتستر عنهم بثيابك لتسترك، وتبارز ربك بكل قبيحة، تعتمد عليهم في مهماتك، تراهم في الضرر والنفع والعطاء والمنع، إن خافقتكم تفلس في الدين، ولا تكونوا لا مسلمين ولا مؤمنين.

مجلس «القرب والبعد»[1]

(لا ترغبوا في شيء يفارقكم)

رؤية القرب. الستر، الرغبة، الزهد، نزع الطبع والنفس، الذكر، مسك اللسان

البعد يستر والقرب يهتك، ولكن المُقرب يطلع على الأشياء ويستُرها، ولا يتكلم بشيء منها إلا غلبة، فسبحان من يستر على عباده. سبحان من يطلع خواصه من خلقه على أحوال عباده، ثم يأمركم بالستر عليهم.

يا قوم: تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم، لا ترغبوا في شيء يفارقكم. المؤمن لو قدر، زهد في طعامه وشرابه ولباسه وزوجته، ولو قدر، نزع نفسه وطبعه وسواه من نفسه، حتى لا يطلب غير ربه عزَّ وجلَّ.

أمسكوا ألسنتكم عن الكلام فيما لا يعنيكم، وأكثروا من ذكر ربكم

---

(1) القرب والبعد: ذكر الإمام البخاري في صحيحه الحديث القدسي: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبد بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال يتقرب إليَّ عبدي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها..).

قال الإمام القشيري في رسالته: فقرب العبد: أولاً قرب بإيمانه وتصديقه، ثم قرب بإحسانه وتحقيقه.. ولا يكون قرب العبد من الحق إلا ببعده عن الخلق، وهذه من صفات القلوب دون أحكام الظواهر والكون.

وعَرف القرب: أول رتبة في القرب: القرب من طاعته، والاتِّصاف في دوام الأوقات بعبادته، وأما البعد: فهو التدنس بمخالفته، والتجافي عن طاعته. فأول البعد بعد عن التوفيق، ثم بعد عن التحقيق.

فأما القرب بالذات، فتعالى الله الملك الحق عنه، فإنه متقدس عن الحدود والأقطار، والنهاية والمقدار، وما اتصل به مخلوق، ولا انفصل عنه صادق مسبوق به، جلت صمديته عن قبول الوصل والفصل،.. وأضاف: والقرب قرب بالعلم والرؤية... وقرب يخص به من يشاء من عباده، وهو قرب الفضل باللطف.

عزَّ وجلَّ، ولازموا بيوتكم، ولا تخرجوا إلا عند الضرورة، لشغل لا بدّ لكم منه. أو حضور الجمعة والجماعات، أو حضور مجالس الذكر، من قدر منكم يعمل صنعته في بيته فليعمل.

مجلس «الفناء والبقاء»[1]

(يصير حقاً في حق يفنى هو ويبقى الأول)

مدارج المحبة. الطاعة. الذكر. الفناء والبقاء. المؤمن. الفقر.

ويلك تدعي الله عزَّ وجلَّ وأَنت لا تُطيعه، محبته في آخر الأمر تكون بعد امتثال أوامره والانتهاء عن النواهي، والقناعة بالعطاء، والرضا بالقضاء، ثم تحبه لنعمه، ثم تحبه لغير عوض، ثم تشتاق إليه.

المُحب يذكر الحق بلسانه وجوارحه وبقلبه وسره، فإذا فنى في ذكره، باهى به خلقه ومَيزه عنهم، يصير حقاً في حق، يفنى هو ويبقى الأول والآخر والظاهر والباطن.

تدعي محبته وتشكو إلى الخلق منه، كذبت في محبته، من يحبه في حالة الغنى ويشكو منه في حالة الفقر فهو كذاب. إذا جاء الفقر على قلب خام يقصره لم يقره الإيمان والإيقان، لا جرم يكون في صحبة الكفر، لا يصلح الفقر إلا للمؤمن الصابر الورع، كيف لا يصبر عليه والدنيا سجنه، هل رأيتم مسجوناً يطلب التنعم في سجنه.

المؤمن يتمنى الخروج من الدنيا، يتمنى الانفلات منها، بينه وبين نفسه عداوة، يتمنى لها الجوع والعطش والعرى والذل حتى تساعده على الطاعة. فالفقر يصلح له، ويقدر ويصبر عليه، يا تماراً احفظ تمرك وتحمد أمرك.

---

(1) قال الكمشخانوي في (جامع الأصول): الفناء: يزول الرسوم جميعاً بالكلية.. وهو مقام المحبوبية وفي البدايات: الفناء عن العادات والمألوفات بامتثال المأمورات.... وفي الولايات: الفناء عن الصفات والتوجه نحو الذات.

ثم البقاء: وهو بقاء ما لم يزل حقاً بشهود فناء ما لم يكن شيئاً حتى يقبل محقاً.. وفي البدايات: بقاء الخلق المعدوم بذاته بوجود الحق حتى يقوم بالعبودية... وفي الولايات: بقاء الأسماء والصفات الإلهية بعد فناء السمات الخلقية. وفي الحقائق: بقاء الشهود بفناء الشاهد. والفناء بصورته العامة عند السادة الصوفية: فناء عن كل مذموم والبقاء بقاء لكل ممدوح والفناء لا يحصل إلا بكثرة الرياضة والعبادة والذكر وبعدها الاستغراق بالحق بالكلية. وللتوسع انظر أقوال أبي سعيد الخراز في كتاب الضياء.

مجلس «الشريعة والحقيقة»[1]

(كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة)

العلم. الاجتهاد. الشريعة والحقيقة. الحكم. السر.

ويحك تدعي إرادتي ثم تسافر عني، إلى أين تمضي نُزلي حيطاناً، أنت تربي أعمالاً بلا إخلاص، شروعاً بلا تمام ظاهر بلا باطن خلقاً بلا خالق، دنيا بلا آخرة، اجتهاداً في العبادة بلا علم.

كثير من العباد يجتهدون الليل والنهار مع جهلهم بالعلم والقضاء والقدر، يتكلمون في الحقيقة بلا شريعة، فلا جرم يتزندقون، ولهذا قيل كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة. أساس هذا الكلام أحكام هذا السر ثم الحكم بعد ذلك، فيكون البناء.

---

(1) من ثوابت السادة الصوفية القول (الشريعة مؤيدة بالحقيقة، والحقيقة مقيدة بالشريعة) والشريعة: التزام العبودية، والحقيقة: مشاهدة الربوبية، وتوحيد الربوبية والإقرار بالعبودية. قال الإمام القشيري في رسالته: فالشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشهده. وأضاف: اعلم أن الشريعة حقيقة من حيث إنها وجبت بأمره. والحقيقة - أيضاً - شريعة، من حيث إن العارف به سبحانه أيضاً وجبت بأمره. ذكرنا تفاصيل الحقيقة في كتاب (ابواب التصوف - مقاماته وآفاته). وعقدنا جدول مقارنة ومقاربة بين الشريعة والحقيقة وذكرنا قول الله تعالى (**لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ**) سورة التكوير، الآية 28. هذه شريعة وقول الله تعالى (**وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ**) سورة التكوير، الآية 29. هذه حقيقة. وقول الله تعالى (**إياكَ نعبدُ**) سورة الفاتحة، الآية 5. هذه شريعة وقوله تعالى (**إياكَ نستعين**) سورة الفاتحة، الآية 5، إقرار بالحقيقة. وذكرنا أن باطن الشريعة حقيقة وظاهر الحقيقة شريعة. والشريعة علم الظاهر وعلم اليقين. والحقيقة علم الباطن حق اليقين. وللتوسع يمكن مراجعة المصدر أعلاه.

مجلس «التوبة»[1]

(ما بقى لي على وجه الأرض صديق ولا عدو)

الاستغفار. الذنب. البعد. خلع الكرامة، العدو والصديق.

أكثروا من الاستغفار والتوبة، فإنهما أصلان عظيمان لأمور الدنيا والآخرة. ولهذا قيل، أمر نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام قومه بالاستغفار ووعدهم في جوابه بالمغفرة، وتسخيرة الدنيا لهم، ووقوفها في خدمتهم فقال لقومه حاكياً عن قوله تعالى:

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ سورة نوح، الآيات 10 - 12.

توبوا من ذنوبكم، وارجعوا عن شرككم الذي أنتم عليه، حتى يُعطيكم جميع ما تريدون من أمور الدنيا والآخرة، قد أذنبتم كما أذنب أبوكم آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام. فتوبوا كما تاب، لما أكل هو زوجته حواء على نبينا وعليها الصلاة والسلام من الشجرة التي نهاهم ربُّهما عن الأكل منها، فعاقبهما بالبعد، وعراهما من خلع كرامته، تركهما عريانين، وأخذا من ورق شجر الجنة ثم يبست الأوراق وتساقطت عنهما وبقيا عريانين، ثم أُهبطا إلى الأرض، وجرى كل ذلك بشؤم المعصية والمخالفة. سم المعصية دَبَّ في أجسادهما، وأبعدهما، ثم لقنهما الله عزَّ وجلَّ التوبة والاستغفار، فتابا واستغفرا، فتاب عليهما وغفر لهما.

المعادِي لي والمحب لي عندي سواء، ما بقى لي على وجه الأرض صديق ولا

---

(1) التوبة أول مقامات التصوف، ومن لم تصح توبته لا يصح له السلوك. قال الإمام الغزالي: التوبة واجبة على كل أحد وفي كل حال. وهناك توبة حال وتوبة تحقيق. الاولى في ترك الذنوب، والثانية الرجوع عن طريق البعد إلى طريق القرب. وللتوبة ثلاثة مقامات الندم، والاستغفار، والحقيقة.

عدو[1]، هذا فيما يلي، محبته وصحة التوحيد، ورؤية الخلق العجز.

أما من اتقى الله عزَّ وجلَّ فهو صديقي ومن عصاه فهو عدوي. ذلك صديق إيماني وهذا عدو له.

اللهم حقق لي هذا وثبته وثبتني عليه، اجعله موهبة لا عارية، إنك تعلم أني أقتل في حبال دينك وفي حبال إرادتك، وإني خادم الخادمين لك. الزاهدين في سواك طلباً لمرضاتك.

(1) يتحدث سيدنا عبدالقادر الكيلاني (ﷺ) - هنا - عن مقامه - وهو مقام الكُمل، حيث تتساوى كل الأشياء عنده. الفقر والغنى، المرض والصحة، العدو والصديق. لا يلتفت إلا لله سبحانه وتعالى. لأن هذه الأشياء من الدنيا.

مجلس «المنـــة»

(كثير من الفقراء يحتملون نار الفقر ولا يحتملون نار المنة)

الشكر، المواساة، الزكاة، الثواب، المنة شرك، الاعتزاز.

ويحك يا غني، لا تظن شكر الغنى أن تقول الحمد لله رب العالمين فحسب، إنما شكره أن تواسي الفقراء بشيء، ومنه تُوفيهم الزكاة المفروضة، ثم تواسيهم مهما أمكن، وتعطيهم بلا منة، فإن المنة تؤذي القلوب وتكدر العطاء.

كثير من الفقراء يحتملون نار الفقر ولا يحتملون نار المنة، إنْ كنت تعطي فلا منة وإلا فلا تعط، إنْ سمعت قول الله عزَّ وجلَّ:[1] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ سورة البقرة، الآية 264. بطلانها أن لا يبقى لها ثواب، فيخسر المنان ماله وثوابه ويسودّ قلبه. لأن المنة شرك، المؤمن يعطي ولا يمن بل يشكر الله عزَّ وجلَّ على توفيقه له. ويعتقد أنهُ هو الذي أَعطاه ما بيده، وهو الذي يأخذ منه ويعطيه لغيره.

يا أغنياء يا موسعاً عليهم لا تغتروا بِغناكم ولا تفتخروا ولا تتكبروا به على الفقراء. فلأن ذلك سيكون سبب فقركم. وأنتم يا شبان لا تغتروا بشبابكم وقوتكم على الفقراء، وتستعينوا بهما على معصية الله عزَّ وجلَّ.

---

(1) قال السري في هذه الآية الكريمة: من تَزين بعمله كانت حسناته سيئاتٍ،؟ فكيف من رأى له قيمة وطلب عليه العوض. وذكر السلمي في تفسيره للآية الكريمة (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله) سورة البقرة، الآية 273. هذه صفة الذين حبسوا أنفسهم على الله من غير تعريض ولا إظهار جزع إلا إلى الله.

وُسئلَ الجنيد عن الفقير الصادق متى يكون مستوجباً لدخول الجنة قبل الأغنياء بخمس مائة عام؟ قال: إذا كان الفقير معاملاً لله بقلبه موافقاً له في جميع أحواله منعاً وعطاءً، يعد الفقر من الله نعمة عليه يخاف على زواله كما يخاف الغني على زوال غناه.

قال ابن عطاء: لم يعلموا أن الفقر هو الفقر إلى الله والغناء هو الاستغناء به.

مجلس «المعاصي»

(المعاصي سم الأجساد)

اذكروا الموت، الصوم نور القلب، النعيم لا يدوم، الزهد في الدنيا وفي الخلق، حب الله

المعاصي سم الأجساد، وهي سبع يأكل لحم أديانكم وعواقبكم، ما أحسن ما قال بعضهم شعرا:

إِذا كنت في نعمة فارْعَها   فإِن المعاصي تُزيل النعم

احضروا عندي مع حسن الظن، وزوال التهمة، وإذا رجعتم إلى بيوتكم فتذكروا هذا الكلام، ولا تنسوه، واذكروا الموت وما وراءه، عليكم بالصوم فإنه ينور القلب[1]، لا سيما إذا كان إفطاركم على الحلال.

ما يقع بأيديكم شيء إلا ببذل شيء، اتفق الحكماء والعلماء على أن النعيم لا يدوم، وان النعيم لا يدرك إلا بترك النعيم. وروي عن بعض الصالحين، أنه بقى أربعين سنة وما نام إلا في السجود، وكان سجوده لا على فراشه ولحافه ووسادته. هذه في الخلق وفيما في أيديهم، ورغبة في الخالق، وعرف ما عنده فعبده، وجاهد نفسه فيه، من عرف الله عزَّ وجلَّ أحبه، ومن أحبه وافقه.

---

(1) الصوم: ذكر سيدنا عبدالقادر الكيلاني (ﷺ) في سر الأسرار: بيان صوم الشريعة: أن يمسك عن المأكولات والمشروبات وعن وقاع النساء في النهار، وأما صوم الطريقة: فهو أن يمسك عن جميع أعضائه المحرمات مثل العجب والكبر والبخل وغير ذلك. ظاهراً وباطناً. فكلها يبطل صوم الطريقة. وأضاف صوم الحقيقة: فهو إمساك الفؤاد عن محبة ما سوى الله تعالى. وإمساك السر عن محبة مشاهدة غير الله كما قال الله تعالى في الحديث القدسي: الإنسان سري وأنا سره. والسر من نور الله تعالى فلا يميل إلى غير الله تعالى.

مجلس «النفس»[1]

(النفس جاهلة فعلموها، سيئة الأدب فأدبوها)

الدنيا، النفس، أقسام النفس، العلم السابق، الزهد، العافية

يا غلام: ما تفعل بهذه الدنيا؟ إن أقبلت شغلت وإن أدبرت حسرت. إن جعت منها ضعفت، وإن شبعت منها ثقلت.

النفس جاهلة فعلموها، سيئة الأدب فأدبوها، ما تفرق بين الداء والدواء، بين الحلال والحرام، بين ما يصلح وما يفسد، ما تزال تنازع ربها، لا تطعموها لُقيمة من الشهوات واللذات، لا تزيدوها على حقها، هو الخبز البحت أي بلا آدام، فإذا اطمأنت على ذلك فانقلوها إلى خِشاش الأرض، حتى تكون كل أمنيتها تعيدونها إلى الخبز، فإذا اطمأنت وسكنت وذهب شرها، جاءت أقسامها، جاءكم التوقيع من ربكم:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ سورة النساء، الآية 29. ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة الفجر، الآيتان 27 - 28.

تبدو لها أقسامها، ويأمرها العلم السابق، باستيفاء ذلك، فتستوفي أقسامها مع ثباتها، وصحة الزهد فيها. فحينئذ لا يضرها تلبسها بها[2]، فيصير ذلك التناول انشراحاً في الصدر وصفاء في القلب. يصير كالمريض إذا حماه الطبيب من الأطعمة وغذاه بما يصلحه من الأغذية والأشربة، إلا

---

(1) قال ابن عطاء: النفس مجبولة على سوء الأدب. والعبد مأمور بملازمة الأدب. وقال الجنيد: إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها. قال أبو بكر الطمستاني: النعمة العظمى: الخروج من النفس، لأن النفس أعظم حجاب بينك وبين الله عزَّ وجلَّ.

(2) هذه النفس بعد الرياضة والمجاهدة. فتكون راضية مرضية. ومعنى (لا يضرها تلبسها بها). أنها عادت كنفس ولكن بعد مجاهدة. فلا يضرها كونها نفساً.

أن تأتيه العافية، فيأمره بتناول الطعام وينقله من طعام إلى طعام، فيصير تناوله للطعام دواء له، وزيادة في قوة بدنه، وهكذا الزهد إذا تناول الأقسام في آخر أمره يصير عافية في دينه ونوراً في قلبه وسره.

اللهم اجعلنا من الزاهدين فيما سواك، راغبين فيك في جميع الأحوال. وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

مجلس «حقيقة الإسلام»

(صفّوا ظواهركم بالإسلام وبواطنكم بالاستسلام)

الإسلام، الاستسلام، تحقيق الإسلام، الرضا، القدرة، القدر، قصر الأمل، المرض.

إن الدين عند الله الإسلام، حقيقة الإسلام الاستسلام، عليكم بتحقيق الإسلام، ثم بتحقيق الاستسلام، صفّوا ظواهركم بالإسلام وبواطنكم بالاستسلام[1]. سلموا أنفسكم إلى ربكم عزَّ وجلَّ. ارضوا بتدبيره لكم، اتركوا قدرتكم بقدرة الذي حكم ربكم به عزَّ وجلَّ. اجعلوا جميع ما يأتي به القدر مقبولاً عندكم. ربكم أعلم بكم منكم.

ارضوا بكلامه موقنين، استقبلوا أوامره ونواهيه بالقبول، استقبلوا دينه بكل قلوبكم، اجعلوه شعاركم ودثاركم.

اغتنموا حياتكم قبل مجيء يوم لا مرد له من الله تعالى، وهو يوم القيامة، عليكم بقصر الأمل. فما أفلح من أفلح إلا بقصر الأمل، قللوا من حرصكم على الدنيا، فإن أقسامكم تأتيكم فإن لم تحرصوا، لا تخرجوا من الدنيا إلا بعد استيفاء جميع ما هو لكم.

---

(1) قال الإمام النووي في كتاب رياض الصالحين: روى مسلم عن عمر (ﷺ)، قال بينما نحن جلوس عند رسول الله (ﷺ) إذ طلع علينا رجلٌ شديدُ بياض الثياب شديدُ سواد الشعر لا يُرى عليه أثرُ سفر ولا يعرفه منا أحدٌ حتى جلس إلى النبي (ﷺ) فأسند ركبتيه إلى ركبتيه وضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله: الإسلام أن تشهدَ أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله وتُقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضانَ وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال صدقت فعجبنا له يسأله ويُصدِّقه قال فأخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسلِهِ واليوم الآخر وتؤمن بالقدرِ خَيرهِ وشرهِ قال صدقت فأخبرني عن الإحسان قال أن تَعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك... إلى آخر الحديث قال رسول الله (ﷺ) فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم.

الإسلام والإيمان والإحسان. الإسلام ظاهر الشرع والتمسك بحدوده. والباطن في الإيمان والتحقق بالإحسان. وهذا هو الاستسلام.

مجلس «القيامة»

(يوم موتك قيامة خاصة في حقك)

يوم الموت، القيامة الخاصة، القيامة العامة، ملك الموت، اليوم الأول، اليوم الثاني. المُقلِب

(موتوا قبل أن تموتوا عن نفوسكم وإرادتكم)

ويحكم لا انفلات لك من الموت، ليس عن الموت فوت، أين ما توجهت وكيف تقلبت هو أمامك وحواليك.

عليك بيوم القيامة، فيوم موتك قيامة خاصة في حقك، ويوم القيامة قيامة عامة في حقك وحق غيرك. القيامة الأولى تُريك القيامة الثانية[1]. إذا رأيت ملك الموت على نبينا وعليه الصلاة والسلام وقد جاء إليك بوجه ضاحك منبسط وأعوانه كذلك، وسلموا عليك وأخذ روحك بالرفق كما أخذ روح الأنبياء والشهداء والصالحين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. فأبشر بالخير في القيامة، اليوم الأول يريك اليوم الثاني وعنوانه، إن رأيت خيراً فخير. وإن رأيت شراً فشر.. جاء ملك الموت على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وبيده تفاحة فأشَمهُ إياها، فأخذ روحه في تلك الشمة، وهكذا كل من قربت منزلته عند الله، يأخذ روحه على أسهل وجه، وأجمل حالة.

يا قوم: موتوا قبل أن تموتوا، عن نفوسكم وإرادتكم. أكثروا من ذكر

---

(1) القيامة: البعث، القيامة الأولى هي القيامة الخاصة بكل عبد وهي الموت. والقيامة الثانية هي القيامة العامة لكل البشر يوم البعث والنشور.

أما قوله اليوم الأول يُريك اليوم الثاني: لأن وقت العمل والتوبة والتصحيح انتهى مع الموت وتأثير هذا الكلام لسيدنا عبدالقادر الكيلاني في الموت والقيامة الخاصة والعامة أخذ طريقه عند أهل التصوف لمن جاء بعده. فتجد أثره عند الشيخ ابن عربي باسم القيامة الصغرى والقيامة الكبرى. مثلما جاء في فصوص الحكم، ج3، ص389 وغيرها.

الموت وتأهبوا له، قبل مجيئه، وقد متم قبل أن تموتوا، يسهل عليكم الموت، ولا يبقى له كرب. يوم الموت ويوم القيامة، فانتظروهما، هذان اليومانِ لا مرد لهما من الله عزَّ وجلَّ، كونوا عقلاء، ما أرى لكم قلوباً ولا معرفة بالمُقَلب[1].

(1) المُقَلِب: هو الله عزَّ وجلَّ: جاء في الأثر (يا مُقَلِّب القلوب ثبت قلبي على دينك).

مجلس «طريق التصوف»

(أطبق عين القلب عن العمل وأغمضها)

الزهد، الآحاد، التصفية، الراسل، التوكل، الثقة. الجوارح. عين القلب.

ويحكم تدعي الزهد وتلبس لباس الزهاد، ثم تمضي إلى أبواب الملوك والأغنياء الذين هم أبناء الدنيا، وترجع نفسك تطلب الدنيا وتتمنى ما هم فيه.

أما علمت أن النبي (ﷺ) قال: من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

شُغل الدنيا يقطع الطريق على عباد الله عزَّ وجلَّ، ويسخَر بهم ويأخذ عقولهم، هذا عام في حق الكل، إلا ما شاء الله عزَّ وجلَّ، آحاد أفراد يتولى الله عزَّ وجلَّ قلوبهم وأعمالهم، ويحفظهم في خلواتهم وجلواتهم، يُصفّي لهم بيد القدرة، مأكولهم ومشروبهم وملبوسهم.

القوم عملوا بما جاء به رسول الله (ﷺ)، فَرضي عنهم الراسل عزَّ وجلَّ، وتولاهم وأحبهم، التمسوا الجار قبل شراء الدار، والرفيق قبل سلوك الطريق. هذا الجار قُرب الحق عزَّ وجلَّ، ومعرفته والإيمان به والتوكل عليه والثقة بوعده، فقهت قلوبهم فتنحت عن دار الدنيا وعن دار الآخرة، ووقفوا ناحية عنهم.

يا غافلين: هذا الذي شرحت، لا يحيا إلا بالعمل، والغوص فيه بالجوارح تارة والقلب تارة. وبالفعل أخرى، انطق تارة ثم اخرسْ أخرى، اعمل تارة واترك العمل أخرى. واستحي وأطبق عين القلب عن العمل وأغمضها عن رؤية الأعمال[1]. فإذا تم هذا جاءك التحريك من الله عزَّ وجلَّ، يقال له تحرك وتقدم وافتح عينيك وانظر بعيني رأسك وبعين قلبك، ما قد جاءك من الله عزَّ وجلَّ على يد القدرة. القوم أبداً متصاغرون متواضعون، لا يزالون على ذلك حتى يرفعهم الذي تواضعوا لأجله.

---

(1) (رؤية الأعمال) عند السادة الصوفية، أن ترى نفسك أعمالك فتصاب بالغرور. وهذا يذهب بركة العمل، لأن العمل يُطلب به وجه الله تعالى.

مجلس (الورع)[1]

(يتورع ولا يقطع بصفاء كل ما يجده)

المؤمن، الإيثار، الترك، الإرث.

المؤمن يجتهد في إخراج ما بيده والإيثار به، لا يعلم أنه مخبأ له، يجده وقت الحاجة إليه، يتورع ولا يقطع بصفاء كل ما يجده، ويترك أشياء كثيرة، حتى يأخذ أشياء يعرف أصلها وفرعها. يعمل لكل شيء حجة ليخرجه من يديه. يقع بيده إرث من أبيه وأمه، فيقول لعلهما اكتسبا هذا بغير يد الورع، فيخرج إلى الفقراء والمساكين.

---

(1) الورع: ترك الشبهة. قال أبو هريرة: جلساء الله تعالى غداً أهل الورع والزهد.

قال الداراني: الورع أول الزهد، وحد الورع في الشريعة اجتناب ما نهى الشرع عنه.

الورع عند الشريف الجرجاني: هو اجتناب الشبهات خوفاً من الوقوع في المحرمات، وقيل هو ملازمة الأعمال الجميلة.

مجلس «الإرادة»

(بالمحبة يفطنون)

المراد، المحب، المحبوب، التسليم، وراء المعقول،

يا من يدعي الإرادة، ما تصح إرادتك ولك شيء يجيء من مرادك، تقول لي وما ليَ، المحب لا مال ولا عَرَضَ له، ولا خزانة له ولا إرادة له، لا دار له إلا بالإضافة إلى محبوبه، الكل لمراده ومحبوبه، المحب مملوك، عبد بين يدي محبوبه ذليل، والعبد وما ملك لمولاه، إذا تم التسليم، المحب إلى المحبوب سَلم المحبوب إليه، ما تسلمه وما فوضته إليه ينقلب الأمر يصير العبد حراً، والذليل عزيزاً، والعبد قريباً. والمحب محبوباً.

لما صبر مجنون ليلى على محبتها، انقلبت المحبة إليها وصارت ليلى المجنون، والمجنون ليلى، من صبر على محبة الله عزَّ وجلَّ وصدق فيها، ولم يهرب من بابه لأجل سهام آفاته، وتلقاها بصدر قلبه، صار محبوباً مراداً مطلوباً. من ذاق هذا فقد عرفه، هذا شيء لا يجيء بالصفة، هو شيء من وراء معقول الخلق كلهم، إلا آحاد أفراد منهم.[1]

أمنهم الخلق، سواء عليهم، بالمحبة يفطنون، وبأدنى إشارة يرجعون، يرجعون ويتأدبون، ويعلمون ما يراد منهم.

---

(1) (من وراء معقول الخلق): أي لا يدرك الإنسان هذه الأشياء بعقولهم المجردة. أو بمنطق العقل. وعبارة (صارت ليلى المجنون، والمجنون ليلى) لا تحمل العبارة على تبادل الصفات. لأن ذلك يؤدي إلى القول بالحلول والاتحاد، لذا تداركها بعبارة (هذا شيء لا يجيء بالصفة) أي ليس بتبادل الصفات. وإنما المقصود أن المُحب إذا أصرَّ على حبه رغم تلقيه سهام الآفات صار في النهاية أي المُحب محبوباً وصار المُريد مراداً بسبب إصراره على المحبة.

مجلس «البداية والنهاية»

(وفي النهاية عند قوة الإيمان لا إله إلا أنت، لأنه يخاطب حاضراً مُشاهداً)

الإيمان. المجاهدة. المحوُ. الفناء. الاستواء. الخواص.

يا قوم اكتسبوا الإيمان، واضربوا أنفسكم بعصا المجاهدة، سلموها إلى رائض الإيمان، هي مُهرة غير مُلينة، نفوسكم غير مرضية غير معلمة. مليئة بالكبر والعظمة، طريق الله عزَّ وجلَّ ليس أنا، ومعي، ولي. كل هذا الطريق محو وفناء.[1]

في البداية عند ضعف الإيمان لا إله إلا الله، وفي النهاية عند قوة الإيمان لا إله إلا أنت. لأنه يخاطب حاضراً مشاهداً. أمر باطن، سر في سر، نفحة، ولهذا قال النبي (ﷺ) «إن لله عزَّ وجلَّ في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها».

يا منافق يحق لك أن لا تفعل ما أقول لك، لأنك تكذب، فإن أردت أن تفعل ما أقول، وتفهمه، فتُب من نفاقك، وأخلص في عملك، وازهد في دنياك فيما سوى مولاك.

هذا أمر وله شهادة أن لا إله إلا الله ومحمد رسول الله (ﷺ). وآخره استواء الحجر والمدر، أعني بالحجر الذهب الذي هو محبوب الخلق ومرادهم.

لك بداية بلا نهاية، أنت محق في قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولكن غير قائم بشرطها. ولا أنت من الخواص حتى يستوي عندك

---

(1) (رائض): مروض، (غير مرضية): النفس أمارة بالسوء وبالرياضة تصل إلى المرضية (المحو) محو أوصاف العادة (الفناء): عدم رؤية العبد لفعله أو سقوط الأوصاف المذمومة.

قال القشيري: أفناه عن نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحق ثم فناؤه عن صفات الحق بشهود الحق ثم فناؤه عن شهود وفنائه باستهلاكه في وجود الحق.

الحجر والمدر.

فأنت أي شيء أنت؟ كيف نذكرك ونعدك، وأنت لا في الأول ولا في الآخر، تريد مني مدحك بما ليس فيك، حتى تفرح نفسك وترضى عني وتهدي لي، لا كرامة لك، إني أقول الحق ولا أخاف لومة لائم، إني في كرٍّ وفرٍّ بين الخلق والخالق، بين من لا يعقل وبين من يعقل، وبين من يضبط وبين من لا يضبط.

أنت جاهل، لا تعادِني فتهلك، لا تكن من الذين يعادون ما جهلوه، جهلت ما أنا فيه فعاديتني فلا فكرة عندك بعداوتك.

مجلس «لا كاشف إلا هو»[1]

(لِما تقول لعاجز مثلك اكشف عني)

الضر، القطع بالقلب، الخلق والأسباب.

يا غلام: إن مَسَّكَ الله بضُر أو بلية، لا يقدر على كشفها إلا هو، لِما تقول لعاجز مثلك اكشف عني ما وقعت فيه، إذا جاءك مرض أو أذية، وأخذت بعرضك أو مالك فلا كاشف لذلك إلا هو، إذا جاءك خُسران في المال أو وجع في الكبد أو هجرت من الجيران والإخوان، وضاقت الدنيا برحبها، فاقطع بكل قلبك إن هذا كُله من الله عزَّ وجلَّ، ولا كاشف لذلك كله إلا هو، ولا رافع له إلا الذي وضعه، هو الذي ألقاه عليك وهو الذي ألبسك هذا الثوب، وهو الذي ينزعه عنك.

كونوا عقلاء ولا تشركوا بالخلق والأسباب، اجعلوا لكم رباً واحداً لا أرباباً، وهو المُسخّر وهو المُسلّط وهو الحاكم وهو القاضي وهو الفاعل، قدره يجيء، وبيده المرض فيطرق باب عافيتك، قدره يجيء وبيده الضيق فيطرق باب سعتك، قدره يجيء وبيده الغم فيطرق باب فرحك، قدره يجيء وبيده الخوف فيطرق باب أمنك، كل هذا منه ولا كاشف له إلا هُو.

---

(1) الحديث في هذا المجلس يدور حول (القضاء والقدر). والقضاء والقدر من أصول الإيمان كما مر بنا في الحديث السابق عن الامام النووي. والقضاء والقدر عند سيدنا عبدالقادر الكيلاني (ﷺ)، يأتي بكلمات وعبارات مختلفة مثل - ما سبق به العلم - وعلم السبق كما لاحظنا ذلك في المجلس السابق. وذكر في كتاب الغنية. "وينبغي أن يؤمن بخير القدر وشره وحلو القضاء ومره" و"أنه لا محيص لمخلوق من القدر المقدور الذي خط في اللوح المسطور". وذكر كذلك "ونعتقد أن أفعال العباد خلق الله عزَّ وجلَّ وكسب لهم خيرها وشرها، حسنها وقبيحها، ما كان منها طاعة ومعصية لاعلى معنى أنه أمر بالمعصية لكن قضى بها وقدرها وجعلها على حسب قصده وأنه قسم الأرزاق وقدَّرها فلا يصدها صاد ولا يمنعها مانع لا زائدها ينقص ولا ناقصها يزيد ولا ناعمها يخشن ولا خشنها ينعم ورزق غد لا يؤكل اليوم وقسم زيد لا ينقل إلى عمرو".

مجلس «ما وراء المعقول»

(القوم وأرواحهم تأكل من طبق فضل الله عز وجل)

المعرفة، علم الله، الأرواح، الشهداء، الفناء، الملوك، عبد الحمد والثناء.

الدنيا سجن المؤمن، فإذا انتهى فيه، انتقلت أقدامه وانتقل إلى حال المعرفة[1]، ووقعت حيطان السجن، وانفتحت بين يديه الأبواب، يتريث قلبه فيطير إلى جو علم الله عزَّ وجلَّ يلتحق بالأرواح التي هناك، هذا من وراء معقولكم.

قلوب القوم وأرواحهم تأكل من طبق فضل الله عزَّ وجلَّ وهم في الدنيا، كما تأكل أرواح الشهداء في الجنة، وهما هاهنا. يكون الفناء عن الخلق منها هاهنا، يكون ذلك القلب، منهم ملوك في الدنيا وملوك في الآخرة. رؤساء في الدنيا ورؤساء في الآخرة.

يا جاهل يا معانق للدنيا والدراهم، يا من فرح بحمد الخلق له وثنائهم، أنت عبدالحمد والثناء والعطاء، لوكان لك عقل لبكيت على نفسك.

إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. اللهم ارزقنا تحقيق عبوديتك والصدق في طلبك. وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

---

(1) الدنيا ومتعلقاتها هي حجاب المعرفة. والانتقال منها بالفناء. والفناء لا يتحقق إلا بفناء الصفات المذمومة. ومنها شهواته ورغباته في الدنيا. والبقاء بعدها البقاء في الصفات المحمودة والتحقق في العبودية والقيام في الله تعالى. المهم أن هناك حال المعرفة بعد الخروج بالصفات من الدنيا. وهذه المعرفة هو طيران في (جو علم الله عزَّ وجلَّ) على حد تعبيره. وعندها يتحقق بالمعرفة.

مجلس «الصادق»[1]

(إذا ظفرت بصادق فلازمه)

وصف الصادق. ملازمة الصادق.

يا غلام: الصادق لا وراء له لا يزال إلى قُدام، له صدر بلا ظهر، لا يزال يصدق في طلبه، حتى تصير ذرته جبلاً، وقطرته بحراً، قليله كثيراً، مصباحهُ شمساً، قشره لباً. إذا ظفرت بصادق فلازمه، إذا ظفرت بمن عنده دواؤك فلازمه، إذا ظفرت بمن يَدلك على ما ضاع منك فلازمه.

يحق لكم لا تعرفونهم فإنهم آحاد وأفراد، القشر كثير واللّب قليل، القشور إلى المزابل واللُّب في خزائن الملوك. كل قلب مليء بالدنيا والشهوات واللذات فهو قشر لا يصلح إلا للنار، متى رأيت في قلبك شيئاً من الدنيا، فأنت مُعاقب. قال الله تعالى.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ **سورة الداريات، الآية 56.**

ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين.

---

(1) الصدق: مطابقة الحكم للواقع. والصدق في الأقوال والأعمال والعزم. قال القشيري الصّديق: هو الذي لم يدع شيئاً مما أظهره باللسان إلا حققه بقلبه وعمله. والصدق والإخلاص باب عظيم من أبواب التصوف. قال الإمام المحاسبي: أهل الصدق هم أهل المعرفة. حيث أوصل الصدق إلى المعرفة. وذكر سيدنا عبدالقادر الكيلاني (ﷺ) الصدق واعتبره عماد الأمر وبه تمامه وفيه نظامه. وهو ثاني درجة النبوة. وأضاف: إذا طلبت الله بالصدق أعطاك مرآة تنظر فيها كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة. وأكد ذلك القاشاني بقوله: وليس يعلو على مقام الصديقية إلا مقام النبوة. بحيث إنه من تخطى مقام الصديقية حصل في مقام النبوة. فلم يجعل تعالى بين مرتبتي النبوة والصديقية مرتبة أخرى تتخللها.

مجلس «إسلام الظاهر والباطن»[1]

(لا تقنعوا بالصور دون المعاني)

الحكم والعلم، الظاهر والباطن، تحقيق الإسلام، العقوبة، ختم القرب

الأكثر منكم محجوبون، يدعون الإسلام، وما عندهم حقيقته. ويحكم اسم الإسلام فحسب، لا ينفعكم، تعملون بشرائطه ظاهراً بلا باطن. لا يستوي عملكم شيئاً، ظاهرك في المحراب وباطنك يُرائي ويُنافق، ظاهرك ظاهر متنسك وباطنك ملآن بالحرام. ولك قعيدة في بيتك، الشرع يسقط عنك العقوبة ظاهراً، لأنه لم يظهر منك شيء يخالفه، والعلم يحكم عليك بالمقت والعقوبة. وإن قَدر أن تنفلت اليوم من العقوبة من فعلتك، وغداً قدّر أنك استترت عند أهل الحكم. كيف تستتر عن أهل العلم؟ الذين ينظرون بنور الله عزَّ وجلَّ، ويعرفون الخلق بعلامات عندهم، أنت عند العوام، مُصلٍّ صائم مُطيع مزك حاج ورع متق زاهد.

وعند أهل العلم، منافق دجال جهنمي. إذا دخلت عليهم رأوا خراب دينك وآثار النفاق في وجهك يعرفونك بسيماك. ولكنهم لا ينطقون، ختم قرب الحق عزَّ وجلَّ على أفواههم، وستره ممسكة لألسنتهم، ولسان كرمه وحلمه يمنعهم، لولا ذلك لانتهكت أستاركم.

يا منافقين: حققوا الإسلام، حتى يحكم الإيمان والإتيان والمعرفة والمناجاة والمخاطبة والمحادثة، كونوا عقلاء لا تقنعوا بالصور دون المعاني، اعملوا وأخلصوا وقد تخلصتم.

---

(1) إسلام الظاهر؛ عمل الجوارح والحكم الظاهري، وإسلام الباطن عمل القلب والإيمان والإحسان. والمسلم: هو من كان ظاهره كباطنه.

مجلس «الفقر الظاهر والغنى الباطن»

(المؤمن يبيع الدنيا بالآخرة والخلق بالخالق)

اخدموا العلماء بالعلم والعمل به، من خَدم خُدِمَ، ومن تواضع رُفع. اخدم فإنك تَصير سيداً أما سمعت سيد القوم خادمهم. أَنت تحسن خدمة نفسك وزوجتك وولدك.

تُخبئ مالك عن الفقراء وتنفقه في هواك وأغراضك. المُدبّر عن قريب يقصر خيرك، أَنت تخاف حارس دربك ووالي محلتك. أكثر مما تخاف من ربك عزَّ وجلَّ، تعظمهم وتهدي لهم، لأنهم يطلعون على خراب بيتك وفضائحك.

عن قريب يفنى مالك ويهجرك أصدقاؤك الذين هم قرناء السوء، ويعادونك ويفضحونك، حارس دربك ووالي محلتك لانقطاع عطائك لهم، كيف يبارك الله عزَّ وجلّ لهم ولك؟ وأنت تنفق نعمه على معاصيه.

عن قريب تكدي فلا يكدى عليك، ويصير مأواك المناجس والمزابل، وربما جاءك الموت وأَنت على ذلك، فتنتقل من كرب إلى كرب.

كُن عاقلاً واستحي من الله عزَّ وجلَّ، الدنيا لا تدوم والآخرة تدوم، شهوات الدنيا لا تدوم وشهوات الآخرة تدوم. المؤمن يبيع الدنيا بالآخرة والخلق بالخالق.

من القوم من إذا استغنى بالله عزَّ وجلَّ عن الخلق وعن كل ما في الأرض، ألقى عليه العيال والمؤنة ليرجع إلى الخلق، ويأخذ من أيديهم ليكون أخذه رحمة لهم، فيكون فقره ظاهراً وغناه باطناً، يكون غناه سراً وفقره جهراً.

مجلس «تدرجات المؤمن»[1]

(المؤمن عنده جميع الخلق شخص واحد)

الكتاب والسنة، رؤية الله عزّ وجلّ ورسوله في المنام. الدرجة. البغض والمحبة

يقلبهم فيما يريد وهم سكون متأدبون، أَول ما يريهم الكتاب والسنَّة، يعملون بهما، فيصيرون مُتقين. وثم يُريهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في المنام، يقول لهم افعلوا كذا وكذا، وانتهوا من كذا وكذا، ثم يرون ربهم عزَّ وجلَّ في المنام، فيأمرهم وينهاهم، ويرقون من درجة إلى درجة، من كتاب إلى كتاب، من دار إلى دار، من ذكر إلى ذكر.

المؤمن، عنده جميع الخلق شخص واحد، وذلك الشخص مريض عاجز لا يقدر على أن يجلب لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضراً[2]، يبغض من عصى من الخلق، ويحب من أطاع منهم يوافق ربه عزَّ وجلَّ في بغضه ومحبته، لا يحب الخلق لعطائهم ولا يبغضهم لمنعهم، لا يحب ولا يبغض لنفسه وهواه، وهو معزول النفس أبداً، لا يوافقها إِلا في طاعة الله عزَّ وجلَّ، يُنَحي الدنيا عن قلبه، وما يزال قائماً مع دين ربه عزَّ وجلَّ، مراعياً له موافقاً في نصرته.

---

(1) حدد هنا تدرجات المؤمن: 1- التسليم (يُقلبهم) 2- ثم (يُريهم) كتاب الله وسنَّة نبيه عليه الصلاة والسلام 3- ثم رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام وهذا اعتقاد عام عند السادة الصوفية 4- ثم رؤية الله عزَّ وجلَّ في المنام.

(2) المؤمن يرى الخلق شخصاً مريضاً، العبارة فيها مجاز، بمعنى عجزهم عن نفعه وضره.

مجلس «المنكسرة قلوبهم»

(انكسرت نفوسهم بترك الدنيا، وانكسرت قلوبهم لأجل المولى)

الزهد الظاهر، زهد القلب، الانكسار

ويحك القلب يزهد، لا الجسد. يا متزهداً بظاهره زهدك مردود عليك[1]. قد خبأت عمامتك وقميصك ودفنت ذهبك في الأرض، ولبست المسخ وجمعت الأكناف، قَطع الله جلدِك ورأسك إن لم تتب، قد فتحت دكاناً تبيع فيه النفاق، رمى الله دكانك عليك وقتلك تحته، إن لم تخربه وتتوبَ وتقطع الزنار.

ويلك المؤمن زهده في قلبه، وقرب ربه عزَّ وجلَّ في سره، وأتت الدنيا والآخرة على بابه في خزائنه لا في قلبه، قلبه فارغ من غير مولاه، فكيف يسع غيره وقد امتلأ به وبذكره وقربه، قلبه فارغ منكسر لأجل مولاه، فلا جرم يكون عنده، لأن الله عزَّ وجلَّ قال في بعض كلامه: أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي.

انكسرت نفوسهم بترك الدنيا، وانكسرت قلوبهم لأجل المولى. فلما تحقق لهم الانكسار، جاء إليهم وجبر كسرهم، جاء الطبيب فطببهم، هذا هو النعيم، لا نعيم الدنيا والآخرة.

---

(1) الزهد في اللغة قلة الشيء، والزاهد: هو المُعرض عن متاع الدنيا ولذاتها. والزهد شرعاً: أخذ قدر الضرورة من الحلال المُتيقن. والزهد أخص من الورع. والزهد في الحرام واجب عام.
قال إبراهيم بن أدهم: الزهد فرض في الحرام، وفضل في ترك الحلال إن كان أزيد مما لا بدّ منه. ومكرمة في ترك الشبهات. فإن ترك الشبهات سبب للكرامة.
وقيل الزهد عند السلف ثلاثة أقسام: زهد فرض وهو اتقاء الشرك الأكبر. ثم اتقاء الأصغر وهو أن يراد بشيء من العمل قولاً أو فعلاً غير الله تعالى. وهو المسمى بالرياء في الفعل وبالسمعة في القول. ثم اتقاء جميع المعاصي وهذا الزهد في الحرام.
قال الشريف الجرجاني: الزهد في الدنيا، هو بُغض الدنيا والإعراض عنها.
وحقيقة أقسام الزهد على ثلاثة مقامات: زهد في الدنيا، وزهد في الحظ وزهد في النفس.

مجلس «القرآن الكريم»

(هذا القرآن شمس مضيئة فاتركوها في بيوت قلوبكم)

القرآن سماع وعمل. طرفا القرآن، القرآن ودار القربة، الزهد والوصول، بركة القرآن

اسمعوا القرآن واعملوا به، وإنما أَنزله الحق عزَّ وجلَّ ليتوصل به إليه، له طرفان طرف بيده وطرف بأيدينا[1]، إذا عشتم به رقى قلوبكم إليه، يخطب قلوبكم إلى دار قربه وأنتم في الدنيا قبل الآخرة.

وإن أردت الوصول إليه فَازهَد في الدنيا والخلق، ازهد في نفسك وأهلك ومالك وشهوتك وشبهاتك وحبك لحمد الخلق وثنائهم وإقبالهم عليك.

إِذا صح لك هذا استغنيت عنهم، وشبعت بطنك وارتوت كبدك، وتعَمر باطنك وخلوتك، يُضيء قلبك وسرك وتطمئن نفسك.

يكون هذا كله ببركة عملك بالقرآن، هذا القرآن شمسٌ مضيئة فاتركوها في بيوت قلوبكم حتى تضيء لكم. ويحكم إذا أطفأتم المصباح كيف ترون ما بين أيديكم في ظلمة الليل.

---

(1) القرآن (له طرفان، طرف بيده، وطرف بأيدينا)، هذا أجمل ما قيل في القرآن الكريم (طرف بيده) المقصود الطرف الأول بيد الله سبحانه وتعالى، كلامه وكتابه الذي أنزله للناس هدى ورحمة ونوراً وشفاءً.ومنهجاً وشرعة به عَرفنا بنفسه وأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، وهو حجة للناس لمن أراد الثواب وحجة على العصاة في الجزاء. و(طرف بأيدينا) كتاب مبين بين ظهرانينا نتلوه ونتدبر آياته فنعرف ما لنا وما علينا. وهو دليل للحياة الدنيا وللفوز بالأخرى. وفيه تنبيه إخبار وما كان وما سيكون. هذا الطرف بأيدي الناس لو أحكمت قبضتهم عليه في تدبره وفهمه والعمل به سيتحقق الفوز العظيم للأفراد والجماعات على حد السواء.

مجلس «القلب الميت»

(يازهاد طلبكم للجنة قيدكم عن ربكم عزّ وجلّ)

سمع ورؤية القلب، المعرفة والنفس، أسس الوعظ

القلب الميت ماذا يسمع وكيف يرى؟ قلبٌ ميت بالدنيا وحبها وحبُّ الخلق ورجائهم، كيف يسمع ويرى؟

اعرف الدنيا وقد زهدت فيها، واعرف النفس وقد خالفتها، واعرف الخلق وقد أبغضهم. يا موتى القلوب بطلب الدنيا والرغبة فيها والمحبة لها.

وأنتم يا زهاد طلبكم للجنة قيدكم عن ربكم عزَّ وجلَّ، ويحكم أخطأتم الطريق. حصلوا الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق.

وأنتم يا وعاظ[1] قد صعدتم موضع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من غير صنعة، وقد تقدمتم إلى الصف الأول ولا تحسنون الكر والفر والصراع، انزلوا وتعلموا واعملوا وأخلصوا ثم اصعدوا، هذا الأمر بَدؤةُ الصراع مع النفس والهوى والطبع والشيطان والدنيا والشهوات، وترك الخلق والرؤية لهم في الضر والنفع. فإذا تغلبت على هؤلاء كلهم وقهرتهم بقوة إِيمانك ويقينك وتوحيدك، خلع الحق على قلبك وسرك ومكنهما من دار قربه، ثم أَمرهما على خلقه وردهما إليهم، فحينئذ تحسن الكرّ والفرّ في مصاف الصفوف مع الخلق، والمقاساة لهم.

اللهم استعملنا فيما يرضيك، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

---

(1) الوعظ: الوعاظ: طلب أن تكون (صنعة)، بمعنى فيها مهارة وتدريب وآلات وأدوات، وحدد هذه الصفة (العلم والعمل)، ثم (الإخلاص) ثم (الزهد في الدنيا والنفس) و(ترك الخلق). فإذا تمكنت من ذلك مع (قوة الإيمان والإيقان والتوحيد) عند ذلك تأتي عليك (الخلع)، والخلع هبات ربانية يخلعها الله تعالى على عباده ويكون موضعها القلب والسر. عند ذلك سيتبعك الخلق بأمر منه سبحانه وتعالى. هذه التدرجات قبل أن تصعد على منبر الوعظ. لأن هذه المنابر (موضع الأنبياء) في أساسها ومعناها للدعوة إلى الله سبحانه وتوحيده.

مجلس «حقيقة الصوم»

(اقضوا حق الصوم، حتى يقضى حقكم)

رمضان، الظاهر والباطن، المسلم ظاهراً وباطناً، علامات ليلة القدر، الصوم والقيامة

يا غلام: رمضان خمسة أحرف راء وميم وضاد وألف ونون، الراء من الرأفة والرحمة، والميم المجاوزة والمحبة والمنة،والضاد من الضمان والثواب، والألف من الألفة والقرب، والنون من النور والنوال.

إذا أتيتم بحق هذا الشهر[1] وصححتم العمل فيه، جاءتكم هذه الأشياء من الحق عزَّ وجلَّ، تجيئكم في الدنيا تقوية لقلوبكم وتنويراً لها، ونعمة ونوالاً ظاهراً وباطناً. ويجيئكم منه في الآخرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

الأكثر منكم ما عنده خبر من الصيام، احترم الأمر على قدر احترام الآمر به، فكل من ليس عنده خبر من الله عزَّ وجلَّ ولا من رسوله وأنبيائه والصالحين من عباده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كيف يكون عنده خبر عن هذا الشهر؟

الأكثر منكم، رأوا آباءهم وأمهاتهم وجيرانهم يصومون فصاموا معهم، عادة لا عبادة، يظنون الصوم هو الإمساك عن الطعام والشراب فحسب، لا يأتون بشرائطه وأركانه.

يا قوم اتركوا العادة والزموا العبادة، صوموا لله عزَّ وجلَّ، لا تتضجروا بصيامكم في هذا الشهر والعبادة فيه. اعملوا فيه وأخلصوا في أعمالكم لازموا صلاة التراويح، وأشعلوا الضوء في المساجد فإنه نور يوم القيامة، إذا أطعتم الله عزَّ وجلَّ في هذا الشهر واحترمتموه كان شفيعاً لكم يوم القيامة، اقضوا حق الصوم حتى يقضى حقكم ويوفيكم به أبداً لكم. شفيعاً لكم عند ربكم عزَّ وجلَّ وثناءاً عليكم، يطلب لكم من فضله وكرامته ونعمته ومنته ورأفته ولطفه وحفظه. ويحك ما الذي ينفعك تصوم وتفطر على الحرام وتنام على المعصية في هذه الليالي الشريفة. وأنت

---

(1) هذه الموعظة واضحة، إنها ألقيت في شهر رمضان، من عام 546هـ.

ويلك تقوم رياء ونفاقاً ما دمت بين الخلق، فإذا خلوت أفطرت ثم تخرج بينهم وتقول أنا صائم. وأنت طول النهار تشتم وتقذف وتحلف الأيمان الكاذبة، وتأخذ أموال الناس بالتطفيف[1] والحيل والغصب، ما ينفعك صومك ولا يعد لك صوماً. قال النبي (ﷺ) (كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا التعب والسهر.)

منكم من هو مسلم ظاهراً وهو كعبدة الأَصنام باطناً. ويحكم جددوا الإسلام والتوبة والاعتزاز والإخلاص حتى يقبلكم مولاكم عزَّ وجلَّ؟ ويعفو عما تقدم من ذنوبكم.

يا صُوام. اشكروا ربكم عزّ وجلَّ، كيف أَهلكم للصوم وقَّدركم عليه، من صام منكم فليصم سمعه وبصره ويداه، ورجلاه وجميع جوارحه وقلبه. وليصم كل ظاهره وكل باطنه.

إذا صمتم فاتركوا الكذب وشهادة الزور والغيبة والنميمة والسعاية بالناس، وأخذ أموالهم. إنما تصومون حتى تتطهروا من ذنوبكم، وتنزهوا عنها، فإذا وقعتم فيها، فماذا ينفعكم صومكم، أما سمعتم قول النبي (ﷺ) (الصوم جُنَّة) يعني يستر صاحبه ويغطيه ولهذا سمي الترس مجنة لأنه يستر صاحبه ويمنع عنه السهام، وسمي زائل العقل مجنوناً لأنه يغطي عقله، الصوم جُنة لمن صام بورع وتقوى وإخلاص، فحينئذ يمنع عنه آفات الدنيا والآخرة.

يا صُوام: واسوا الفقراء المساكين بشيء من طعامكم وقت إفطاركم فإنه أكثر ثوابكم وعلامة لقبول صيامكم. كل هذا يفنى ولا يبقى إلا ما تقدمونه لآخرتكم. فقدموا ما دمتم قادرين على التقديم، يوم القيامة تحشرون جياعاً عطاشا عراة خائفين خجلين وجلين، من أطعم في الدنيا أطعم في ذلك اليوم، ومن سقى في الدنيا سقي في ذلك اليوم. من كَسا في الدنيا كُسي في ذلك اليوم، ومن خاف من الحق واستحى منه في الدنيا آمن في ذلك اليوم، من رحم في الدنيا رحمهُ الله عزَّ وجلَّ في ذلك اليوم.

في هذا الشهر ليلة، أعظم ليلة في السنة، وهي ليلة القدر لها علامات عند

---

(1) (ويلٌ للمُطففين) سورة المطففين الآية - 1- الذين ينقصون الكيل أو الوزن.

الصالحين من عباد الله عزَّ وجلَّ[1]، يكشف عن أبصارهم فيرون نور الألوية التي هي بأيدي الملائكة، ونور وجوههم ونور أبواب السماء ونور وجه الحق عزَّ جلَّ، لأنه في تلك الليلة يتجلى لأهل الأرض.

يا قوم لا تجعلوا همكم مأكولكم لأنه هم دنيء، قد ابتليتم بالأكل والشرب، وقد كفيتم أمر الرزق فلا تهتموا له، فسبحان الصمد الذي لا يأكل ولا يشرب، يرزق ولا يرزق، يطعم ولا يطعم ولا ينام.

---

(1) قال سيدنا عبدالقادر الكيلاني في كتاب الغنية: والإمارة في أنها ليلة القدر، أن تكون ليلة طلعة سمحة لا حارة ولا باردة. وقيل: لا يسمع فيها نباح الكلاب، وتطلع الشمس صبيحتها ليس لها شعاع كالطست، وتكشف عجائبها لأرباب القلوب والولاية وأهل الطاعة لمن يشاء الله تعالى من المؤمنين من عباده وعلى قدر أحوالهم وأقسامهم ومنازلهم في القرب من الله عزَّ وجلَّ.

نقول: في هذا المجلس كشف سيدنا عبدالقادر الكيلاني عن (عجائب) هذه الليلة المباركة، التي طالما بحث عنها الباحثون وتسائل عن أحوالها المتعطشون.

مجلس «الخوف»

(الدنيا ساعة فاجعلها طاعة)

(الخوف عزيمة والرجاء رخصة)

الورع. الخوف. الأنس. المحاسبة. الإخلاص. رؤية النفس. التردد بين الرجاء والخوف. الظاهر والباطن

حرصكم قد زاد وقل ورعكم وأمانتكم. ويحك: الدنيا ساعة فاجعلها طاعة.

يا غلام: استعمل الورع في جميع أحوالك في أمور الدنيا وأمور الأخرى وقد أفلحت، إذا استعملت الورع لم يبق عليك حجة.

كان رضي الله عنك، قد رأوا بعض الصالحين في المنام بعد موته، فقيل له ما فعل الله بك، فقال غفر لي ربي فقيل له بماذا فعل عزَّ وجلَّ، فقال توضأت يوماً في حمام ومضيت إلى المسجد فلما قربت منه رأيت بقدر درهم في رجلي لم يبله الماء، فرجعت وغسلت ذلك المكان، فقال الحق عزَّ وجلَّ قد غفرت لك باحترامك لشريعتي. أين أنتم؟ من القوم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع لا يقدرون أن يناموا، وكيف ينامون؟ والخوف يقلقهم ويطير النوم من أعينهم، والأنس الذي يجدونه في قيامهم، لا ينامون إلا عن غلبة في سجودهم. فسبحان من يَمن عليهم بذلك النوم غلبة حتى تستريح أجسادهم تلك اللحظة، تتجافى جنوبهم عن المضاجع لا تقبلها المضاجع، ولا يقدر أَن يستقر عليها، خوفاً تارة، ورجاء تارة وحباً تارة وشوقاً أخرى.

ما أقل خوفكم من ربكم عزَّ وجلَّ مع قلة طاعتكم له. وما أكثر خوف الصالحين مع كثرة طاعتهم له عزَّ وجلَّ، نبينا محمد (ﷺ) كان إذا صلى يسمع من صدره أزيز كأزيز القدر، وإبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام كان إذا صلى يسمع أزيز صدره من ميل وهو ثلاث فراسخ، كانوا يخافون مع كونهم صديقين وأنبياء وأخلاء ومحبين ومجابي الدعوة. فقولوا لي ما هذا الأمر الذي أنتم فيه؟ ما وجهه؟ إني أراكم قد استدرتم من الوسط وخرجتم من العدد، وقد قل أنسكم بالطاعة وكثرت وحشتكم منها، وقد قنعتم من الخير باليسير، وبالكثير من الدنيا ما

يشبعكم ما هذا بعمل، من يعلم أنه يموت ويلقى ربه عزَّ وجلَّ وتعرض عليه أعماله يوم القيامة؟ ما هذا عمل، من يخاف المحاسبة والمناقشة. ما هذا عمل، من يُريد أن ينزل إلى قبر ولا يعلم هل هو حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة.

القوم يصومون النهار ويقومون الليل، فإذا تعبوا انطرحوا على الأرض، فيستريحون، تتجافى جنوبهم عند المضاجع فيقعدون، ويعودون لما كانوا عليه. يدعون ربهم خوفاً وطمعاً، يخافون من الرد، ويرجون القبول. يقولون ربنا ليس عملنا عملاً صحيحاً كاملاً بالإخلاص خالياً عن رؤية النفس والعجب، فيخافون من الرد، ويرجون قبولهم لعلمهم أنه كريم يقبل القليل ويعطي الكثير، يقبل الرديء المبهرج ويعطي الجيد، يقبل البضاعة المزجاة ويوفي الكيل.

الخوف عزيمة والرجاء رخصة، والقوم في تردد بين الخوف والرجاء[1]، تارة في هذا وتارة في هذا، تارة مع الظاهر وتارة مع الباطن، تارة مع الصفا وأخرى مع الكدر. تارة عطاء وتارة منع. لا يزالون كذلك حتى يبلغ الكتاب أجله، وتصل قلوبهم إلى خالقهم، فحينئذ لا يبقى عندهم رخصة، ولا كدر، بل عزيمة وصفاء، كل المال يتبعك إلى الباب، والأهل يتبعونك إلى القبر، والعمل يصحبك وينزل معك إلى القبر ولا يفارقك.

---

(1) (الخوف عزيمة والرجاء رخصة)، الخوف مطلوب وحَده عدم القنوط والرجاء مطلوب بالله تعالى وحده سوء الأدب. لذا وجبت الموازنة بينهما. وقيل أكملُ أنواع الخوف هو معرفة الجلال والعزة. وأخوف خلق الله هم الأنبياء والأولياء والعلماء. قال النبي (ﷺ) (أنا أَخْوَفُكم إلى الله) قال الله تعالى في محكم كتابه (وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) سورة آل عمران، آية 175. جعل الخوف من شروط وأركان الإيمان.

مجلس «الإخلاص[1] في كل شيء»

(اعتماد على الخلق والأسباب شرك)

وصايا عامة، عيوب النفس، عيوب غيرك، ما ظهر وما بطن

استكثروا من الأعمال الصالحة وصوموا وأخلصوا في صومكم، صَلّوا وأخلصوا في صلاتكم، حُجّوا وأخلصوا في حجكم، زكّوا وأخلصوا في زكاتكم، اذكروا ربكم عزَّ وجلَّ وأخلصوا في ذكره، اخدموا الصالحين وتقربوا إليهم وأخلصوا في خدمتكم لهم.

اشتغلوا بعيوب أنفسكم وأعرضوا عن عيوب غيركم، أأْمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، ولا تفتشوا على الناس وتهتكوا أسرارهم، أنكروا على ما ظهر وما عليكم مما بطن، اشتغلوا بأنفسكم ولا عليكم من غيركم، ولا تكثروا الكلام فيما لا يَعنيكم. فإن النبي (ﷺ) قال (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يَعنيه).

عيوبك تعنيك وعيوب غيرك لا تعنيك، أطع ولا تعصِ، وَحدْ ولا تشرك، اعتمادك على الخلق والأسباب شرك.

---

(1) الإخلاص: إفراد الحق سبحانه في الطاعة بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله سبحانه دون أي شيء آخر.

وقيل الإخلاص: ما أريد به الحق سبحانه، وقصد به الصدق.

قال الجنيد البغدادي: الإخلاص سر بين الله تعالى وبين العبد، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله.

قال السيد محمد ابن سيدنا عبدالقادر الكيلاني (ﷺ) في أبواب التصوف:

والإخلاص على ثلاثة مقامات، إخلاص التوحيد وإخلاص الأحوال وإخلاص الأفعال، فإخلاص التوحيد صفاء الإشارة إلى الحق، إخلاص الأحوال إخراج رؤية النفس من الأفعال، وإخلاص الأفعال إخراج رؤية الحق من الأفعال. فآفة إخلاص التوحيد الدعوى، وآفة إخلاص الأحوال الخروج من الأفعال قبل النزول فيها، وآفة إخلاص الأفعال مشاهدة النفس.

مجلس «البــلاء»

(إذا لم ترض بقضائه فلا تأكل رزقه واطلب رباً سواه)

الاعتراض، المنازل، الصبر، الذنوب الظاهرة والباطنة

ويحك أَنت مجنون، السخط والاعتراض يعيطك شيئاً ويُزيل من عندك شيئاً، غضبك لا يقدم شيئاً ولا يؤخر شيئاً.

البلاء وزوال البلاء بيد الله الذي أنزل الداء والدواء، الذي خلق الداء وخلق الدواء. إنما يبتليك ليعرفك نفسك بالبلاء، يريك آياته وقدرته في نزول البلاء وفي رفعه، يريك رفع طبقه ووضعه.

البلايا معروفات مطرقات على باب الحق عزَّ وجلَّ، جامعات بين القلب وبين الحق عزَّ وجلَّ، رافعات للمنازل، لا تبغضوا البلايا، فإن لكم مصالح فيما تكرهون، إذا صبرتم على البلايا طهركم من الذنوب الظاهرة والباطنة.

كان بعض الصالحين يقول إلهي أحبك الناس لنعمائك وأحببتك لبلائك.. وكان بعضهم يوم لا تجيئه بلية يقول إلهي أي ذنب عملت اليوم حتى حرمتني البلاء.

ويحك إذا لم ترض بقضائه فلا تأكل رزقه واطلب رباً سواه.

قال الله تعالى جل شأنه في بعض كلامه يا ابن آدم إذا لم ترض بقضائي ولم تصبر على بلائي فأطلب ربًا سواي ولتخرج من تحت سمائي.

اصبروا مع ربكم عزَّ وجلَّ فليس لكم رب سواه، ليس غيره رباً ثانياً، ليس باب آخر ليس خالق آخر ليس رازق آخر. اصبروا مع هذا الواحد على إرادته منكم.

اللهم اجعلنا مطمئنين راضين موافقين مسلمين مستسلمين، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

مجلس «الاختبار»

(فإذا ثبت رفع الحجب عنه)

القرب، الأنس، الثبات، الإخلاص، الشرك، الجلوة والخلوة، الرياء

يا غلام العبد إذا عرف الحق عزَّ وجلَّ، قرب قلبه كل القرب وأعطاه كل العطاء، وآنسه كل الأُنس، وأعزه كل العز، فإذا أسكن ذلك أزاله عنه، ويفقر يده ويرده إلى نفسه، ويجعل بينه وبينه حجاباً، يختبره ينظر كيف يفعل، يهرب هل يميل أو يثبت، فإذا ثبت رفع الحجب عنه ورده إلى ما كان عليه.

أما رأيتم الوالد يخبر ولده، يخرجه من بيته ويغلق الباب في وجهه، ويقف ينظر ماذا يصنع؟ فإذا رآه قد لازم العتبة ولم يمض إلى جاره ولم يَشْكُ منه ولم يسيءْ الأدب، فتح الباب وأخذه وضمه إليه وزاد في الإحسان إليه.

كل من لا يخلص في عمله لا تقع بيده ذرة من قرب الله عزَّ وجلَّ وكرامته، قال الله عزَّ وجلَّ في بعض كلامه: أنا أغنى الشركاء عند الشرك، من عمل عملاً وأشرك فيه غيري فهو لشريكي دوني ولا أقبل إلا ما أريد به وجهي. عن النبي (ﷺ) أنه قال: يقال للمنافق يوم القيامة يا غادر يا فاجر اطلب جزاءَك من الذي عملت له.

يا عابدين لغير ربهم عزَّ وجلَّ، أما سمعتموه تعالى كيف قال ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ ﴾ سورة الذاريات، آية 56.

وقوله تعالى ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ سورة البينة، آية 5.

يجب على كل عبد أن يعبد ربه عزَّ وجلَّ طلباً لوجهه ولمرضاته، لا لغرض ولا لعطاء، من عجز منكم عن الإخلاص في الجلوة فليكن عمله في الخلوة. فليكن عمله في الخلوة حيث لا تراه عين مخلوق ولا تسمعه أذن، صوت قراءته وتسبيحه لأن شأن الرياء لعظيم، روي عن بعضهم أنه قال لو صلى في بيت ظلمة واطلع عليه عبد زنجي عاجز فقير لا يقدر على شيء، لتغير له كل ما يعمل ولا يخلص، فليس في عمله شيء.

مجلس «الدعاء والمناجاة»[1]

(رحم الله من أدرك ما أقول وعمل به)

الإنفاق، السؤال، الدعاء، المناجاة، النداء، الهيبة، الإيماءة.

يا ممسكاً عن الإنفاق، أما سمعت قوله عزَّ وجلَّ ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ سورة البقرة، آية 3.

يعني ينفقون أموالهم على الأهل والأولاد والمساكين، البخيل محروم مطرود بعيد من الخلق والخالق، اسألوا ربكم من فضله، واسألوا إن أجابكم وإن لم يُجبْكُم، فإن السؤال عبادة، الدعاء في البعد، والمناجاة في القرب والإيماءة عند المحب، من هو في البعد ليستغيث إلى الباب وينادي يا ملك أعطني قربني، ومن قرب منه وصل عند الشدة يناجيه بصوت خفي، لأنه بالقرب منه، ومن قعد إلى جنبه تغلبه الهيبة فيسكت، ويشير إشارة.

المسلم ينادي ويدعو، والمؤمن العارف في القرب ينادي بحسن الأدب، والمحبوب وصل قلبه في مخدع القرب يومئ إيماء.

رحم الله من أدرك ما أقول وعمل به، وأخرج التهمة من قلبه لي ولكلامي وسلم، من لا يفهمه لا يصل إلى ربه عزَّ وجلَّ.

---

(1) الدعاء من دعا: ناداه. وفي الشرع: التضرع والرغبة إلى الله سبحانه، فيما عنده من خير أو تحقيق مطلوب، أو النجاة من المرهوب، قال الله تعالى في محكم كتابه (ادعوني أستجب لكم) سورة غافر، آية 60. و"ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك" سورة يونس، الآية 106. والدعاء عبادة كما جاء في الحديث الشريف (الدعاء هو العبادة) رواه الترمذي.

وعن أبي هريرة، قال النبي (ﷺ) (ما من مؤمن ينصب وجهه إلى الله، يسأله مسألة إلا أعطاه إياها، إما عجلها له في الدنيا، وإما ذخرها له في الآخرة ما لم يعجل. قالوا: يا رسول الله، وما عَجَلتُه؟ قال: يقول: دعوت ودعوت، ولا أراه يستجاب لي.

والمناجاة من الدعاء، لأن من الدعاء ما يفتح القلب لدوام مناجاة الله سبحانه والتذلل إليه.

مجلس «الغيْبَة»[1]

(يجري العطاء على يديه وهو في غيبة)

الإنفاق، الغيبة في الصلاة، المعنى والصورة، القلب والقالب

القوم يؤمنون ويصدقون ويعملون ويخلصون، وينفقون أموالهم على الصالحين، يخرجون بحجج يحتجون بها على النفوس، تارة زكاة مفروضة، وتارة صدقة غير مفروضة، وتارة إيثار وتارة نذر، وتارة يحلفون بيمين، ما لا بدّ يخرجون هذا الشيء، كل ذلك يتقربون به إلى الله عزَّ وجلَّ، لقوة قلوبهم وإيقانهم وقهرهم لنفوسهم، ومنهم من يأمر بالعطاء بشيء معين من ما له فيتمثل أمر الله عزَّ وجلّ، منهم من يجري العطاء على يديه وهو في غَيْبة عن ذلك.

حُكي عن بعضهم أنه كان واقفاً في بعض الصحارى يصلي، فاجتاز عليه جماعة، فأخذوا رداءه من على كتفه ثم رده على كتفه، فلما فرغ من صلاته، قال له الذي أَخذه اجعلني في حل من أخذي بردائك وإزعاجك، فقال له والله ما شعرت وقت ما أخذته ولا شعرت وقت ما رددته، وإِن أردت أَن تأخذه فخذه.

ما عند القوم خير من غير ما هم فيه، إذا وقفوا بين يدي ربهم عزَّ وجلَّ غابوا عما سواه، يغيب المعنى وتبقى الصورة يغيب القلب ويبقى القالب، كان بعضهم وهو مسلم بن يسار[2] رحمة الله تعالى عليه، إذا دخل بيته انقبض أولاده وتأدبوا حتى لا يقدر أحد منهم يضحك، وكان يحس بانقباضهم فكان إذا أراد الدخول في

---

(1) الغيبة والحضور: غيبة القلب عن ما يجري من أحوال الخلق. وإذا غاب عن الخلق حضر بالحق.

(2) مسلم بن يسار: عده صاحب حلية الأولياء من طبقة أهل المدينة، وذكره ميمون بن حيان. قال: ما رأيت مسلماً بن يسار ملتفتاً في صلاته قط.. وانهدمت ناحية من المسجد ففزع أهل السوق لهدمه وإنه لفي المسجد في الصلاة فما التفت. وله مسانيد في الحديث، لقى من الصحابة عدة. وروى عنهم مرسلاً ومتصلاً، حدث عنه من التابعين أبو قلابة ومحمد بن سيرين وقتادة. وهو مسند الحديث المرفوع إلى النبي (ﷺ): (إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً إلا حرم على النار: لا إله إلا الله).

الصلاة يقول لهم اشتغلوا بشغلكم واتركوا انقباضكم، فإني لا أدري ما تفعلون فكان إذا دخل في الصلاة لعبوا وانبسطوا وضحكوا وهو لا يعلم ما يفعلون. في بعض الأيام كان قائماً يصلي في الجامع فوقعت إلى جنبه سارية وما عليها من السقوف وما علم بوقوعها، ووقع في داره حريق وهو في الصلاة فجاءه الناس وأطفأوها وهو لا يعلم بها.

مجلس «الكنز الأعظم»

(وقّعوا بالكنز الأعظم فهانت عليهم كنوز الدنيا)

المكون وا لتكوين، كُن فيكون. البيدر الكبير. عاملوه بغير تجربة. القرض.

القوم كلهم للحق عزَّ وجلَّ كلهم لمصالح الخلق، ولهم الخالق ينفقون بما في أيديهم من الدنيا وما في قلوبهم من العلم، وقعوا بالكنز الأعظم فهانت عليهم كنوز الدنيا. رأوا الملك الأعظم فهان عليهم ملك الدنيا، زهدوا في كل مكون فأعطيت قلوبهم التكوين، مادام هذا الظاهر بيدك وقلبك معانق له ما ترى من التكوين شيئاً، قيل لبعضهم من أين تأكل فقال له من البيدر الكبير فقيل وما البيدر الكبير؟ فقال: كن فيكون.

انظروا في أمور الدنيا إلى من هو دونكم وفي أمور الآخرة إلى من هو فوقكم. عن بعضهم أنه اشترى في يوم عيد، باقلاء وجلس يأكله فقال: ترى هل مثلي أحد في مثل هذا اليوم يأكل الباقلاء من غير دهن ولا ملح؟ فالتفت ورأى واحداً يأكل ما يرميه من القشور، فبكى واعتذر إلى الله عز وجل، من قوله يا ابن آدم ما أبخلك على نفسك أليس قد أستقرض الحق عزَّ وجلَّ منك وأنت لا تقرضه. أما سمعت قوله عزَّ وجلَّ ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ سورة البقرة - 245 - إذا أقرضته وقبلت حوالته على يد الفقراء ضاعف لك وأعطاك أكثر مما أعطيت اليوم وغداً، عاملوه وقد رأيتم الأرباح، عاملوه بغير تجربة، كان الإمام جعفر الصادق رحمه الله تعالى، إذا احتاج إلى خمسمائة دينار وعنده خمسون دينار تصدق بها، فبعد أيام يجيئه خمسمائة، ولو لم يجئه، ما اتهم ربه عز وجل ولا عارضه ولا استبخله.

القوم تعودوا معاملة ربهم عزَّ وجلَّ بطريق كتابه وسنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم وبيقين من قلوبهم. عن بعضهم أنه كان عنده ثلاث بيضات فجاء سائل فقال لجاريته أعطيه تلك البيضات فأعطت بيضتين وجنت واحدة، فبعد ساعة أهدى له صديق عشرين بيضة فقال لجاريته كم أعطيت السائل، فقالت بيضتين وجنيت لك

واحدة تفطر عليها، فقال يا قليلة اليقين حرمتيني عشراً.

عن النبي (ﷺ) أنه قال: ملعون من تعزز بمخلوق مثله.

يا مسكين إذا جاءك فقير يستقرض منك فأقرضه ولا تقل الذي يعطيك. يا هذا خالف النفس، وأقرضه. هب له من الفقراء، من لا يحسن يطلب بل يستقرض، وينوي قضائه ويثق بالله عز وجل ويستقرض عليه. فإذا جاء إليك يا غني يطلب منك القرض فأقرضه.

ولا تواجهه بالعطاء، فإذا طالت المدة فالقَهُ واسأله قبول ذلك الدين منك وأبرئ ذمته منه. فيحصل لك ثواب فرحة الأول وثواب فرحة الثاني.

قال النبي (ﷺ): هدية الله إلى عبده السائل على بابه

ويحك كيف لا يكون الفقير هدية الله عزَّ وجلَّ، وهو يأخذ لك من دنياك إلى آخرتك، لك شيئاً تجده وقت الحاجة إليه ذلك القدر الذي أعطيته، ينسى ويذهب وأنت ترتفع لك الدرجات عند الله عز وجل.

مجلس «الرؤية أم الجنة»[1]

(لذة النظر إلى الحق عز وجل تستوعب جميع ما في الجنة)

غاية العبادة. الجنة. رؤيته. العارف والزاهد.

ويحكم يا عباد أما تستحون، تعبدون ربكم حقاً، يعطيكم الجنة، يعطيكم الحورية يعطيكم الولدان، الجنة هي الدار أين الجار؟ من يريد وجه الله عزَّ وجلَّ غير من يريد الجنة، غير من يريد الدنيا، غير من يريد الخلق.

ما أقل من يريد وجه الحق عزَّ وجلَّ وقربه، رؤيته قرة عيون العارفين والمحبين، ورؤية الجنة والسكون فيها مع الحور والأكل والشرب وقرة عيون الزاهدين، وشتان ما بينهم. ما أبعد ما بينهم، يا من يريد الدنيا ذهب زمانك في لا شيء، ويا من يريد الجنة والحور والولدان قد أردت غير ربك عزَّ وجلَّ، وأخذت غيره، لو كان عندك خير ما طاب أن تغيب عنه لحظة. ويلك لا تعرف، ويحك لذة النظر إلى الحق عزَّ وجلَّ تستوعب جميع ما في الجنة من الولدان واللذات والشهوات والنعيم.

فكيف لذة نظرات وساعات الدنيا والبلايا وأكبر البلايا شهوة البطن والفرج. الإفطار بالنهار والمشي في الأسواق، والأكل للشهوات واللذات والقعود مع شياطين الإنس الذين هم قرناء السوء، فإنه يشعل نار الشهوة في حطب

---

(1) رؤية الله عز وجل: قال النبي صلى الله عليه وسلم: اعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فإنه يراك.

وفي القرآن الكريم قال تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) سورة النجم الآية 11 - يعني لم تكذب عينه ما رآه قلبه. وهذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم.

وأجمعت السادة الصوفية على عدم رؤية الله تعالى في الحياة الدنيا بعين الرأس، وأجازوها في دار الآخرة. وأقروا برؤية القلوب بالإيمان والإيقان.

ومن أجل التوسع في هذا الموضوع انظر: القشيري - الرسالة القشيرية. والسراج: اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي. وروزبهان الفسوي - مشرب الأرواح. وباب ليلة القدر في كتاب الغنية لسيدنا الكيلاني. والكلاباذي - التعرف لمذهب أهل التصوف.

النفس. اللهم قونا على مجاهدة أنفسنا، وارزقنا واهدنا للناس، نَور قلوبنا واجعلنا نوراً يستضيء بنا الناس، اسقنا شراب أنسك حتى يرتوي بنا كل ظمآن وارزقنا عطاء الرضا، وألهمنا الشكر في حال العطاء، والرضا في حالة المنع، وأغلق الأبواب، حقق صدقنا وامحق كذبنا وباطلنا... آمين.

مجلس «المتقون»

(اليوم في جنة الطاعة وغداً يكونون في جنات وعيون)

المراقبة. الخوف. علم الله. الجنة.

المتقون هم الذين يتقون الله عزَّ وجلَّ في الجلوات والخلوات، ويراقبونه في جميع الحالات، وترتعد فرائص قلوبهم منه في الليل والنهار، يخافون البيات[1] من مجيء الآفات التي تقطعهم عنه مع عدم البصر فينقلون إلى الكفن.

يخافون من مجيء ملك الموت على نبينا وعليه الصلاة والسلام وهم على أشر عمل، يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة. خائفة من الرد، خائفة من علم الله عزَّ وجلَّ منهم. كان الفضيل بن عياض [2] رحمه الله تعالى، إذا لقى سفيان الثوري رحمة الله عليهما يقول له: تعال حتى نبكي على علم الله عز وجل فينا.

ما أحسن هذا الكلام هو كلام عارف بالله عزَّ وجلَّ عالم به وبتصاريفه، أما قوله علم الله عز وجل الذي أشار إليه..... هو قوله هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي، وخلط الكل موضعاً واحداً فلا يدري من أي القبيلتين هم، لم يغتروا بما ظهر من الأعمال، الأعمال بخواتيمها.

المتقون هم التاركون للمعاصي والزلات ما ظهر منها وما بطن، والرياء والنفاق والعمل للخلق والأغراض. فهم اليوم في جنة الطاعة وغداً يكونون في جنات وعيون، قعود بين أشجار لا تيبس أبداً وثمار لا تنقطع وأنهار لا ينضب ماؤها أبداً، كيف ينضب وهو يخرج من تحت العرش، لكل واحد منهم نهر من ماء ونهر من لبن ونهر من عسل ونهر من خمر، تجري هذه الأنهار معهم أينما ذهبوا من غير شق

---

(1) البيات: مصطلح محلي استخدم نهاية العهد العباسي وامتداد العهد العثماني. ومعناه الكمائن على الطريق. وأسس جيش يسمى البيات. وإلى يومنا هذا هناك في العراق قبائل البياتي.وواحدهم بياتي.

(2) الفضيل التميمي: كان من الشطار، وتاب وهام على وجهه. وجاور الحرم المكي حتى مات 187 هـ وهناك كان إمام شديد الخوف عابد حزين. قال أبو علي الرازي: صحبت الفضيل ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكاً.

في الأرض، كل شيء في الدنيا مثله في الآخرة وزيادة، كل شيء في الدنيا أنموذجته، آخذين ما آتاهم ربهم عزَّ وجلَّ من النعيم وهو ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. قطوفها دانية إذا اتكأ أحدهم جاءت الثمار إلى فيه وهو نائم، عروق أشجارها إلى تحت أصولها من فضة وأغصانها من ذهب.

إذا خطر بقلب كل واحد كل شيء منها فتتقدم الثمرة إلى فيه، فيتناول منها ما يريد ثم ترجع إلى مكانها. كل شيء يغني لأهل الجنة ويطربهم، كلامهم لذيذ بأحسن صوت، حتى أنهارها وأشجارها وجميع ما فيها.

يا طالبين الدنيا، الدنيا فانية متعبة، اطلبوا الجنة الباقية التي هي دار الراحة دار النعيم والنعمة دار الشكر، ليس فيها وضوء ولا صلاة ولا حج ولا زكاة ولا صبر على الآفات.

لا أمراض ولا أسقام ولا فقر ولا خوف من الخروج.

يا قوم عن قريب يجيئكم الموت ويأخذكم فتصيرون كأنكم لم تخلقوا ولم تروا، أعرضوا بقلوبكم عن أهاليكم وأولادكم وأموالكم، ازهدوا في جميع خلق ربكم عزَّ وجلَّ، ولا تتكلوا على أحد منهم لا في قليل ولا في كثير.

اللهم ارزقنا التوكل عليك في جميع الأحوال ورؤية غيرك بعين العجز.. وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

مجلس «البلاء والصبر»

(من أنت؟ حتى تريد تغيير علم الله عزّ وجلّ فيك وفي الدنيا) الأنبياء، الزهد، العطاء.

يا غلام: لا تهرب من البلاء واصبر عليه، لا بد منه ومن الصبر عليه. كيف تتغير جبلة الدنيا وما خلق عليها لأجلك. ما يزال الأنبياء الذين هم خير الخلق مبتلين، وهكذا أتباعهم المقتدون بهم الماشون في جادتهم، المقتفون آثارهم، نبينا محمد (ﷺ) كان محبوب الحق عزَّ وجلَّ، وما زال يبتلى بالفقر والفاقة والجوع والقتال والحرب وأذية الخلق حتى مات. وعيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام روح الله وكلمته الذي خلقه من غير ذكر، كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى وهو مستجاب الدعوة، سلط عليه قومه يشتمونه ويقذفون أمه ويضربونه وفي آخر الأمر هرب منهم هو والحواريون. ثم ظفروا بهم وأخذوهم وضربوهم وعذبوهم، وقصدوا إلى صلب عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام فنجاه الله تعالى منهم، وصلب الذي دل عليه، وهكذا كان موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام مُبتلى بتلك الأهوال التي جرت عليه. وكل واحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كان له بلاء يخصه، هذا ما فعله مع الأنبياء عليهم والصلاة والسلام. الذين هم أحباؤه فمن أنت؟ حتى تريد تغيير علم الله عزَّ وجلَّ فيك وفي الدنيا. ازهد في إرادتك واختيارك. ازهد في حديثك مع نفسك وهواك ودنياك، ازهد في حديثك مع الخلق والأنس بهم، فإذا تم لك. كان حديث قلبك مع ربك عزَّ وجلَّ وأنسك به. يخيم ذكره في قلبك، تصير أنت ذاكره وهو ذاكراً لك، تقبض قلبك إليه وجوارحك تجمعها عنده. يُريد ما تريد، وما سواه عندك لا تعيره.

من الروحانيين الواصلين مَن يذهب إلى العباد ويدفع الآفات والبلايا عن الخلق به. ويأخذ ما آتاه ربه عزَّ وجلَّ، هذا هو العطاء الحقيقي وما سواه مجاز.

مجلس «عبدة الأصنام»

(اعبد خالق الأصنام وقد ذلت لك الأصنام)

الرغبة والرهبة، الأصنام والآلهة، جبابرة الدنيا. التعظيم.

يا غلام: لا تحدث أحداً بما أنت فيه من أمور الدنيا وأمور الآخرة. سد ثقب ما أنت فيه، واجعله من وراء الاغلاق، غط وجه حالك ولا تُرِ أحداً منه سوى العين، وإن كان النقاب برقعاً فهو خير لك، هذا آخر زمان أيام الفترة[1] سوق النفاق سوق المعاملة بالرغبة والرهبة. ترغبون في مجيء الدنيا وترهبون من بعدها، ترغبون في القرب من الخلق وترهبون من بعدهم، قد صارت الملوك لكثير من الخلق آلهة، قد صارت الدنيا والغنى والعافية والحول والقوة آلهة.

ويلكم جعلتم الفرع أصلاً، والمرزوق رازقاً والمملوك مالكاً، والفقير غنياً والعاجز قوياً والميت حياً، لا كرامة لكم لا نتبعكم ولا ننتحل مذهبكم، بل نكون في ناحية منكم، نقف على تل السلامة، على السنة وترك البدعة، على تل التوحيد والإخلاص وترك الرياء والنفاق ورؤية الخلق بعين العجز والضعف والقهر، نرضى بالقضاء ونترك السخط، ونتمسك بالصبر ونترك الشكوى، ونمشي بأقدام قلوبنا إلى باب مليكنا عزَّ وجلَّ.

التسخير والتسليط منه كما أن التخليق والترزيق منه [2]. إذا عَظَّمت جبابرة الدنيا وفراعنتها وملوكها وأغنياؤها ونسيت الله عزَّ وجلَّ ولم تعظمه فحكمك حكم من عبد الأصنام.

يصير من عظمته صنمك.

ويلك اعبد خالق الأصنام وقد ذلت لك الأصنام، تقرب إلى الله

---

(1) الفترة: الزمن بين نبيين أو شريعتين وأهل الجاهلية كانوا من أهل الفترة.

(2) التخليق: بمعنى الخلق، والترزيق: الرزق.

عزَّ وجلَّ وقد تقرب الخلق اليك، على قدر تعظيمك لله عزَّ وجلَّ يعظمك خلقه، وعلى قدر حبك له يحبك خلقه، وعلى قدر خوفك منه يخاف منك خلقه، وعلى قدر احترامك لأوامره ونواهيه يحترمك خلقه.

مجلس «الورع والرخص»

(المتورع يترك أشياء كثيرة خوفاً)

الغريمة، ذكر الموت،

عليك بالورع لا تُخْلِهِ من يد قلبك، إن تركته فالخذلان في ربقك[1]، من ترك الورع اسود قلبه بالشبهات والتخليطات.

ويلك تدعي أنك متقي وأنت تارك الورع، المتورع يترك أشياء كثيرة خوفاً من الوقوع في الحرام والشبهة، يعاقبه الله بأدنى ترخص.

مررت يوماً على قرية وحولها ذُرَة مزروعة فمددت يدي فأخذت قبضة من قصب الذرة، حتى أمصها. وإذا قد جاءني رجلان من أهل القرية مع كل واحد منهما عصا فضرباني حتى وقعت على الأرض [2]، فعاهدت الله عزَّ وجلَّ في تلك الساعة أني لا أعود إلى ترخص فيما لا يخصني. لأن الشرع قد أباح للمحتاج على الزرع والثمرة أن يأكل منها قدر الحاجة ولا يأخذ منه شيئاً فهذه رخصة عامة. ولكني لم أترك مع هذه الرخصة وطولبت بالغريمة بطريق الورع. كل من يكثر ذكر الموت يكثر ورعه ويقل رخصه وتكثر غريمته، ذكر الموت دواء لأمراض النفس ومنفعتها على رأسها.

بقيت سنين أكثر من ذكر الموت ليلاً ونهاراً وأفلحت بذكري له، وقهرت نفسي بذكره، ففي بعض تلك الليالي ذكرت الموت وبكيت من أول الليل إلى السحر، وكنت في تلك الليلة أبكي وأقول إلهي أسألك أن لا يقبض روحي ملك الموت وتتولى قبضها أنت، فغفت عيني وقت السحر فرأيت شيخاً بهياً له سمت حسن قد دخل علي من الباب، فقلت له: من تكون؟ قال: أنا ملك الموت، فقلت له: إني سألت الله عزَّ وجلَّ أن يتولى قبض روحي ولا تقبضها أنت، فقال ولِمَ سألته ذلك

---

(1) ربقك: في حبلك، ربق: كسر الراء حبل فيه عدة عرى، كل عروة ربقة. انظر الفيروز آبادي - القاموس المحيط.

(2) هذه القصة لم تذكر في الكتب التي ترجمت لحياة سيدنا عبد القادر الكيلاني (ﷺ).

أي ذنب لي إن أنا إِلا عبد مأمور أمرنا بالرفق بقوم وبالفظاظة على قوم، وعانقني وبكى فبكيت معه ثم انتبهت وأنا أبكي[1].

(1) قصة أخرى شخصية لسيدنا عبدالقادر الكيلاني لم تذكر في الكتب. بكاؤه مع ملك الموت في المنام.

مجلس «دعوة»

(التوحيد نار محرقة).

المتمني. إطعام الناس. الكسب والإنفاق.

دعوا عنكم الهوس هذا لا يجيء بالتمني ولقلقة اللسان، إن كنت قاعداً على هذا الطبق وعلى هذا المنهل فكل واشرب وأطعم واسق، وإن كنت سمعت بهما سماعاً لا تخبر عن شيء لم تره، لا تدعُ الناس إلى دعوة غيرك، لا تدعُ الناس إلى بيت فارغ، فيضحكوا عليك، أرنا من جعبتك أنفق علينا من كسبك وعرق جبينك، لا تطعمنا من عملتك التي سرقتها من جيرانك، لا تكسُنا من عاريتك، ما نقبل الهدايا إلا من مالك لا من مستعير وغاصب.

التوحيد نار محرقة [1]... يا نار كوني برداً وسلاماً... اللهم أعطنا خير هذا اليوم... واكفنا شره.. وهكذا جميع الليالي والأيام... آمين.

(1) (التوحيد نار محرقة) - لها وجوه الأول: الأحوال لأن المحبة ملازمة لكل الأحوال والشوق يدخل ضمن المحبة. والشوق نار تصل بصاحبها إلى حد الاحتراق.

والثاني في الحقائق: التوحيد فناء الصفات والعادات والمألوفات لدرجة الاحتراق الكامل من أجل شهود الحق والبقاء فيه.

مجلس «عدوكم إبليس»

(لا تأمنوه فما هو أمين)

الغفلة الآجال، الآمال. الموت. المعاصي.

يا قعود مع دنياهم وطول آمالهم عن قريب تأتي الآجال وتحول بينكم وبين الآمال.

بادروا الآجال قبل مجيئها، انظروا إلى وجه موت الفجاءَة، ليس من شرط الموت المرض إبليس عدوكم لا تقبلوا مشورته، لا تأمنوه، فما هو أمين، كونوا منه على حذر يريد أن تموتوا على قدم الغفلة والمعصية والكفر. لا تغفلوا عن عدوكم فما يرد سيفه عن صدّيق ولا زنديق. ما ينفلت منه إلا آحاد أفراد. أخرج أباكم آدم وأمكم حواء على نبينا وعليهما الصلاة والسلام من الجنة. وهو مجتهد أن لا تدخلوا فيها. هو يأمر بالمعاصي والزلات والكفر والمخالفة، فكل المعاصي منسوبة إليه بعد قضاء الله عزَّ وجلَّ وقدره. وكل الخلق مبتلون به سوى عباد الله المخلصين لعبادته عز وجل، فلا سلطان له عليهم. وفي بعض الأوقات يؤذيهم، إذا جاء القضاء غشى البصر عمل معهم في الجسد لا في القلب والسر، فيما يلي الدنيا لا فيما يلي الحق عزَّ وجلَّ، أكثر ما يدخل على الخلق بطريق الدنيا والنفس، وقلب الدنيا نار محرقة.

مجلس «حقوق الله» [1]

(اللهم اجعلنا في حزبك ومن حزبك)

وما لا يعنيك العمل لما بعد الموت، المحاسبة، ما يعنيك.

يا قوم اشتغلوا بما يعنيكم، وما يصلح لكم العمل لما بعد الموت، يعنيكم مجاهدة نفوسكم، يعنيكم الاشتغال بعيوبكم والاشتغال بعيوب الناس لا يعنيكم، اذكروا الموت واعملوا لما بعد الموت.

قال النبي (ﷺ): الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله المغفرة.

ألزموا أنفسكم التواضع لله عزَّ وجلَّ وللمؤمنين من خلقه، وطالبوها بحقوق الله عزَّ وجلَّ التي له عليها، ناقشوها وحاسبوها كما يفعل الصالحون. كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذا جنَّ عليه الليل يقبل على نفسه ويقول لها ما فعلت لربك عزَّ وجلَّ ما صنعت له، ثم يأخذ الدرة فيضرب بها فخذيه. ويوقفها على شيء، كان يطالب نفسه بحقوق الله عزَّ وجلَّ، ويطلب الزيادة في خدمته، وهو من كبار الصديقين الصالحين المقربين المحدثين المقطوع لهم بالجنة.

الصالحون يحاسبون نفوسهم مع صلاحهم وطاعتهم وأنتم لا تحاسبونها. اللهم قَونا على أنفسنا وأهويتنا وشياطيننا... اللهم اجعلنا في حزبك ومن حزبك.. اللهمّ قرب قلوبنا إليك قبل الموت.. وارزقنا اللقاء الخاص قبل اللقاء العام.. آمين

---

(1) صنف الإمام الحارث بن أسد المحاسبي (ت 243هـ) كتابه (الرعاية لحقوق الله).

قال في باب الرعاية لحقوق الله عَز وجَل والقيام بها. فأما ما سألت عنه من الرعاية لحقوق الله عز وجل والقيام بها، فإنك سألت عن أمر عظيم... وهو الأمر الذي تولى الله عليه أنبياءه وأحباءه لأنهم رعوا عهده وحفظوا وصيته... فعلى العباد أن يقوموا بما أوجب الله تعالى عليهم في أنفسهم وفيمن استرعوا، فالإمام راع على الناس... وكل حق أوجبه الله جل وعز على عباده في خاصة أنفسهم أو فيما أوجب لبعضهم على بعض، فقد أمرهم بحفظه والقيام به، وذلك رعاية حقه الذي افترضه عليهم، والقيام به.

مجلس «الملوك»

(العلماء والأولياء له هم الملوك على الحقيقة)

الدنيا. الغفلة. العلماء. القلوب.

يا غلام: كان لقمان الحكيم رحمه الله تعالى يقول لابنه، يا بني كيف يأمن النار من لا بدّ له من الجواز عليها؟ وكيف يأمن الدنيا من لا بدّ له الانتقال عنها؟ وكيف يأمن الموت من لا بدّ منه؟ وكيف يغفل عنه وهو لا يغفل عنه؟ كلكم تجوزون على النار، وما يسلم منها إلا من اتقى الله عزَّ وجلَّ. الجواز على النار سفر يريد زاد التقوى. وما أراكم حصلتم زاد التقوى.

يا طلاب الدنيا.. يا عاشقين لها هل هي إلا خداعة... كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول عزيز على قلوب أخرج حب الدنيا وقد جمعت صدورها القرآن.

عن النبي (ﷺ) قال: إن هذه القلوب تصدأ، وإن جلاءَها قراءة القرآن وحضورها مجالس الذكر ومجالسة العلماء العمال بالعلم تجلو القلوب وتصفيها وترقيها وتزيل قساوتها. شكا رجل إلى الحسن البصري رحمة الله عليه قساوة قلبه فقال دم في ذكر الذاكرين لله. العلماء والأولياء له هم الملوك على الحقيقة. الملك هوذا فاسعوا إليه تصيروا ملوكاً. رأوا الآخرة فصغرت الدنيا في قلوبهم، ورأوا الخالق عزَّ وجلَّ فصغر الخلق عندهم. العزة في طاعة الله تعالى وترك معاصيه، هذا القلب لا يصلح ولا يفلح حتى يترك كل محبوب ويقطع كل موصول ويزهد في كل مخلوق. اترك وقد أعطيت خيراً كثيراً مما تركت.

قال النبي (ﷺ) من ترك شيئاً عوضه الله خيراً منه.

اللهم أيقظ قلوبنا لك.. ونبهنا من الغفلة عنك.. وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

مجلس «الشكر» [1]

(لو عرفت الدنيا ما عصيت في طلبها).

الصادق. النقم. النعم. الإيمان.

الصادق يشكر على النعم ويصبر على النقم، ويمتثل الأمر وينتهي عن المنهي. القلوب على هذا تربى، الشكر على النعم يزيد النعم، والصبر على النقم يزيل النقم ويسهل أمرها، اصبروا عند موت الأولاد والأهل وذهاب المال، وأخذ العرض وكسر الأغراض وأذية الخلق وقد رأيتم خيراً كثيراً. إذا شكرتم عند مجيء اليسير وصبرتم عند مجيء العسير، تريش جناح إيمانك وقوى وطار قلبك بهما إلى باب مولاك عزَّ وجلَّ. كيف تدعي الإيمان ولا صبر لك.

أما سمعت قول النبي (ﷺ) الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد.

إذا لم يكن لك صبر فلا رأس لإيمانك، فإذن لا عبرة لجسدك.

---

(1) أفرد سيدنا عبد القادر الكيلاني (ﷺ) في كتاب الغنية باب للشكر، ذكر فيه: وأما الشكر فالأصل فيه قوله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) سورة إبراهيم - 7 -.. وذكر: حقيقة الشكر عند أهل التحقيق: الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخصوص، وعلى هذا المعنى وصف الله تعالى بأنه الشكور توسعاً، معناه أنه يجازي العباد على الشكر، فسمى جزاء الشكر شكراً.

وقيل: حقيقة الشكر الثناء على المحسن بذكر إحسانه، فشكر العبد لله تعالى ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه، وشكر الحق سبحانه للعبد ثناؤه عليه بذكر إحسانه له، ثم إن إحسان العبد طاعته لله، وإحسان الحق سبحانه إنعامه على العبد، وشكر العبد على الحقيقة وإنما هو نطق اللسان وإقرار القلب بإنعام الرب.

ثم الشكر ينقسم أقساماً: إلى شكر باللسان وهو اعترافه بالنعمة بنعت الاستكانة، وشكر بالبدن والأركان وهو اتصاف بالوفاء والخدمة، وشكر بالقلب وهو انعكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة.

وذكر: وفي الجملة الشكر أن لا تعصي الله تعالى بنعمه.

لـو عـرفت المبتلـي لـصبرت علـى بلائـه، ولـو عـرفت الدنـيا مـا عـصيت في طلبها.

اللهم أهدِ كل ضال، وتب على كل عاص وأصبر كل مبتلى، ووفق للشكر كل معافى.. آمين.

مجلس «الخوف والشوق» [1]

(رأس مالك دينك)

المريد والمراد، الممقوت، المنافق

سأل سائل: أيما أشد ناراً نار الخوف أم نار الشوق؟ فقال أما نار الخوف للمريد ونار الشوق للمراد. هذا شيء، وهذا شيء أي النارين عندك يا سائل يا معتمدين على الأسباب. نافعكم واحد... ضاركم واحد... سلطانكم واحد... إلهكم واحد. هو الذي صنعكم والذي تصنعونه هو الذي يصنعه على أيديكم، هو خلقكم ورزقكم وضركم ونفعكم.

تعتمدون على مخلوق مثلكم.. تعبدون ما لا عليكم منه ضرٌّ ونفعٌ، أما سمعتموه كيف قال الله تعالى جل شأنه: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ سورة الكهف، الآية 110.

يا منافق، زمانك يذهب في لا شيء، يا مبذر زمانك يضيع رأس مالك يذوب، لا جرم لا ترى الأرباح. رأس مالك دينك وأنت تأكل الدنيا به، فأنت تأكل دينك فهو ذاهب ذائب. يذهب بعملك للخلق وطلبك للصيت والدنيا والدرهم والجاه والقبول. وأنت عدو الله عزَّ وجلَّ، ممقوت قلوب الصديقين من عباده، وممقوت ملائكته، والملائكة تلعنك والأرض التي تحتك تلعنك والسماء التي فوقك تلعنك والثياب التي عليك تلعنك، فأنت ملعون الخالق والخلق.

أما علمت أن المنافق في الدرك الأسفل من النار، أسلم ثم تب، تدارك الأمر قبل أن يفاجئك الموت، قبل أن تؤخذ بغتة فتندم ولا ينفعك الندم.

---

(1) الشوق: تعلق الشيء بالشيء. والشوق ثمرة المحبة في القلب. ومنهم من اعتبره مقاماً: نزاع القلب إلى لقاء المحبوب. وأهم ما في الشوق حب لقاء المحبوب وتصاحب الشوق نار محرقة.

قال الخراز: من اشتاق إلى الملك الخلاق جل جلاله عن ولوع الاحتراق، من خوف الفراق رجاء التلاق على بساط السباق فهو المشتاق.

إنـي أعـرفك ومـا يمكنني أعـين علـيك، قـد أمـرنا فـي الحكـم بالـستر عليك وعلى غيرك. ولكني أرسل الكلام إرسالاً من غير تعيين، أشير إليك إشارة من غير تـصريح. إياك أعني واسمعي يا جارة، العبد يُضْرَب بالعصا والحر تكفيه الإشارة.

مجلس «الخلوة والجلوة»

(أتركوا إرادتكم لإرادته) (يا من تريد اجتهد أنك لا تريد)

الخلوة والجلوة، علم الله. نعم الله، الجحيم، النفس. القرب. القضاء.

الحق تعالى ناظر إلى خلوات الخلق وجلواتهم وإلى قلوبهم، لا يقبل منهم إلا ما كان له. وأراد به وجهه. لا تتصنعوا لا تتبهرجوا لا تدلسوا، فإنه يعلم السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. اخدموا هذا الملك هذا الخالق الرزاق هذا المنعم. هذا الذي جعل لكم هذه الشمس ضياءً والقمر نوراً والليل سكناً. قد نبهكم على النعم وعددها حتى تشكروه، ثم قال لكم بعد تعدادها ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾، من رأى نعم الله على الحقيقة، عجز عن شكرها وبهت لها. ولهذا قال موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام، إلهي إني أشكرك ونعجز عن شكرك. ما أقل اعتراضكم، لو عرفتموه خرست ألسنتكم بين يديه وتأدبت قلوبكم وجوارحكم في جميع الأحوال.

ولهذا قال النبي (ﷺ) من عرف الله عزَّ وجلَّ كَلَّ لسانه

العارف لا يزال أخرس لا ينطق بالأسرار التي عنده إلا بإذنه.

يا غلام: استودع نفسك وجوارحك وأهلك ومالك الحق عزَّ وجلَّ... لا يضيّع... وسر بقلبك إليه فإنك تجد عنده كل خير... أرضِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم واتبعه، ثم ادخل إلى ربك عزَّ وجلَّ بأقدام علمك به ومعرفتك له، اصحب الحكم إلى أن تصل إلى الباب، فإذا وصلت، استوقفه هناك واسألهُ الدعاء بالسلامة وسعادة البخت، ثم ادخل إلى باب سرك ومعناك.

عن بعضهم أنه قال لأن آكل الدنيا بالطبل والمزمار أحب إليَّ من أن آكلها بالدين، عن قريب يتفكر كل واحد منكم بما سعى من التوحيد والشرك. من النفاق والإخلاص، ذلك اليوم تبرز الجحيم لمن يرى، كل من في القيامة يراها ويفزع، منهم آحاد أفراد إذا رأت المؤمن ذلت وخمدت حتى يجوز. ولهذا نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تقول النار يوم القيامة للمؤمن. [جُزْ يا مؤمن أطفأ

نورك لهبي].

تناديه قبل أن يجوز عليها، أسرع لا تبق عليَّ... مع غيرك لا بد من الجواز عليها للمسلم والكافر، للمطيع والعاصي، إذا استقر قدما المؤمن على الصراط الممدود على النار تنزوي وتخمد وتقول له جز، فقد أطفا نورك لهبي، ومنهم من يجوز ولا يراها، فإذا أدخلوا الجنة يقولون أليس قد قال الله عزَّ وجلَّ: وإنْ منكم إلا واردها فما رأيناها، فيقال لهم قد جزتموها وهي خامدة. العاصي آبق من مولاه عز وجل، والمؤمن طائع وواقف في خدمة الله عزَّ وجلَّ، علم أنه سيلقاه ويسأله عن جميع أموره التي كان فيها وهو في الدنيا، ترك متابعة هواه الذي يضله ويأمره بمنازعة ربه عزَّ وجلَّ، أو خالف نفسه وعاداها لأنه علم أنها معادية لربه عزَّ وجلَّ.

أوصى الله عزَّ وجلَّ، إلى داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام: يا داود اهجرْ هواك فإنه لا منازع ينازعني غير الهوى.

اصحبوا الحق عز وجل بالسكون والإطراق وحسن الأدب، اتركوا إرادتكم لإرادته واختياركم لاختياره وحكمكم لحكمه ومشيئتكم لمشيئته، هو الفعال لما يريد، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، صحبته كصحبة السباع والأفاعي ولهذا القوم وقوف على قدم الخوف والحذر، لا ليلهم ليل ولا نهارهم نهار، أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى، وكلامهم ضرورة، المريض بأدنى شيء يشبع ويأكل وهو خائف من أكله، لا يدري هل هو موافق مزاجه أم لا، الغريق تغفو عيناه غلبة والأمواج تنبهه، هم في بحر القدرة، بحر فعّال لما يريد لا ما يريدون، يخافون أن تغرقهم الأمواج ويسلط عليهم بعض الدواب فتأكلهم، ويرجون أن يرميهم إلى الساحل ويدخلهم قصر قربه ومناجاته ومشاهدته، يا من تريد اجتهد إنك لا تريد.

قيل لبعضهم ما تشتهي قال أشتهي أن لا أشتهي، كل الدائرة على الرضا بالقضاء وترك الإرادة واستطراح القلب بين يدي مقلبه.

اللهم اجعلنا من المسلمين المستطرحين بين يدي قدرك.. وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

مجلس «الشقي»

(إذا وصلت الأسرار صارت ملوكاً وتصير الجوارح أتباعاً وحواشي)

العلم، الشيوخ، الخوف، الوصول، الشقي، قساوة القلب، المناجاة، القدر والسابقة.

يا غلام: القوم تركوا وقالوا ما سواه حشو وقشر. اطلبوا اللب وتعلقوا به واستغنوا عن القشر، استعينوا بالله عما لا بد منه، الحق عزَّ وجلَّ لا بد منه، وما سواه منه بد، لما رأى منهم صدقهم في الطلب أعطاهم العفو والعافية والقرب منه.

هنالك الولاية لله الحق. كل قلب لا خوف فيه كبلدة لا شجر فيها، وغنم بلا راعي فتكون البلدة خراباً والغنم مأكول الذئاب، من خاف لا يستقر بمكانٍ واحدٍ، لا يزال سائراً. غاية سفر القوم إلى دار الحق عزَّ وجلَّ، السير سير القلوب، والوصول وصول الأسرار. إذا وصل القلب الباب واستأذن للبشر، ثم يدخل معه. ما أكثر وأقل أعمالكم، وقد جعلتم حظكم من العلم حفظاً وإيراد الحكايات والسير.

ما ينفعكم هذا. يحفظ أحدكم كذا وكذا حديثاً ولا يعمل بحرف منه.. هذا حجة عليكم لا حجة لكم.. أحدكم يقول شيخي فلان... صحبت فلاناً... قرأت على فلان... قلت للعالم فلان.. كل هذا من غير عمل... لا يساوي شيئاً... الصادق في عمله يودع الشيوخ ويجوز بهم ليشير إليهم... اقعدوا مكانكم حتى أمضي إلى الموضع الذي دللتموني عليه. الشيوخ باب... فهل يحسن أن تلازم الباب ولا تدخل الدار؟.. ويضرب الله الأمثال... علامة شقاوة العبد قساوة قلبه وجمود عينيه وطول أمله وبخله بما في يده وتهاونه بالأمر والنهي، وتسخطه عند نزول الآفات. فإذا رأيتم أحداً على هذه الصفة فاعلموا أنه شقي. صاحب القلب القاسي لا يرحم أحداً، ولا تدمع عيناه، لا في فرحة ولا في ترحة. لأن جمود عينيه من قساوة قلبه، فكيف لا يكون قلبه قاسياً وهو ملآن من التمني والمعاصي والزلات وطول الأمل والحرص على ما لم يقسم له، والحسد عليه. والبخل بالزكاة المفروضة عليه والكفارات لا يخرجها، والنذور لا يوفيها، وأقاربه لا يتفقدهم، والديون التي عليه لا يقضيها مع القدرة على قضائها، يماطل بها ليجحدها، يكره إعطاء الفضل والحق،

وكل هذا وأمثاله من علامة الشقاوة.

قال عزَّ وجلَّ من قائل ﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ سورة الحديد، الآية 16، لا تحتجوا عليه بقدره، وجدوا واجتهدوا ولازموا واطلبوا وتضرعوا وابكوا واستغيثوا وذلوا واثبتوا على الباب ولا تهربوا. كل الأمور بيد الله عزَّ وجلَّ هو الموقظ الموفق والمحذر وهو المنبه وهو المنوم.

نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لما سمع مناجاة الحق عزَّ وجلَّ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝ ﴾ سورة المدثر، الآيتين1 - 2، قام عن فراشه وخرج هائماً.. وهكذا المؤمن يسمع مناجاة الحق عزَّ وجلَّ فيجيبه ويهيم في طلبه ويشتاق إليه. هو تعالى ينبه القلوب ويدلها عليه. إذا أرادك لأمر هيأك له، هذا أمر باطن وهو القدر والسابقة والعلم، لا يجوز لنا الوقوف معه والاحتجاج به بل نجدّ ونجتهدُ ونتعَرض ولا نكسل.

اللهم رضنا بقضائك وصبرنا على بلائك وأوزعنا نشكر نعماءَك... نسألك تمام النعمة ودوام العافية والثبات على المحبة.

مجلس «العلم والعمل»

(الكتب آلة يعمل بها، فكيف تنفع آلة لا يعمل بها)

الدعاء. العبودية، الحب، التقوى، العبر. الإيمان. الورع. الزهد.

عن إبراهيم بن أدهم [1] رحمة الله عليه أنه قال: بقيت ليلة من أول الليل إلى آخره أدعو الله عزَّ وجلَّ بأنواع الدعاء وأبكي، فلما كان قريب من الصبح غمضت عيني فرأيت الله عزَّ وجلَّ في نومي فقال يا إبراهيم إنك ما تحسن تدعوني، (قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك وأوزعني أشكر نعماءَك.. أسألك تمام النعمة ودوام العافية والثبات على المحبة)... فانتبهت وأنا أكررها.

العبد المتحقق بالعبودية [2] من استغنى بربه عن الخلق، بحاله عن أحوال غيره، وبنبيه صلى الله عليه وآله وسلم عن سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا تبقى له حاجة إلى شيء، وتحتاج الأشياء إليه.

القوم لا يطلبون من الله عزَّ وجلَّ غير الله، يطلبون المنعم لا النعمة، الخالق لا المخلوق، هربوا من الطعام والشراب واللباس والنكاح وصداع الدنيا، هربوا إليه فهم يعبدونه لأجله، ويطلبون منه ما يعبدونه لعلف النفوس، ما يعبدونه لدار الضيافة، يقولون ما نفرح بالرحمة، نريد الخلوة مع المحبوب من غير رحمة، المحبة لا تتحمل شريكاً، يا من يدّعي المحبة، المحب ضيف المحبوب، وهل رأيت ضيفاً يتحرك لتحصيل طعامه وشرابه ومصالحه، تدّعي المحبة وتنام، المحب

---

(1) إبراهيم بن أدهم أبو إسحاق. من أبناء الملوك. هتف به هاتف. فهام على وجهه في البراري. دخل مكة وصحب سفيان الثوري. والفضيل بن عياض. ومات في الشام. وله باع في الورع. وكان عامة دعائه (اللهم انقلني من ذل معصيتك إلى عز طاعتك) - انظر حلية الأولياء. والرسالة القشيرية.

(2) العبودية: ترك الاختيار فيما يبدو من الأقدار، والتبرؤ من الحول والقوة، وأن تسلم إليه كلك وفي الرسالة القشيرية: قال أبو على الدقاق: عبادة، ثم عبودية، ثم عبودة. العبادة للعوام من المؤمنين، والعبودية للخواص، والعبودة لخاص الخاص. العبادة لأصحاب المجاهدات. العبودية لأرباب المكابدات، والعبودة: صفة أهل المشاهدات.

لا ينام، لا يخلوا إما أن تكون محباً أو محبوباً فإن كنت محباً فالمحب كيف ينام؟ وإن كنت محبوباً فالمحب ضيفك.

يا مدعين ما ليس عندهم سوف تعلمون عقوبة دعواكم عاجلاً أو آجلاً، يا علماء يا متعلمين ليس المقصود العلم إنما المقصود ثمرته، ماذا تنفع الشجرة من دون ثمرة؟ ما ثمرة العلم؟ إلا العمل والإخلاص، الكتب آلة يعمل بها فكيف تنفع آلة لا يعمل بها؟ إنما تحصل أجرة الصانع بعد عمله وتعبه، لا كلام حتى تقدم من سفر الدنيا والوجود والخلق، إذ أقدمت عليه بين كشف وشرح.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ سورة البقرة، الآية 282، وقال تعالى ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ سورة الطلاق، الآيتان 2 - 3. التقوى أساس كل خير وسبب مجئ الدنيا ومجئ الحكمة والعلوم وصفاء القلوب والأسرار، اتقوا واصبروا معه، رأس الدين في الدنيا الصبر وجسده العمل، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد. كل الأعمال لا تتم إلا بالصبر، تحت قضاء الله عزَّ وجلَّ اصبروا واثبتوا وتورعوا، عليكم بالورع في خلواتكم وجلواتكم، والزهد في أقسام غيركم، والإعراض عن أقسامهم، أنت تغنم بذل الدين والجاه وجميع الغلات والدنانير والثياب والدور والجوار والخيل والخدم، كل هذا عن قريب يفارقك، ارجع إلى ربك عزَّ وجلَّ. اعكس تصب، دع الباطل والاختلاط والجنون، فكيف تجمع شيئاً تتركه لغيرك وتنفرد بمحاسبته ومناقشته؟ ما ينفعك من جميع ما تجمع ذرة، ما يقع بيدك منه إلا حجته وحسابه ونكاله وذهابه وندامته، ما لك عقل اشترِ مني عقلاً، تقدمْ بين يدي واسمع نصحي لك إني أعرف ما لا تعرف، وأرى من الآخرة ما لا ترى.

مجلس «هدية الله»

(الفقراء هدية الله، ويحكم تكرهون هدية الله عزّ وجلّ وتردونها ولا تقبلونها)

المواساة والإيثار، معاملة السلاطين،

عن النبي (ﷺ) أنه قال إذا أُنزل المؤمن في قبره تقعد الصدقة عند رأسه والصلاة عن يمينه والصيام عن يساره والصبر عند رجليه، فيأتيه العذاب من عند رأسه فتقول الصدقة ما لك عندي سبيل، فيأتي من عند يمينه فتقول الصلاة ما لك عندي سبيل فيأتي عن يساره يقول الصيام ما لك عندي سبيل، فيقول الصبر أنا حاضر إن احتجتم مساعدة.

يا قوم عليكم بالمواساة للفقراء، والإيثار لهم عند ضعف الإيمان، والمواساة عند قُوَّتِهِ، والإيثار مع التبسم، استقبلوا الفقراء بالعطاء أو بالرد على أحسن وجه عند العدم، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: هدية الله عزَّ وجلَّ إلى عبده السائل على بابه.

ويحكم تكرهون هدية الله عزَّ وجلَّ وتردونها ولا تقبلوها، عن قريب ترون خبركم يجئ إليكم. الفقر يطرد غناكم ويقعد مكانه، يجيء إليكم المرض فيطرد عوافيكم ويقعد مكانها، لا تخاطروا برؤوس نعم ربكم عزَّ وجلّ التي له عندكم، المؤمن يعلم أنه لم يوجه إليه الحق عزَّ وجلَّ السائل إلا ليعطيه من نعمه التي عنده له، يرى أنه إذا أعطاه وأكرمه وقبل حوالته أعطاه ما هو أوفى وأكثر وأحسن من عطيته دنيا وأخرى.

يا مُدبر تعامل السلاطين والأمراء والأغنياء طالباً للجاه والزيادة، ولا تعامل ملك الملوك أغنى الأغنياء الذي لا يموت ابداً، ولا يفتقر أبداً، وإذا أقرضته يضاعف لك، يعطيك عن الدرهم عشرة في الدنيا

وثوابك في الآخرة لا ينقص، يعطيك في الدنيا البركة وفي الآخرة الثواب، أما سمعت كيف قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥ ﴾ سورة سبأ الآية 39.

اللهم ارزقنا معاملتك وطيب لنا خدمتك والوقوف على بابك مع جملة خدمك وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

مجلس «العارف بالله»

(رزق الأبدان الطعام والشراب ورزق القلوب التوحيد، ورزق الأسرار الذكر الخفي)

الرحمة، الشيوخ، الأرزاق أنواع، الدنيا، القيامة، معرفة الله.

عن النبي (ﷺ) أنه قال، قال لي جبرائيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام: لا يرحم الله من لا يرحم الناس، إنما يرحم الله عباده الرحماء، ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء.

يا من تريد الرحمة من الله عزَّ وجلَّ، زن ثمنها وقد وقع بيدك ثمنها، إلا رحمتك بخلقه والشفقة عليهم وإصلاح نيتك لهم، تريد شيئاً بلا شيء ما يقع بيدك، هات الثمن وخذ المثمن.

ويحك تدعي معرفة الله عزَّ وجلَّ ولا ترحم خلقه، كذبتَ في دعواكَ، العارف يرحم كل الخلق من حيث العلم، ويرحم قوماً دون قومٍ من حيث الحكم، الحكم يفرق والعلم يجمع.

قال الله تعالى: ﴿ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ ﴾ سورة البقرة، الآية 189.

الشيوخ العاملون المخلصون الصادقون هم أبواب الحق عزَّ وجلَّ وطرقه إلى قربه، هم ورثة الأنبياء والمرسلين ونوابهم صلوات الله وسلامه عليهم، هم مفردو الحق عزَّ وجلَّ والدعاة إليه، هم سفرة بينه وبين الخلق، هم أطباء الدين ومعلمو الخلق، اقبلوا منهم واخدموهم سلموا أنفسكم الجاهلة إلى يد أمرهم ونهيهم.

الأرزاق بيد الله عز وجل، رزق الأبدان ورزق القلوب ورزق الأسرار، فاطلبوها منه لا من غيره، رزق الأبدان الطعام والشراب، ورزق القلوب التوحيد، ورزق الأسرار الذكر الخفي.

ارحموا أنفسكم بمجاهدتها وأمرها ونهيها ورياضتها، وارحموا الخلق بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، والصدق في نصيحتهم والأخذ بأيديهم إلى باب ربهم عزَّ وجلَّ.

الرحمة من صفات المؤمنين، والقساوة من صفات الكافرين، صلوا من قطعكم،

واعطوا من حرمكم، واعفوا عمّن ظلمكم. إذا فعلتم هذا فقد اتصل حبلكم بحبل الله تعالى، ما عندكم بما عنده، لأن هذه الأخلاق من جملة أخلاق الله عزَّ وجلَّ، أجيبوا المؤذنين الذين يدعونكم إلى المساجد التي هي بيت الضيافة بيت المناجاة، أجيبوهم فإنكم تلقون النجاة والكفاية عندهم، إذا أجبتم داعيه أدخلكم داره، وأجابكم وقربكم وعلمكم المعرفة والعلم بربكم، ما عنده يهذب جوارحكم ويطهر قلوبكم ويصفي أسراركم، ويلهمكم رشفكم، ويقيمكم بين يديه، ويوصل قلوبكم إلى دار قربه، ويأذن لها بالدخول عليه، وهو كريم إذا أجبتموه ولم تتهاونوا بدعائه، وأجابكم وأحسن إليكم وخلع عليكم قال عزَّ من قائل: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ سورة الرحمن، الآية 60.

إذا أحسنتم العمل أحسن الثواب، قال (ﷺ)، كما تدين تدان. كما تكونوا يُولَّ عليكم إما لكم أو عليكم، كونوا في الدنيا بقلوب مقبلة زاهدة متعففة مقرة. لا تتوطنوا فيها فليست دار الوطن والمقام، ثمة وطن آخر ومقام آخر، هذه الدار الدنيا سجن المؤمن، بالإضافة إلى دار الآخرة.

ولهذا قال النبي (ﷺ): الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافرين سجنه ولو عاش فيها ألف سنة متقلباً في نعيمها، والآخرة فرَجَهُ، وفرحته وجنته وبره وثوابه ودولته وأمره ونهيه وسعته.

أما العارف العامل الصدّيق فثوابه في الدنيا قبل الآخرة، وهو قرب ربه عزَّ وجلَّ، يتمنى أن لن تخلق الجنة. ويرى أن القيامة رحمة، يرى أن في القيامة ظهور سريرته، لأن في ذلك اليوم تقلب الأسرار إلى الوجوه، يرى أنه يقوم من قبره وعليه حُليٌّ وحلل، ويستقبله مواكب الغلمان، وقلبه أبداً زاهد في مثل هذا. يكره الرحمة لاستغنائه بربه عزَّ وجلَّ، يحب المنعم لا النعم، يحب الدخول على الملك من باب السر لا في المواكب. يكره الجواز في الجنة لأنه تارك لما سواه، يود أن لا يرى الجنة حتى لا يتقيد بها، ولا يتغير بها، ولا تقف خطوته عن ربه عزَّ وجلَّ، يكره الاشتغال بغيره. وآحريقاه... وآثاراه... على من لا يعرف الله عزَّ وجلَّ في الدنيا قبل الآخرة، ويشم نسيم قربه، ويأكل من طعام فضله، ويشرب من شراب أنسه.

مجلس «القيامة على النفس»

(المؤمن من خرج من بيت نفسه وهواه وطبعه قاصداً إلى ربه عزَّ وجلَّ)

(الفقر هو الخوف من الفقر، والغناء هو الغناء بالله عزَّ وجلَّ).

العمل، الصراط، الخوف والرجاء، باب السر، باب الباطن، الملامة، التسليم والتفويض

أناديكم يا منافقين، وأنتم لا تسمعون، وإذا سمعتم تتصامتون ولا تجيبون، ما أبعدكم، إنكم تنادَوْن من مكان بعيد، تجيء أصواتكم من تلال الأرض، لا من قلعة القرب وساحل بحر السنة، كل همكم بطونكم وفروجكم وأجسادكم وجمع دنياكم إن هذه هَمٌّ دنيء. الجوع طعام الله عزَّ وجلَّ في الأرض يشبع به بطون الصديقين. يا خائفين من الفقر، الفقر هو الخوف من الفقر، والغنى هو الغناء بالله عزَّ وجلَّ، لا الغناء بالدراهم والدنانير

يا غلام أقم القيامة على نفسك، ادخل بأقدام فكرك إلى النار والجنة، وانظر ما فيها بعيني إيمانك ويقينك، ما يزال المؤمن يعمل حتى يصح فكره ونظره، فحينئذ يقيم القيامة على نفسه، يقوم بين يدي ربه عزَّ وجلَّ، ويقرأ صحائفه ويرى ما فيها من حسناته وسيئاته، ويرى سيئاته قد غلبت على حسناته، وأنه قد وقع بها في النار، ويريد الجواز على الصراط فيجوز عليه وهو بين الخوف والرجاء، والهلاك والعبور، فبينما هو كذلك إذ تداركه الله عزَّ وجلَّ برحمته، فأمر برده وعرض له الصراط تحت قدميه وأطفأ عنه لهيب النار بماء رحمته، حتى قالت له النار جُزْ يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي، كل هذا يتفكر فيه المؤمن ويصوره ويقرره، لا يزال يؤمن به حتى يصير عنده يقيناً

يا غلمان: لا تنقطعوا عن هذا النعيم، الذي شرحته، بعدوكم خلف أقسامكم، اتركوا العدو خلفها، وقد سعت هي خلفكم، هذا شيء قد جربته ورأيته ورآه غيري ممن سلك الطريق، لا تستعجلوا فما يفوتكم ما هو لكم.

عن النبي (ﷺ) أنه قال: ما تخرج نفس من الدنيا حتى تستوفي رزقها.

فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، توقفوا ولا تحرصوا ولا تتعبوا، تبينوا هذا إن

كان لا بد لكم من الطلب، إذا أعرضت عن باب الملوك فتح لك باباً لا ينغلق أبداً، باب السر باب الباطن يفتح لك من غير حولك وقوتك وظنك، المؤمن من خرج من بيت نفسه وهواه وطبعه قاصداً إلى ربه عزَّ وجلَّ، فبينما هو كذلك إذ وقف في طريقه سد الآفات من نفسه وأهله وماله، فيقف متحيراً فيرجع إلى ذنوبه وسوء أدبه في خرق حدود شرع ربه عزَّ وجلَّ، فيتوب من جميع ذلك، وليسكت. عن...؟ لمَ...؟ وكيف...؟ ويخرس ظاهراً وباطناً عن الدعاوى والمنازعة ويسلم ويستطرح، ولا يعالج ذلك السد الذي بين يديه بيد حركته وجده واجتهاده، ولا يستعين على فتحه بغير فتحة عزَّ وجلَّ، ويجعل كل شغله في ذكره والرجوع إليه، وذكر ذنوبه والاستغفار منها والرجوع على نفسه بالملامة لها، حتى إذا فرغ من ذلك رجع إلى قدر ربه عزَّ وجلَّ، ويقول في قدر الله وقضائه وسابقته، على أن يرجع إلى التسليم والتفويض [1] من حيث القلب لا من اللسان، فيما هو كذلك مطرق مغمض إذ فتح عينيه والسد قد زال، والباب مفتوح وقد جاءت مكان الآفات نعم، ومكان الضيق سعة، ومكان المرض عافية، ومكان الهلاك ملك، كل ذلك تصديق قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ سورة الطلاق، الآيتان 2 - 3.

(1) التوكل: تفويض وتسليم، والقصد هنا التوكل بالقلب مع التسليم والتفويض.

مجلس «يوم القيامة»

(يوم القيامة يوم التغيير والتبديل).

الوصول، الإشارة، الإخلاص، التوحيد، العبادة، الدعوى، ملوك الظاهر وملوك الباطن، نوبة الدنيا، نوبة الآخرة،

لا يزال العبد يقابل النعم بالشكر، ويقابل البلاء بالموافقة، والاعتراف بالجرائم والذنوب واللوم للنفس، حتى تنتهي خطوات قلبه إلى ربه عزَّ وجلَّ. لا يزال يخطو بالحسنات والتوبة من السيئات حتى يصل إلى باب ربه عزَّ وجلَّ. ولا يزال يخطو بالشكر على النعم، والصبر على النقم، حتى يصل إلى باب ربه عزَّ وجلَّ.

فإذا وصل إلى هناك رأى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، إذا وصل قلب العبد إلى باب ربه عزَّ وجلَّ انقطعت توبته، الحسنات والسيئات والشكر والصبر والتعب والشقاء، كما تنقطع خطوات المسافر إذا وصل إلى منزله ومقعده. تبقى المجالسة والمؤانسة والمحادثة والمشاهدة والاطلاع على الأسرار.

إذا وصل المحب إلى محبوبه، هل يبقى تعب؟ ينقلب التعب راحةً والبعد قرباً والغيبة حضوراً والخبر معاينة، يطلع على أسراره ويطوف به... ويفتح له خزائنه ويفرجه على بساتينه أليس تعقلون هذا؟ ويضرب الله الأمثال للناس، إنما يعرف الإشارة أهل الإشارة، يا عابداً بغير قلب حاضر، مثلك مثل الحمار مشدود العين وهو يطحن يظن أنه قد مشى فراسخ كثيرة وهو في مكانه ما برح.

ويلك تقوم وتقعد في صلواتك وتجوع وتعطش في صومك بلا ذرة من الإخلاص والتوحيد، فماذا ينفعك؟ ما ينفع في يدك غير التعب، تصلي وتصوم وعين قلبك إلى ما في بيوت الناس وجيوبهم وأطباقهم، تنتظرهم حتى يهدوا لك، وتُريهم عبادتك وتعلمهم بصومك ومجاهدتك.

يا مشركاً يا منافقاً يا مرائياً يا مدبراً عن وصف الصدّيقين الروحانيين الربانيين أما تعلم أني محككم وكيركم وشحنة عليكم أطالبكم بدعاويكم.

البينة على المدعي واليمين على من أنكر. ما أكثر قولك وأقل فعلك، اعكس تصب. من عرف الله عزَّ وجلَّ كَلَّ لسانه ونطق قلبه وصفا سره وارتفعت عنده

درجته واستأنس واستراح إليه، واستغنى به، يا نار القلوب كوني برداً وسلاماً.. يا قلوب تأهبي.. يوم تسير الجبال وتبرز الأرض.. الرجل من ثبت في ذلك اليوم.. على قدمي إيمانه وإيقانه.. وتوكله ومحبته لمولاه وشوقه إليه... على قدمي معرفته له في الدنيا قبل الآخرة.

اليوم تسير جبال الأسباب والخلق، وتبقى جبال المسبب الخالق، تسير جبال ملوك الظاهر والصور تضمحل، وتظهر جبال ملوك الباطن وتثبت.

يوم القيامة يوم التغيير والتبديل، هذه الجبال التي ترونها وتتعجبون من قوتها وصلابتها وعِظم خلقها، تصير كأنها الصوف المندوف، وتنقلع من مكانها بعروقها وتذهب صلابتها وتسير أسرع من سير السحاب، وتصير السماء كالمُهل وهو الصّفر المذاب.

تنتهي نوبة الدنيا نوبة الحكمة نوبة الأعمال نوبة الزراعة نوبة التكليف، وتجيء نوبة الآخرة نوبة القدر نوبة الإثابة على الأعمال والحصاد ونوبة الراحة من التكليف نوبة إعطاء كل ذي حقٍ حقه وكل ذي فضلٍ فضله.

اللهم ثبت قلوبنا وجوارحنا في ذلك اليوم.. وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

مجلس «الخُلق الحسن»

(الخلق الحسن هو راحة لصاحبه ولغيره)
الخلق الحسن والخلق السيئ، النفس، المجاهدة، معرفة النفس، الفكر، القيامة

عن النبي (ﷺ) أنه قال: خالطوا الناس بخلق حَسن فإن متم ترحموا عليكم وإن غبتم حنوا إليكم.

اسمعوا هذه الوصية وشدوها على أعين قلوبكم ولا تنسوها، قد دلّيتكم على عمل يسير له ثواب كبير، ما أحسن الخلق الحسن، هو راحة لصاحبه ولغيره، وما أقبح الخلق السيئ، هو تعب لصاحبه وأذية لغيره، ينبغي للمؤمن أن يُجاهد نفسه في تحسين خلقه ويلزمها به، كما يجاهد في بقية الطاعات، فإن دأبها الكبر والغضب وحقارة الناس. جاهدوها حتى تطمئن فإذا اطمأنت تواضعت وذلت وحَسُنَ خلقها وعرفت قدرها، واحتملت غيرها، وقبل المجاهدة فهي فرعونة.

طوبى لمن عرف نفسه وعاداها وخالفها في جميع ما تأمر به، ألزموها ذكر الموت وقد ذلت وحسن خلقها، امنعوها الحظوظ وأوفوها الحقوق، وقد ذلت وحسن خلقها وعرفت قدرها، خذوها بيد الفكر وأدخلوها النار والجنة، حتى ترى ما فيهما وقد ذلت وحسن خلقها، تفكروا في القيامة، أقيموها على أنفسكم قبل أن تقوم القيامة.

القيامة فرح لقوم وغَم لقوم، عيد لقوم ومأتم لقوم، هو يوم عيد الصالحين، يوم زينتهم وحللهم، هم وركوبهم على ظهور نجائبهم وغلمانهم وأعلامهم، لهم صور يظهر نورها على وجوههم.

مجلس «الكرم والبخل»

(الكرم من عند الله عزّ وجلّ والبُخل من عند الشيطان)

الإنفاق، الاتباع والابتداء، عباد الله،

يا غلام: إن كان لك غرض في ربك عزَّ وجلَّ وكنت مريداً له، فالزمني واقنع مني بخرقة ولقمة، واخدم فيما استخدمتك فيه، ولا تخالف قولي، إن فعلت هذا فتعال، وإلا فلا تصدعني بهذا الطريق، لا تسلك مع النفس والهوى والطبع والرؤية للخلق، قد كشفت لك الحال، فإن أردت تقبل، وإلا فأنت أعرف، إن قبلت رجوت لك من الله عزَّ وجلَّ خيراً كثيراً.

اتبعني ولا تخف على نفسك من الجوع والفقر، اصدق... وما يكون... إلا ما تريد، ولا ترى إلا الخير.

كنت أخلو بنفسي في مواضع خالية وأنا صغير فاسمع في بعض الأوقات صوتاً، ولا أرى شخصاً، يقول يا مبارك إنك بخير وسترى خيراً، فأقوم وأطوف حولي فلا أدري من أين ذلك الصوت[1].

وبحمد الله عزَّ وجلَّ رأيت البركة في جميع أحوالي.

عباد الله عزَّ وجلَّ قوم يقولون للشيء كن فيكون، ولكنكم لا ترونهم وإذا رأيتموهم لم تعرفوهم وتغلقون أبوابكم في وجوههم، وتشدون أكياسكم وجيوبكم عنهم.

ويحكم إذا سددتم أبوابكم في وجوه الفقراء سَد الله عزَّ وجلَّ عليكم، وإذا فتحتموها في وجوههم فتح الله عزَّ وجلَّ عليكم، إذا أنفقتم أموالكم لوجه الله عزَّ وجلَّ أخلف عليكم، وإذا أنفقتموها لوجه الخلق عسَّر عليكم، أنفقوا ولا تبخلوا، فإن الكرم مِن عند الله عزَّ وجلَّ، والبُخل من عند الشيطان.

(1) رواية شخصية عن طفولة سيدنا عبدالقادر الكيلاني (ﷺ) بلسانه ومن على مجلس الوعظ. لها أهمية في تدوين سيرته وترجمته.

قال الله عزَّ وجلَّ ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ سورة البقرة، الآية 268.

والله قد وعدكم بالخلف في مقابل الإنفاق فقال تعالى ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾ سورة سبأ، الآية 39.

ويلك تدعي الإسلام وتخالف الرسول (ﷺ)، وتُحدِث في دينه ما تريد بهواك.

كذبت في إسلامك ما أنت مُتبع، بل أنت مُبتدع، ما أنت موافق، بل أنت مخالف، أما سمعت كيف قال النبي (ﷺ): اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم. وقوله (ﷺ): تركتكم على بيضاء نقية.

ترد عليه وتخالف قوله (ﷺ) وتدّعي أنك مُتبع لهُ (ﷺ)، لا كرامة لك، إني أقول لك الحق، فإن شئت أن تجيء وإن شئت لا تجيء، إن شئت أن تمدح وإن شئت أن تذم.

قال عزّ من قائل: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ سورة الكهف، الآية 29.

ما يهرب من حدِّ كلامي[1] إلا منافق دجال نصاب مدَّع، راكب هواه موافق لنفسه مخالف لكتاب الله عزَّ وجلَّ وسنَّة رسول الله (ﷺ)، مُبغض للحق محب للباطل، لا خطوات لقلبه بقرب مولاه عزَّ وجلَّ.

---

(1) في مجالس الوعظ هذه، تتخللها جمل وعبارات فيها حدة وخشونة، الغاية منها التنبيه والتخويف وإيقاظ الهمم. وأن لا يكون الوعظ وكسب الناس على حساب الحق ومواجهة الحقائق كما هي. مع ملاحظة أن هذه المجالس ألقيت في عام 546هـ ببغداد، في العهد العباسي المتأخر، والذي أصاب الدولة ما أصابها من ضعف، والمجتمع من تفكك وهذه المجالس كان لها الأثر البالغ في إحداث صحوة إسلامية شهدتها بغداد على يد الإمام عبدالقادر الكيلاني (ﷺ) وفي تعبئة الناس وحشدهم حول قيم ومبادئ الإسلام. هذه الظروف الموضوعية والذاتية كفيلة بتفسير هذه الحدة والخشونة.

مجلس «القوم»[1]

(اسمع وانظر بقلبك من غير تهمة)

الصوفية، الأسرار، الشاهدان العدلان، السلفيون.

يا غلام: اسمع وانظر بقلبك من غير تهمة، ثم انظر ماذا ترى من العجائب، أزلْ التهمة للقوم وصدقهم، وأمن عليهم، وآمن فيهم، بلا لم. وكيف؟ وقد استصحبوك معهم ورضوا بك لخدمتهم، تنزل عليهم النعم والمنن، تنزل من السماء على قلوب الصديقين موارد الأسرار، تنزل على أسرارهم في الليل والنهار. إن أردت أن يرضوا بك لخدمتهم فطهر ظاهرك وباطنك. قف بين أيديهم وطهر قلبك من البدعة، فإن القوم اعتقادهم اعتقاد النبيين والمرسلين والصديقين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

هم سلفيون[2] مذهبهم مذهب العجائز، ما يدّعون فساداً، ولهم شاهدان عدلان مقطوع من التهمة، كتاب الله عزَّ وجلَّ وسنَّة نبيه (ﷺ).

---

(1) القوم: كلمة ليست مطلقة في دلالتها، بل ترد دائماً في هذه المجالس للدلالة على أهل السلوك وهم الصوفية.

(2) سلف: لها معنى ما تقدمك من آبائك، ومعنى كل عمل صالح. وذكر (صاحب الكليات) أبو البقاء (ت 1094هـ) والسَّلف من أبي حنيفة إلى محمد بن الحسن، والخلف من محمد بن الحسن إلى شمس الأئمة الحلواني. والمتأخرون: من شمس الأئمة إلى حافظ الملة والدين البخاري.

نقول: أبو حنيفة النعمان يعتبر من أجلاء التابعين. أما كلمة سَلف الواردة في هذا المجلس فإن لكل معتقد ومذهب سلف. وجرى توضيح ذلك في المجلس فسلف الأديان الأنبياء والمرسلون وسلف المسلمين، أتباع النبي (ﷺ) وصحابته الكرام والتابعون (رضي الله عنهم أجمعين) باتباع لا بابتداع، بالتشبه بهم وبأخلاقهم وإيمانهم وأخذ الرواية والدراية عنهم. وهذا الاتباع محكوم من خلال (شاهدان عدلان.. كتاب الله.. وسنَّة نبيه). ولا خروج عنهما. ومع تقادم السنين حملت هذه الكلمة ودلالتها ما لا تحتمل من دلالات عقائدية وأخرى سياسية بشكل متعمد وغير متعمد، لذا فإن هذا المصطلح يؤخذ ضمن نطاق ظرفها وزمانها الذي قيلت فيه.

مجلس «الأضداد»

(كل من مات قامت قيامته) (المصالح في طي المكاره)

عين القلب، عين السر، العارف. السائل، الآفات. البلاء، الصبر مع الرب.

يا قوم: لا تظلموا أنفسكم ولا تظلموا غيركم، الظلم يخرب الديار ويقطع الأصول، ويسود القلوب والوجوه، ويضيّق الأرزاق. لا تظلموا.. فلنا.. قيام الأبدان.. نقوم كل آتٍ قريب.. لنا خالق الأبدان يوقفنا بين يديه ويحاسبنا ويناقشنا ويسألنا عن القليل والكثير، ويطالبنا بالذرات.

إني ناصح لكم.. لا أريد منكم عن نصحي أجرة، لا تقربوا الربا، فتحاربوا ربكم، وترتفع البركة من أموالكم، أقرضوا الدنيا بالدينار، ومن قدر منكم أن يقرض الفقير، بعد وقت يحللك الله يُفرحك مرتين، مرة بالقرض ومرة بالاستحلال. افعلوا ذلك اتكاءً على ربكم عزَّ وجلَّ وثقة به، إنه يخلف ويثيب ويبارك.

اجتهدوا أنكم لا تردون سائلاً، أعطوه أي شيء، القليل خير من الحرمان، وإن لم يحضركم شيء فلا تنهروه وردوه بلين حديث، لا تكسره من كل وجه، الدنيا متغيّرة تتغير باختلاف الليل والنهار.

كل من مات فقد قامت قيامته، وعرف ما له وما عليه، كل شيء له آخر، العافية والبلية، الخير والشر، الغنا والفقر، الحياة والموت، العز والذل، هذه الأشياء كلها أضداد، يأتي أحدها ويذهب ضده، وفي آخر الأمر الموت.

المؤمن العارف إذا أغمض عيني رأسه انفتحت عينا قلبه، فيرى الخلق على ما هم عليه، وإذا أُغمضت عينا قلبه انفتحت عينا سره، فيرى الحق عزَّ وجلَّ وتصاريفه في الخلق. وإذا أُحضر الخالق ذهب الخلق، وإذا أحضرت الآخرة ذهبت الدنيا، وإذا أُحضر الصدق ذهب الكذب، وإذا أُحضر الإخلاص ذهب الشرك، وإذا أُحضر الإيمان ذهب النفاق، كل شيء له ضد[1].

---

(1) هنا إشارة إلى العارف بالله وبأي الوسائل يرى:

=

العاقل ينظر إلى العواقب لا ينظر إلى ظواهر الدنيا وزينتها، فإنها عن قريب منتقلة زائلة، تزولون ثم تزول بعدكم، لا تهربوا من صحبة ربكم عزَّ وجلَّ لأجل الآفات التي ترد عليكم منه، هو أعلم بمصالحكم منكم، المصالح في طي المكاره، كونوا عقلاء وتأدبوا، البلاء يأتي إلى قلوب الصديقين، فتُسلم عليها وتشفع لها، ويقف، المُمكن من الله عزَّ وجلَّ يضمها إلى صدره ويقبّل بين عينيها ويزفها بالصبر والموافقة والرضى، فتبقى عنده مدة ثم تُؤخذ من عنده، فيقال لها كيف رأيت المكان والضيافة، فتقول نِعم المكان ونعم المضيّف ونعم الهدية، نعم المهدي، قيل لبعض هؤلاء السادة رحمة الله عليهم، وكان قد ابتلي ببلاء، كيف أَنت في هذا البلاء؟ فقال: سلوا البلاء عني.

اصبروا مع ربكم عزَّ وجلَّ فإنه يُزيل بلاءكم ويرفع درجاتكم، عنده خبراء لصبركم، كونوا معه على أنفسكم، كونوا مع الصادقين فيه العاملين معه وبه وله..

اللهم سَّخر لنا ويسر لنا وافتح لنا وسهل لنا... آمين.

=

الأولى: عين الرأس يرى بها الدنيا.

الثانية: عين القلب يرى بها حقيقة الخلق.

الثالثة: عين السّر يرى بها الحق وتصريفه.

وهذه الثلاثة ضدها اثنان وتنتهي إلى الواحد الأحد وهو الأساس في المعرفة عند العارف:

الأولى حضور الآخرة يُغيب الدنيا.

الثانية: حضور الحق يُغيب الخلق.

وآخر حضور للعارف هو الحق عزَّ وجل ليُغيب الدنيا والآخرة ولا يبقى سواه.

مجلس (الإيمان)

(أستحوا من نظرة، وانظروا بعين الإيمان)

علم الله، يوم القيامة، البلاء، نظر التمييز ونظر العلم،

الإيمان الذي يزلزله المرض والفقر والجوع وكثرة الأعراض ليس بإيمان، إنما يتبين جوهر الإيمان وصحته ويظهر نوره عند البلاء، كما تظهر الشجاعة عند مجيء عسكر البلاء. ربكم عزَّ وجلَّ بما تعملون خبير.

يا ملوك يا مماليك... يا خواص يا عوام... يا أغنياء يا فقراء... يا أهل الخلوات... ما لأحد عنه حجاب، وهو تعالى معكم أينما كنتم.

اللهم استرنا واغفر لنا... وعفوا ولطفاً... وحلماً وتجاوزاً... وعناية وكفاية.... وعافية ومعافاة... آمين.

كل ما أنتم فيه من... الخير والشر... والصدق والكذب... والإخلاص والشرك... والطاعة والمعصية... هو تعالى به عليم خبير رقيب حاضر شاهد. استحوا من نظره... وانظروا بعين الإيمان، وقد رأيتم نظره تعالى من جهاتكم الست، أليس يكفيكم هذا الوعظ؟ لو اتعظتم وسمعتم بآذان قلوبكم، أما يكفيكم هذا، في الخوف من ربكم عزَّ وجلَّ في خلواتكم وجلواتكم، راقبوه تعالى وانظروا إلى نظره عليكم، وما عليكم من الملائكة الكرام الكاتبين، خافوا منها ولا تخافوا حدود شرعه الذي يقيمها عليكم سلطانكم وأميركم، لو خفتم لما تعب المتولي عليكم معكم.

يا فقير يا جائع يا عريان يا محتاج: تستغيث بغيره، سكوتك أحب إليك وأنفع لك، علمه تعالى بحالك يغنيك عن سؤالك، إنما ابتلاك لترجع إليه فارجع بقلبك إليه واثبت، وقد رأيت الخير، لا تستعجله ولا تستبخله ولا تتهمه تعالى، جَوَّعَك تعالى وعراك وأحوجَك، لينظر نظر تمييز لا نظر علم، هل تلازم بابه أو باب غيره، ترضى عنه أو تسخط عليه، تشكر إليه أو تشكو منه، تصرخ عليه أو تتضرع إليه.

يبتليكم ﴿ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ سورة يونس، الآية 14.

يا جهال تركتم باب الغنيّ تعالى ولزمتم باب الفقير، تركتم باب الكريم ولزمتم باب اللئيم، عن قريب يجمعكم بين يديه ويوقفكم، يوم يجمعكم ليوم الجمع، يجمعكم على اختلاف أجناسكم من سائر الخلق.

قال عزَّ من قائل: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ ﴾ سورة المرسلات، الآيتان 38 - 39.

يوم القيامة يجمع الله عزَّ وجلَّ الخلائق على غير هذه الأرض، لم يصب عليها دم بريء، ولم يعمل عليها خطيئة، هذا شيء لا ريب فيه لا شك فيه.

قال الله عزَّ وجلَّ ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا ﴾ سورة الحج، الآية 7.

إن الله يبعث من في القبور يوم القيامة، يوم التغابن، يوم الحسرة، يوم الندامة، يوم التذكرة، يوم الموافقة، يوم الشهادة، يوم القصاص، يوم الفرح، يوم الحزن، يوم الخوف، يوم الأمن، يوم النعيم، يوم العذاب، يوم الراحة، يوم التعب، يوم العطش، يوم الري، يوم الكسوة، يوم العري، يوم الربح، يوم الخسران.

يوم يخرج المؤمنون بمنة الله عزَّ وجلَّ.

اللهم إنا نعوذ بك من شر ذلك اليوم ونسألك خيره... وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

مجلس «الدنيا»

(الزهاد عرفوا الدنيا وما تركوها إلا عن معرفة وخُبْرٍ)

(العالم يقف مع العبادة، والجاهل يقف مع العادة)

العبادة، العادة، الفقر، ترك الدنيا، الأقسام،

العبادة بترك العادة، هي ناسخة لها. الشرع ينسخ العادة ويزيلها، تمسكوا بشرع ربكم عزَّ وجلَّ، واتركوا عاداتكم. العالم يقف مع العبادة، والجاهل يقف مع العادة. عوّدوا أنفسكم وأولادكم وأهاليكم فعل الخير والدوام عليه، عوِّدوا أيديكم البذل للدنيا، وعِّدوا قلوبكم الزهد فيها. لا تبخلوا بها على الفقراء، لا تردوا السؤال لكم فيرد الحق عزَّ وجلَّ لكم.

كيف لا يرد سؤالكم وقد رددتم هديته، قال رسول الله (ﷺ): هدية الله عزَّ وجلَّ إلى عبده، السائل على بابه.

ويحكم، أما تستحي تقطع بفقر جارك وجوعه، ثم تحرمه عطاءك بظن باطل، تقول معه ذهب مخبأ وهو يظهر الفقر، تدّعي الإيمان وتنام وجارك جائع، وعندك ما يفضل عندك ولا تعطيه. عن قريب يؤخذ مالك من يدك ويرفع ما بيدك من بين يديك، وتذل وتفقر قهراً وجبراً، وتفارقك دنياك التي هي محبوبتك.

اتركوا الدنيا اختياراً لا اضطراراً... انظروا إلى أقسامكم ولا تنظروا إلى أقسام غيركم.. اقنعوا بما يسدَّ الرمق ويغطي العورة، فإن كان لكم شيء آخر فهو يجيء في وقته، هذا فعل الأذكياء المجربين... استريحوا من ثقل الطمع والذل، الزهاد عرفوا الدنيا، ما تركوها إلا عن معرفة وخُبْر... عَرفوا أنها تقبل ثم تدبر، تعطي ثم تأخذ، تولي ثم تعزل، تحب ثم تبغض، تُسمن ثم تأكل، ترفع من الرؤوس ثم تنكس.

تخلوا عنها بقلوبكم ومعانيكم، لا تشربوا من ثديها، لا تناموا في حجرها، لا ترغبوا فيها لأجل زينتها ولين جلدها وثيابها وطيب كلامها وحلاوة طعمها. طعامها مسموم هي قتالة سحارة مكارة غدارة. ما هي دار البقاء والكرامة! انظروا في أحوال

من تقدم معها، وفعلها بهم. لا تقتلوا أنفسكم في طلب الزيادة فيها، فإنها ما تعطيكم زيادة على مالكم من عندها، دع طلب الزيادة والنقصان، واسكن وتأدب واقنع، قل صدق الله في قوله ووعده وصدق رسوله (ﷺ) في قوله: فرغ ربكم من الخلق والرزق والأجل، جف القلم بما كان وبما هو كائن إلى يوم القيامة، وقوله (ﷺ): لما خلق الله القلم قال له اجر قال بم أجري قال تعالى اجر بحكمي في خلقي إلى يوم القيامة.

مجلس «دعاء الكيلاني»

(ياعبد النفس والطبع والهوى قد خرجت من نسب أبيك آدم)

الموت، الصالحون، الحضور، دعاء، المجاهدة، تل السلامة.

يا غلام: لو ذكرت الموت، لما كان لنفسك معك كلام، لما خالفتك في طاعة مولاك عزَّ وجلَّ، لكنك قد جعلتها أميرتك وركبتك، ما تحب أن تؤلمها بذكر الموت، وهي تقودك إلى النار وما عندك خبر، يا عبد النفس والطبع والهوى، قد خرجت عن نسب أبيك آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام والاتصال به، لو رأيت نفسك كما يرى الصالحون نفوسهم لهربت منها.

ويحك انتبه، قد حملت راحلتها وأثقالها عليك هي ركبتك، وأنت تحملها من موضع إلى موضع. أولياء الله عزَّ وجلَّ عكسوا الأمر، جعلوا أنفسهم رواحلهم وحملوها أثقال المجاهدة وتكاليف العبادة، وقعدوا على تل السلامة منها.

لا جرم جاءت الدنيا والآخرة إلى خدمتهم ووقفتا بين أيديهم، يأمرونهما وينهونهما، يستوفون أقسامهم هذه عاجلاً ويستوفون أقسامهم من الأخرى آجلاً.

يا سامعين لهذا الكلام، هو حجة عليكم يوم القيامة إذا لم تعملوا به، وحجة لكم إن عملتم به، يقال لكم لو سمعتم وعملتم، ما أكثر حضوركم لمجلس الهوى والمعصية والمعارضة والمغالطة فحضوركم باطل بلا حق، عقاب بلا ثواب، سوء بلا خير. توبوا من حضوركم على هذه الصفة، احضروا بنية الانتفاع وقد انتفعتم. إني أرجو من الله عزَّ وجلَّ أن ينفعكم بي ويُصلح قلوبكم ونياتكم ومقاصدكم، ما أيئس منكم، امتثالاً لقوله تعالى ﴿ لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾ سورة الطلاق، الآية 1. سوف تنتهون ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾ ﴾ سورة ص، الآية 88.

اللهم ارزقنا يقظة المستيقظين وعاملنا بما عاملتهم به وأدخلنا في أحوالهم مع العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.. اللهم ارزقنا خير هذا

اليوم وخير كل يوم، وارزقنا خير من حضر وخير من غاب، واصرف عنا شر من حضر وشر من غاب، ارزقنا خير السلاطين الذين مكنتهم من أرضك واكفنا شرهم، واكفنا شر الأشرار وكيد الفجار وشر كل عبادك وبلادك وشر كل دابة أنت آخذ بناصيتها على صراط مستقيم، هب العصاة للطائعين والجهال للعارفين والغائبين عنك للحاضرين عندك، والباطلين للعاملين والضالين للمهتدين.... آمين.

مجلس «الحق غيور»[1]

(الحق عز وجل لا يقبل شريكاً ولا سيما في القلب الذي هو بيته)

الأضداد، الحسن والحسين(رضي الله عنهما)، عائشة (رضي الله عنها)، يوسف(عليه السلام)، محبوبي الحق.

أَخرجوا من قلوبكم الأضداد والأنداد والشركاء، فإن الحق عزَّ وجلَّ لا يقبل شريكاً ولا سيما في القلب، الذي هو بيته.

كان الحسن والحسين صلوات الله على نبينا وعليهما أجمعين، يلعبان بين يدي رسول الله (ﷺ)، وهما صغيران وهو فرح بهما مقبل عليهما بكليته، فجاء جبرئيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فقال له: هذا، يُسَم وهذا يُقتل. وإنما قال له ذلك حتى يخرجهما من قلبه ويرجع فرحه بهما غماً عليهما، هكذا كان رسول الله (ﷺ) يحب عائشة (رضي الله عنها)، فجرت عليها تلك القصة المشهورة المعروفة فتنحت عن قلبه مع علمه ويقينه ببراءتها وبراءة ساحتها، لأنه (ﷺ) علِمَ مقصود الحق عزَّ وجلَّ في ذلك، ويعقوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام، لما أحب يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وجرى معه ما جرى وفرق بينهما، ومن هذا الجنس كثير، ما جرى على الأنبياء والأولياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، محبوبي الحق عزَّ وجلَّ لأنه غيور يفرغ قلوبهم مما سواه.

---

(1) الحق غيور: من الغيرة: كراهة مشاركة الغير، غيرة الحق لها شقان: الأول أن لا يرضى بمشاركة الغير. والثاني: عدم الاشتغال بغير ذكره.

قال الرسول (ﷺ): ما أحد أغير من الله تعالى، ومن غيرته حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

وذكر القشيري في رسالته: فالله سبحانه وتعالى غيور. لا يحب أن يرى في قلب عبده سواه.

قال النصرأبادي: الحق تعالى غيور ومن غيرته أن لايجعل إليه طريقاً سواه. ومن آيات غيرة الله، ما حصل مع سيدنا إبراهيم مع اسماعيل عليهما السلام أمره بذبحه حتى يخرج من قلبه.

مجلس «الدهرية»

(قصر الأمل لا تقدرون عليه إلا بذكر الموت)

الإخلاص، قصر الأمل، الموت، البعث والنشور

عليكم بالإخلاص، صلوا لله لا لخلقه، صوموا لله لا لخلقه، عيشوا لله في الدنيا لا لخلقه ولا لنفوسكم، كونوا في جميع الطاعات لله لا لخلقه.

ما تقدرون على الأعمال الصالحة والإخلاص فيها إلا بقصر الأمل، وقصر الأمل لا تقدرون عليه إلا بذكر الموت، وذكر الموت لا تقدرون عليه إلا برؤية القبور الدارسة والتفكر في أهلها، وما كانوا فيه. اقعدوا عند القبور الدوارس وقولوا لأنفسكم هؤلاء كانوا يأكلون ويشربون وينكحون ويلبسون ويجمعون. كيف كان حالهم، والآن أي شيء ينفعهم، ذلك ما يبقى بأيديهم، غير الأعمال الصالحة.

فيكم يا أهل هذه البلدة من لا يقول بالبعث والنشور، متبعون لمذهب الدهرية[1] وهم يسترون على أنفسهم، خوف القتل، إني أعرف منهم جماعة، غير أني أعاينكم بحكم الله عزَّ وجلَّ، وأستر عليكم لوجه علم الله عزَّ وجلَّ، أعاينكم واحداً واحداً، وأغطي عيني عنكم..

اللهم ستراً وعفواً، وهداية وكفاية وعناية... آمين

---

(1) مذهب الدهرية: جاء ذكرهم في القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ﴾ سورة الجاثية، الآية 24. وهؤلاء القوم لا يؤمنون بالبعث والنشور، ويعتقدون أن الزمن (الدهر) هو من يهلكهم.

مجلس «وداع الخلق»

(الذين ودعوا الخلق طهروا قلوبهم)
التفويض، التمكين، التكوين، خلع الكرامة، ما وراء المعقول.

ويلك لا تكن أبله وتنازع الله عزَّ وجلّ، وتناظره بحماقتك وجهلك، فتخاطر برأس ظاهرك ودينك. تأدب واعرف من أنت واعرف قدرك، وذل في نفسك، أنت عبد والعبد وما يملكه لمولاه، ويجب عليه أن يترك إرادته لإرادة سيده، واختياره لاختيار سيده، وقوله لقول سيده، أنت تتواقح على الله عزَّ وجلَّ لأجل نفسك، والقوم يتواقحون على ربهم لأجل الخلق، يسألونه فيهم ويلحون عليه لأجلهم.

الذين ودعوا الخلق طهروا قلوبهم من الخلق، لا يبقى في قلوبهم ذرة من الخلق، هم قيام معه وله، هم في بسط كلي بلا قبض، عِزٍّ كُلّيٍّ بلا ذل، عطاءٍ كُلي بلا حرمان، إجابة كلية بلا منع، قبول كلي بلا رد، مزح كلي بلا تَرَح، قدرة بلا عجز، قوة بلا ضعف، نعمة بلا نقمة.

قد أُلبسوا خِلَعَ الكرامة، وسَلم إلى أيدي قلوبهم التوقيع بالتفويض والتمكين والتكوين. صار التكوين في أيديهم كنزاً لا ينفد، ومعيناً لا ينضب، كلما خافوا زادهم أمناً، كلما تأخروا قدمهم، لهم قول مسموع وشفاعة مقبولة، فوَّض إليهم ملك الدنيا والآخرة من وراء معقول الخلق، يُدعون في الملكوت عظماء.

عن النبي (ﷺ) أنه قال: من تعلم علماً وعمل به وعلَّم دُعي في ملكوت السماء عظيماً. تفكروا فيما أنتم فيه وعليه، فإن رأيتم أنه موافق لرضى الله عزَّ وجلَّ فالزموه، فإن رأيتم أنه مخالف لرضاه فاتركوه.

تورعوا في مأكولكم ومشروبكم ومنكوحكم ومسكونكم وكلامكم وسكوتكم وحركتكم وسكونكم.

مجلس «المُوحِّد»

(البينة هي التوحيد والإخلاص مع أحكام الحق)
(الموحد ما عنده خبر من السلطان ولا من الشيطان).

الكتمان، التوحيد، دعاوى التوحيد، تصاريف الحق.
نطق الجوارح، الفناء

يا غلام: اكتم ما عندك، فإن أخبرت به غيرك كنت محمولاً فيه، وإن أخبرت به نفسك عوقبت. فالأدب أن يكون المخبر غيرك لا أنت، من الصالحين من يكون قاعداً في موضعه في ساحله مُراقباً برأسه وفي سره مُستأنساً به عزَّ وجلَّ وبذكره، يمر به مؤمن من صالحي الإنس والجن والملك، فيقول له هناك الله عزَّ وجلَّ.. أُنسك به ونعمك بذكره، يا متأثراً يا متقياً يا مخلصاً يا مميزاً يا منعماً عليه، وهو لا يرفع رأسه إليه، ولا يغتر بما سمع منه بقلبه، يسومون ويشترون يسمع ذلك مرة بعد مرة، وكأنه ما سمع هذا، وأمثاله إذا رجع أحدهم إلى الخلق كان طبيباً لهم في مارستان الدنيا، تكون أدويته نافعة عاملة، وكحله يقطع سيلان عيون القلوب ويزيل أمراضها، هو معافى يعافي به، حي فيحيي به، نور يستضاء به، طعام فيشبع به، شراب فيروي به، شافع فتقبل شفاعته، قائل فيقبل قوله، آمر فيمتثل أمره، ناه فيقبل نهيه.

القوم يكتمون ما في قلوبهم، يكتمون معارفهم وعلومهم، أبواب قلوبهم مفتوحة إلى دار قرب ربهم عزَّ وجلَّ، في ليلهم ونهارهم، عندهم دار ضيافة القلوب، ما تزال قلوبهم وأسرارهم في سماء موارد الحق عزَّ وجلَّ ليلاً ونهاراً، قلب ابن آدم إذا صحَّ فهو الصحيح، يعلو على الكل، يتجوهر ويصفو ويعلو الجميع، تُجمع الخيرات فيه، يصير كعصا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام التي جمع له فيها الخيرات. قيل إن جبريل على نبينا وعليه الصلاة والسلام أخذها من غرس الجنة وسلمها إلى موسى عليه السلام، حين هرب من فرعون، وقيل إن يعقوب

على نبينا وعليه الصلاة والسلام سلمها إلى من انتقلت إليه معجزة للخلق وتقوية لنبوته كان موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام إذا تعب حملته كالدابة له ولما معه. وصارت له جسراً ليعبر عليها، وإذا جاء عدو قاتلت عنه، كان يوماً يرعى الغنم في برية قفراء وحده بلا مؤنس غير ربه عزَّ وجلَّ فغلبه النوم فانتبه فرأى في رأس العصا أثر دم، ففتش حوله فرأى حية عظيمة مقتولة، فشكر الله تعالى على دفعها عنه، وكان على نبينا وعليه الصلاة والسلام إذا جاع صارت شجرة في الحال وأثمرت، يأكل على قدر كفايته، وإذا عطش صارت نهراً فيشرب منه على قدر كفايته، وكان إذا آذاه حر الشمس تركها إلى جنبه فظللته. هكذا العبد إذا صح قلبه وصلح لربه عزَّ وجلَّ، جعل فيه المنافع للخلق عامة وله خاصة. نفع خاص ونفع عام، ما ظهر للخلق وما بطن له، الجهر للخلق والسر له.

هذا الأمر أوله - لا إله إلا الله محمد رسول الله (ﷺ) وآخره استواء الحمد والذم والخير والشر والنفع والضر والقبول والرد، إقبال الخلق وإدبارهم. صحح الأول حتى يصح الثاني، إذا لم يثبت قدمك على الدرجة الاولى كيف ترقى إلى الثانية، الأعمال بخواتيمها، قولك لا إله إلا الله محمد رسول الله (ﷺ) دعوى، فأين البينة؟ وهي التوحيد والإخلاص مع إحكام الحق وإعطائه حقه، المُوَحد ما عنده خبر من السلطان ولا من الشيطان، هو مُعرض عنهما قائم بقلبه مع الرحمن، يرى تصاريف الحق عزَّ وجلَّ وأفعاله فيه وفي خلقه، مصراعا القضاء والقدر يراهما كيف يفتحان ويردان، يرى الخلق بعين العجز والضعف والمرض والفقر والذل والموت، لا صديق له ولا عدو، ولا من يدعو له ولا من يدعو عليه، إذا أنطقه ربه عزَّ وجلَّ بالدعاء على شخص دعا عليه، وإذا أنطقه بالدعاء لشخص دعا له، هو تحت الأمر والنهي، ألحق قلبه بالملائكة الذين قال الله عزَّ وجلَّ في حقهم ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ سورة التحريم، الآية 6.

ينطق كما تنطق الجوارح يوم القيامة، فإذا عاقبهم هو منهم، ﴿ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ

ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىۡءٍ﴾ سورة فصلت، الآية 21.

يصير هذا العبد الذي وصل هذا المقام فانياً عنه، موجوداً بربه عزَّ وجلّ. اللهم صحح دعوانا فيك، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.. آمين.

مجلس «ما تخلفه لأولادك»

(المنافق يُسلم أولاده إلى المال الذي خلفه لهم، والمؤمن يُسلم أولاده لربه عزّ وجلّ).
جمع المال، خلف الدنيا، عبدالدراهم،

عن النبي (ﷺ): ويلٌ لمن ترك عياله بخير وقدم على ربه بشر.

إني أرى أكثركم هكذا يجمعون الدراهم والدنانير بغير يد الورع، ويخلفونها لأهلهم وأولادهم، ويكون الحساب عليه والهنا لغيره، والحزن له والطرب لغيره.

يا مُخلفين الدنيا لغيرهم... لعيالهم... اسمعوا قول نبيكم عليه الصلاة والسلام: لا تخلفوا لهم الحرام، فتقدموا على الله عزَّ وجلَّ في صحبة الشر والعذاب والنكال المنافق يُسَلم أولاده إلى المال الذي خلفه لهم، والمؤمن يُسَلم أولاده لربه عزَّ وجلَّ. لو خلف لهم الدنيا وما فيها، ما سلمهم إلى ما خلف. قد جرب وعرف أن كثيراً من الناس سلّموا أولادهم إلى ما خلفوا من الأموال. فذلوا وافتقروا وكدوا من الناس وارتفعت البركة من الذي خلفه لهم. ذهبت البركة منه لكونه مجموعاً من غير يد الورع، ولكونهم اعتمدوا عليه وسلموا أولادهم إليه ونسوا ربهم عزَّ وجلَّ.

المنافق عبد الخلق، عبد الدراهم والدنيا، عبد الحول والقوة والأرباح، عبيد الأغنياء والسلاطين، أعداء من يدعوهم إلى ربهم عزَّ وجلَّ ويدلهم عليه، ويفتح لهم ما هم فيه.

المؤمنون قيام مع ربهم عزَّ وجلَّ في البأساء والضراء والشدة والرخاء والنعم والفقر والنقم، في العافية والمرض في الفقر والغناء في إقبال الخلق وإدبارهم، لا يفارقونه بقلوبهم ولا لحظة، مسلمين مستسلمين مستطرحين راضين موافقين وللمنازعة تاركين غائبين، لا يوافقهم إلا الأمر والنهي.

مجلس «الإفتـاء»

(استفت الكتاب والسنّة في جميع تصاريفك)

الباطن، القرب، الخوف، الغيرة،

يا غلام: استفت الكتاب والسنّة في جميع تصاريفك، إذا أشكل عليك أمر في دينك، فَقُل ما تقول يا كتاب ما تقولين يا سنّة، وما تقول يا رسول في هذا المشكل. ما تقول أنت يا شيخي الذي دللتني على الرسول (ﷺ)، وما تقول أنت يا رسول الله (ﷺ) الذي دللتني على المُرسل، إذا فعلت هذا تحل مشكلك وزالت ظلمتك، إذا أشكل عليك شيء فاسأل عنه ظاهراً أهل الحكم، وباطناً قلبك.

ولهذا قال النبي (ﷺ): استفت قلبك وأقبل على الناس وإن أفتاك المفتون.

انظر ماذا يقول لك باطنك مع كونك استفتيت المفتين، انظر ماذا عند قلبك، وماذا يتحرك فيه وإن أفتاك المفتون، استفت الحجاب والبوابين ثم ادخل على الملك، وانظر ماذا يقول، فإن وافق فمرحباً بالوفاق، وإن خالف فالزم قوله، دون قول غيره.

يا غلام: انعزل عن المُلك إن أردت دوام الصحبة مع مالك المُلك، المُلك حجاب عن المالك، النعمة حجاب عن المنعم، الوقوف مع البلاء حجاب عن المُبتلي، التعلق بالمخلوقات المكونات المصورات قيد للقلوب والأسرار والمعافى، من أراد الله عزَّ وجلَّ به خيراً كثيراً قيده وأقامه بين يديه على رجلي قلبه، وأنبت له جناحين يطير بهما في جو علمه، ثم يأوي إلى برزخ قربه، ومع ذلك يُلقي عليه الخوف وترك الأغراض والاغترار بما هو فيه، يخاف يد الغيرة أن تقص جناحه، وتحجبه عن معرفته بعدما عرف ما هناك، ما دام العبد في الدنيا لا بدّ له من الخوف وترك الاغترار ولو وصل إلى أي حالةٍ وصل، لأن الدنيا دار التغيير والتبديل، والآخرة دار الإقامة لا تغيير فيها ولا تبديل.

ويلك تدعي وصول قلبك، وهو مقيّد ومُثقَل مسجون خلف الأبواب

والأغلاق. تبهرج علي غيري، لا يصح لك شيء، إن كنت تجيء حتى تبهرج عليَّ فلا تجيءْ، لأنك تتعب ولا آخذ منك بهرجتك، وإن كنت تجيء حتى أسبُك لك ذهبك وأخرج منك الشبه والفضة والماس، أما علمت أن القوم صيارفة، ينقدون دنانير الدين ويميزون بين الجيد والرديء. وبين ما هو لله عزَّ وجلَّ والخلق، القوم سفراء أدلاء، أطباء جهابذة، عملاء وكلاء، واعون إلى دين ربهم عزَّ وجلَّ.

مجلس «حُب الله عزَّ وجلَّ»

(البلايا والآفات تظهر الإيمان والعلم والمعرفة)

المحب، الصادق، الكذاب، التكاليف، المخلصون،

يا قوم: أحبوا ربكم عزَّ وجلَّ، وحببوه إلى خلقه، دلوا عليه الخلق حتى يحبوه معكم. ذكروا الغافلين عنه، وذكروهم بنعمته عليهم حتى يحبوه.

أوصى الله عزَّ وجلَّ إلى داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: يا داود حببني إلى خلقي. وقد سبق عمله محبته لمن يريد، وقد سبق علمه من يحبه، ثم أمر داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام تحبيبه إلى خلقه حتى يظهر لك العلم القديم.

إذا كنت في بيت مظلم وعندك المقدحة والحراق، وقدحت أليس النار تظهر؟ فالنار التي كانت في المقدح قديمة، ولكن القدح أظهرها، هكذا تكاليف الخلق تظهر وتبين العلم القديم في الخلق. الأمر والنهي يبين العبد الطائع من العبد العاصي، جهد التكليف المستوفى للأمر والنهي، يعرف الغريم الموفي من الغريم السوء، أهل السوء كانوا في قديم الزمان قليلين، وهم اليوم أقل، وكان المخلصون في قديم الزمان قليلين وهم اليوم أقل من كل قليل. المؤمن يحب الله عزَّ وجلَّ وإن ابتلاه، وإن قلَّلَ طعامه وشرابه ولباسه وجاهه وعافيته وطرد الخلق له. لا يهرب من بابه بل يتوسد العتبة، لا يستوحش منه ولا يتعرض عليه إذا أعطى غيره وحرمه، إن أعطاه شكر، وإن منعه صبر، ليس مقصوده العطاء بل مقصوده رؤيته له وقربه منه ودخوله عليه.

يا كذابين، الصادق لا يرجع... الصادق له أمام بلا وراء، أصدق بلا كذب قولاً وعملاً ودعوى وبينة، ما يرجع عن محبوبه لسهام تأتيه، بل يتلقاها بصدره، حبك للشيء يعمي ويُصم، من علم ما يطلب هان عليه ما يبذل، المحب الصادق أبداً يقتحم الأخطار في طلب محبوبه، ولو كانت بين يديه نار غاص فيها، يهجم على ما لا يتجاسر عليه غيره، صدقه يحمله على ذلك، البلايا تظهر وتميز بين الصادق والكاذب، ما أحسن ما قال بعضهم شعر:

وفي حالةِ السخط لا في الرضى ... يتبين المُحب من المبغضِ

البلايا والآفات تظهر الإيمان والمعرفة والعلم، وتميز بين اللب والقشر، الموافق فيها لب والمنازع فيها قشر، الموافق لربه عزَّ وجلَّ يُقشر الخلق عن قلبه فيبقى لباً بلا قشر، من قوى توحيده وتوكله، ورأى بعين اليقين الحق، لا يرجع عن طريق الحق عزَّ وجلَّ، ولا يهرب عن بابه ولا يزال على قدم الصدق والاستقامة.

المحبون لربهم عزَّ وجلَّ يتمنون أنهم لا يرون الدنيا ولا الآخرة ولا الإنس ولا الجن ولا الملك، يتمنون أنهم لا يرون بعيونهم أحداً، ولا تراهم عيون أحد، كالمحب إذا ظفر بمحبوبه يحب أن لا تراه حيطان خلوته ولا باب بيته، يحب أن لا تراه الماشطة ولا الوالدة.

يحبونه دون غيره، يريدون وجهه دون الدنيا والآخرة دون العطاء والحمد والثناء، فهم نادر من كل نادر. أنتم تحبون أنفسكم وشهواتكم ولذاتكم ووجه مستحسناتكم. أنتم إذا لا تفلحون ولا ترون وجه قرب ربكم عزَّ وجلَّ، ما أكثر همكم بالأكل والشرب واللبس والنكاح، ما أكثر حديثكم في هذي حتى في وقت قلوبكم في مساجدكم، هي بيوت ذكركم الحق، المساجد تفرح بالذاكرين لله عزَّ وجلَّ، وتمقت الذاكرين لغيره.

مجلس «آحاد خلق الله»

(آحاد أفراد من خلقه خلقهم لمعنى آخر)

اليقين، تمني الموت، محبوبو الحق عزَّ وجلَّ، معرفة قدرك.

ما أكثر ما تخافون من الجوع والفقر، لو كان لكم يقين ما تفكرتم في مثل هذا، كونوا مع ربكم عزَّ وجلَّ موافقين لإرادته، إن جَوَّعكم فاصبروا بطيبة من قلوبكم، وإن أشبعكم فاشكروه، هو أعلم بمصالحكم، ما عنده بخل ولا قلة.

حُكيَ أن سبعين نبياً على نبينا وعليهم الصلاة والسلام مدفونون، بين الملتزم والمقام، قتلهم الجوع والقمل. أما كان في مملكته ما يشبعهم به؟ غير أنه اختار لهم ذلك، فعل بهم ذلك رفعة لهم، لا لهونٍ بهم، بل لهوان الدنيا عليهم. العبد إذا أراده دون غيره من المخلوقات، فيحسر بينه وبين إرادته، ويحجب بينه وبين الأشياء. لتذوب نفسه وتخمد نار طبعه وتستقل روحه المقام مع الدنيا وتشتاق إلى الآخرة التي فيها ربه عزَّ وجلَّ. فيتمنى الموت حتى يخلو بربه عزَّ وجلَّ، هذا هو الأغلب الأعم، وأما النادر فهم آحاد أفراد من خلقه خلقهم لمعنى آخر، خارج عن العد والعادة لأمر يعلمه، خلقهم لصحبته ونيابته وسفارته ودلالة لخلقه عليه. يُسَيرهم في المشرق والمغرب والبحر، يخاطبون الخلق بألسنتهم، جعلهم نوابه، فهم لا يتمنون الحياة ولا الموت، فهم فانون فيه عن إرادتهم... ماتت إرادتهم... واطمأنت نفوسهم.. وأنكرت أهويتهم.. وخمدت نيران طبائعهم.. وأنهزمت شياطينهم.. وذلت الدنيا لهم، ولم يبق لها عليهم سبيل، فهؤلاء أندر من كل نادر.. نزاع العشائر.. محبوبو الحق عزَّ وجلَّ ومواڈوه خلقه.

يا قوم إن لم تكونوا محبين فاخدموا المحبين، تقربوا من المحبين، أحبوا المحبين، أحسنوا الظن في المحبين. المحبة في أول الأمر اضطرار وفي الآخر اختيار، والمحبة تأتي اضطراراً واختياراً. اضطرار لآحاد وأفراد، ينظر الحق عزَّ وجلَّ إليهم فيحبهم، وينقلهم من شيء إلى شيء في لحظة واحدة، ومنهم يحبهم بعد سنين، ومنهم يحبهم في ساعة فيحبونه ضرورة بلا تأخير، تقدمة بلا تدرج، بلا ممر زمان واختيار لجمهور.

إن المحبين يختارون الله تعالى على خلقه، يَرَوْنَ النعم التي عندهم منه لا من غيره، يَرَوْنَ ألطافه وتربيته لهم وعطاءه لهم فيحبونه، ثم يختارونه على الدنيا والآخرة، يتركون الحرام والشبهه، ويتقللون من الحلال ويؤثرون بالموجود ويهجرون اللحاف والفراش والنوم والقرار، تتجافى جنوبهم عن المضاجع، لا ليلهم ليل ولا نهارهم نهار. يقولون ألا هنا كل شيء تركنا وراء ظهر قلوبنا وعجلنا إليك لترضى، يسيرون إليه بأقدام قلوبهم تارة، وتارة بأقدام أسرارهم، وتارة بأقدام إرادتهم، وتارة بأقدام همتهم، وتارة بأقدام صدقهم، وتارة بإقدام حبهم، وتارة باقدام شوقهم، وتارة بأقدام ذلهم وتواضعهم، وتارة بأقدام خوفهم، وتارة بأقدام رجائهم، كل ذلك حباً له، وشوقاً إلى لقائه.

يا سائل أنت من جملة من يحب الله عزَّ وجلَّ اضطراراً واختياراً، فإن كان لا ذا ولا ذا، فاسكت واشتغل بتصحيح إسلامك، يا سائلاً ليت يصح لك الإسلام والإيمان، ليتك خرجت من زمرة الكافرين والمنافقين اليوم أو غداً، ليتك قمت من مجالسة المشركين بالخلق والأسباب والمنازعين للحق عزَّ وجلَّ.

تُب ولا تتعرض لخزائن الملوك وأسرارهم.

كان الشيخ حماد رحمه الله تعالى[1] يقول: من لا يعرف قدره عَرفتهُ الأقدار قَدره. الاعتراف بقدرك أحسن من إنكارك لقدرك، لأن الجاهل جاهل بقدره وقدر غيره.

اللهم لا تجعلنا من المدعين الكذابين الجاهلين.... وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

---

(1) الشيخ حماد: هو الشيخ حماد بن مسلم الدباس البغدادي أحد شيوخ سيدنا عبدالقادرالكيلاني (ﷺ) في التصوف، وصف بأنه من أعظم مشايخ بغداد. وكانت له مدبسة لا يدخلها الذباب. وصفه الشيخ نجيب الدين السهروردي: كان الشيخ حماد بن مسلم الدباس من أجل من لقيت من مشايخ بغداد. وهو أول شيخ فتح الله عليَّ ببركته. من أقواله: أزل الهوى من القدر تعرف، وأزِلْ الهوى من الخلق والأمر تخلص. توفي سنة 525هـ ودفن بمقبرة الشونيزي ببغداد. انظر ترجمته في: بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، نور الدين على بن يوسف الشطنوفي، ص276، وجامع كرامات الاولياء. ليوسف النبهاني. ج2. ص6.

مجلس «الحزن»

(الحزن سجية القلوب، والخوف سجية النفوس)(الحزن غمامة ممطرة على قلوب الحكم والأسرار)(العقوبات للعوام والكفارات للمؤمنين والدرجات للصالحين)

التوحيد، المنكسرة قلوبهم، الأنس والوحشة، الصبر

ما أقل التوحيد فيكم، ما أقل الرضى عن الله تعالى فيكم، ما من دار إلا ما شاء الله إلا وفيها منازعة وسخط، ما أكثر شرككم بالأسباب والخلق، قد اتخذتم فلاناً وفلاناً أرباباً من دون الله عزَّ وجلَّ، تضيفون إليهم الضر والنفع والعطاء والمنع. لا تفعلوا ارجعوا إلى ربكم عزَّ وجلَّ. فرغوا قلوبكم له وتضرعوا إليه واسألوه حوائجكم إليه ارجعوا في مهماتكم إليه، ما لكم موضع آخر، ما لكم باب آخر، كل الأبواب مغلقة إلا بابه، اخلوا به في المواضع الخالية وحدثوه وخاطبوه، بألسنة إيمانكم. كل واحد منكم إذا نام أهله وسكتت أصوات الخلق، فليتطهر ويضع جبهته على التراب، ويتوب ويعتذر ويعترف بذنوبه ويتعرض لنواله، ويسأله الخير، ويشكو إليه من جميع ما يضيق به صدره، هو ربكم عزَّ وجلَّ لا غيره، إلهكم لا غيره، هو وليكم لا تهربوا منه لأجل سهام آفاته، كل من تقدمكم عاملهم بالسراء والبأساء والضراء والشدة والرخاء، ليعرفوه ويشكروه ويصبروا معه، وليتوبوا إليه، العقوبات للعوام والكفارات للمؤمنين المتقين والدرجات للصالحين الموقنين المريدين الصديقين.

قال النبي (ﷺ): نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل. المؤمن إذا ابتلي صبر وكتم بلاءه عن الخلق، ولم يشكو إليهم.

قال النبي (ﷺ): بِشْر المؤمن في وجهه وحزنه في قلبه، يلقى الناس بالبشر حتى لا يطَّلعوا على ما في قلبه.

يستردون كنوز بواطنهم، يسترون على سجية قلوبهم، الحزن سجية القلوب، والخوف سجية النفوس. الحزن غمامة ممطرة على قلوب الحكم والأسرار، لم لا

تصبرون على الحزن والانكسار. قال الله عزَ وجلَّ في بعض كلامه: أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي.

كلما انكسرت بالبعد جاء جابر القرب جبرها، وكلما استوحشت عن الخلق جاءه الأنس بالله عزَّ وجلَّ آنسها، كلما استوحشوا من الخلق استأنسوا بقرب الله عزَّ وجلّ، كلما دام حزنهم في الدنيا كثر دوام فرحهم في الآخرة.

كان النبي (ﷺ) طويل الحزن دائم التفكر كأنه مُصغٍ إلى مُحدث يحدثهُ ومنادٍ يناديه، وهكذا أوصياؤه وخلفاؤه ونوابه ووراثه في طول حزنهم ودوام تفكرهم، كيف لا يقتدون في أفعاله وهم قائمون مقامه، يطعمون طعامه، ويسقون شرابه، ويحملون على خيوله، ويقاتلون بسيوفه ورماحه.

مجلس «العصمة»

(ليس من شرط البدلية والولاية العصمة)[1]

البدلاء، الأولياء، الصوفية، الأنبياء والأولياء

القوم ورثوا أحوال الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، مقامهم لا أسماءهم وألقابهم، والخصائص التي كانت لهم وفضائلهم. الأولياء والأبدال معدودون لا يزيدون ولا ينقصون، منهم من يظهر أمره في أول عمره، ومنهم من يظهر أمره في آخر عمره، تنقلب به الأحوال وهو ولي الله عزَّ وجلَّ في علم الله عزَّ وجلَّ. وليس من شرط البدلية والولاية العصمة، ليس بعد الأنبياء عصمة، العصمة من جملة خصائصهم صلوات الله وسلامه عليهم.

يحكى عن النبي (ﷺ) أنه قال: إذا عصى ولي من أولياء الله عزَّ وجلَّ ضحكت الملائكة صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم، وقال بعضهم لبعض انظروا إلى

---

(1) البدلية: البدلاء، الولاية: الولي: قال تعالى (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) سورة يونس، الآية 62. قال الرسول (ﷺ): من عادى لي ولياً فقد آذنته بحرب. قال الهجويري في كشف المحجوب. ص446 (إن لله عزَّ وجلَّ أولياء قد خصهم بمحبته وولايته. وهم ولاة ملكه الذين اصطفاهم وجعلهم آية اظهار فعله) ثم ذكر أنواعهم مثل: الأخيار. الأبدال. الأبرار. الأوتاد... الخ

أما علاقة العصمة بالولي. وهل الولي معصوم؟ من حيث العصمة فإنها لطف من الله يعصم بها أنبياءه عن المعاصي والكذب. وهناك إجماع على أن النبي معصوم بعد البعثة وفيه تفاصيل كثيرة. أما عصمة الوليّ ففيه اختلاف: وذكر الإمام القشيري في رسالته: فهل يكون الولي معصوماً؟ قيل: إما وجوباً، كما يقال في الأنبياء، فلا (بمعنى لا عصمة للولي وجوباً)، وإما أن يكون محفوظاً حتى لا يُصرَّ على الذنوب إن حصلت هنات أو آفات أو زلات، فلا يمتنع ذلك في وصفهم. ولقد قيل للجنيد: العارف يزني يا أبا القاسم؟ فأطرق ملياً، ثم رفع رأسه وقال (وكان أمرُ اللهِ قدراً مقدُوراً) سورة الأحزاب، الآية 38.

وفي هذا المجلس: ينفي سيدنا عبدالقادر الكيلاني (ﷺ) أن تكون للولي عصمة، كعصمة الأنبياء وأن الولي يمكن أن يرتكب المعاصي، وقدم دليله على ذلك. (ليس بعد الأنبياء عصمة).

ولي الله كيف يعصي، وبعده لا يتعجبون من معصيته وكفره وبُعده ونفاقه، وهم يعلمون أنه بعد أيام يصير ولياً محبوباً مقرباً مكرماً شفيعاً دالاً وارثاً.

يا منافقاً ما لك ولسماع هذا الكلام، اخرج أنت عدو الله عزَّ وجلَّ وعدو رسوله وأنبيائه وأوليائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

لولا الحلم والحياء من الله عزَّ وجلَّ، لنزَلت وأخذت بعنقك وأخرجتك[1].

(1) كشف ومكاشفة.

مجلس «التكبر»

(التواضع من الرحمن والتكبر من الشيطان)
العمل، الإخلاص، الذل والعز، كتم الحال،

يا قوم اعملوا وأخلصوا، ولا تعجبوا أو لا تتمنوا على ربكم عزَّ وجلّ بأعمال وفقكم لعملها. المعجب جاهل والمتمني جاهل والمتكبر على الخلق جاهل. التواضع من الرحمن والتكبر من الشيطان. أول من تكبر إبليس، فلعن ومُقت وحُرم، ولو لم يكن الذل والتواضع درجة عالية لما وصف بها الذين يحبهم ويحبونه، قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ سورة المائدة، الآية 54.

المؤمنون يذلون للمؤمنين ويتعززون على الكافرين. ذلهم للمؤمنين وتعززهم على الكافرين عبادة. المؤمن لا يتكبر على الخلق بل يتذلل ويتواضع لهم، يكتم حاله بذلة وتواضع، وهو قريب من الملك في داره، فإذا خرج معه في زي الغلمان حتى لا يعلم أحد بقربه منه، فإذا خرج الوزير مع الملك وهما متخفيان، فعرف الوزير واحداً من أصدقائه فليس للوزير أن يتكبر عليه ويقول الملك معي، بل يبتسم في وجهه ويقضي شغله ويظهر أن الذي معه أحد غلمانه ويغطي عليه ويستره.

مجلس «العامي»

(العامي من لا يعمل بعلمه وإن كان حفظ كل العلوم)

الإيمان، البداية والنهاية، المنافق، عيسى ويحيى (عليهما السلام)، الإشارة. الدعوة.

يا غلام: ما تعرف أحوالهم ولا تؤمن بأقوالهم، وقوفك مع الخلق حجبك عنهم، حبك للجاه في الدنيا وطلب الرئاسة حجبك عنهم، لو كان لك صدق في طلبهم لرأيتهم وانتفعت بكلامهم.

ويحك لا تحضر هؤلاء العلماء الذين لا يعملون بعلمهم. لا ترَ الذين يشربون عندي فلا يعمل الشراب فيك. العامي من لا يعمل بعلمه وإن كان قد حفظ كل العلوم، كل من لم يعرف الله عزَّ وجلَّ فهو عامي، كل من لا يخاف الله عزَّ وجلَّ ولا يرجوه فهو عامي، كل من لا يتقيه في خلوته وجلوته فهو عامي.

أحوالكم عندي بينة كهذه الشمس، أنتم صبيان لا تهتدون، تطلبون شهواتكم، أنتم عبيد الخلق، أنتم عبيد عطائهم ومنعهم عبيد حمدهم وذمهم، لا تدلسون عليَّ، فما بقى عندي شك، خارج الباب وداخل الباب عندي واحد، جميع ما في قلوبكم على وجوهكم أثره وعليه علامة.

سبحان من أوقفني بين أيديكم وابتلاني بالكلام عليكم، إني زاهد فيكم وفي نفسي وأقسامي، طوباي لا آكل ولا أشرب ولا ألبس ولا أنكح ولا أرى طوباي.

وقفت ناحية عنكم وأيقظت بالإشارة دون المقالة، إني أكره رؤية المنافقين والعاصين والمشركين، ولا بدّ لي منهم فهم مرضى.

المبتدئ في الإيمان لا يقدر أَن يرى أحداً من هؤلاء. كان بعضهم رحمة الله تعالى عليه، إذا رأى كافراً غضب ووقع على الأرض من شدة غضبه، كان يغمى عليه من شدة غيرته لله عزَّ وجلَّ وغضباً له. ويقول: كيف يكفر عبد من عبيده؟

لا شك أنه كان مبتدئاً لأن البداية ضعف والنهاية قوة، عن بعضهم أنه قال رحمة الله تعالى عليه: لا يضحك في وجه المنافق إلا العارف، كبرت عليه علته ودقت حيلته، يبتسم في وجهه.. أي عندي دواؤك.. تعال ليطيب الكلام، فيأخذه إليه ويشغله معه ويؤانسه حتى يأنس إليه، فإذا تمكن منه عالج مرضه، يعرض عليه

الإسلام والإيمان ويصف له حديثهما وصفتهما، يعرض عليه حديث ربه عزَّ وجلَّ ويضمن له الصلح معه، ويوماً بعد يوم يذوب كفره ونفاقه ومعصيته، يذوب مرض قلبه، وتصلح جراحة نفسه، ينصلح ظاهره وباطنه من غير خصومة ولا منازعة، من غير طعنة ولا ضربة.

كان عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا على نبينا وعليهما الصلاة والسلام، يسيحان في البرية، فإذا جنهما الليل، ذهب يحيى إلى قرية المؤمنين، وذهب عيسى إلى قرية الفساق لقوة حاله، حتى يعظهم ويحذرهم ويأخذ بأيديهم إلى باب ربهم عزَّ وجلَّ، أما يحيى فكان يريد أن يصلي ويصوم بين المؤمنين، وهذا كان يريد أن يدعو الناس إلى الحق عزَّ وجلَّ، العارف تذكاري وعبادته دعوة[1] الخلق إلى الله عزَّ وجلَّ، فهو لا يزال مع الله عزَّ وجلَّ على هذا.

ويلك أنت لا تعرف الإسلام.. كيف لك تصعد إلى هذا المقام، وكيف تعرف وتعلم الخلق، انزل وإلا أنزلتك على رأسك.

---

(1) مفهوم العامي كما حدده سيدنا عبدالقادر الكيلاني (ﷺ) هو:

أ. الذي لا يعمل بعلمه وإن كان قد حفظ كل العلوم.

ب. العامي الذي لم يعرف الله عزَّ وجلَّ.

ج. العامي الذي لا يخاف الله عزَّ وجلَّ.

د. العامي الذي لا يتقي الله عزَّ وجلَّ في خلواته وجلواته.

وكما ترى فإنه ليس تقسيماً اجتماعياً طبقياً. بل تقسيماً عرفانياً.

(2) العارف تذكاري: بمعنى يذكر الناس ويدعوهم إلى الله سبحانه وتعالى.

مجلس «الأدب والستر»

(دعوا الناس تحت ستر الله عزّ وجلّ).
(على قدر همّك تُعطى وعلى قدر همّك تُمنع)

الهّمة، الأولاد والأهل، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

الأديان مختلفة، والإيمان يفرق بين الحق والباطل، ويعزل كل منافق عن ولايته، ويحطه عن منبره ويخرسه من الكلام على الناس.

يا منافقين أما علمتم أن لي شحنة عامة وولاية على الدين.

يا جميع الخلق إني غني عنكم بالله عزَّ وجلَّ، الغنى بيدي، وإن كنت لا أملك ذرة من الدنيا، إن أعطاني أحد من الخلق شيئاً ومنَّ عليَّ، أخذت ذلك الشيء من يد الله عزّ وجلَّ، ورأيت هذا منه، وأشكر ربي عزَّ وجلَّ بعدما أمنني، فإذا أعطيت أحداً شيئاً فأرى توفيق الله عزَّ وجلَّ، كيف أجرى على يدي وعَطيتُهُ، فأرى أن الله عزَّ وجلَّ هو المعطي لا أنا.

على قدر همّك تُعطى وعلى قدر همِّك تُمنع[1].

ولهذا قال النبي (ﷺ): إن الله عزَّ وجلَّ يحب معالي الأمور ويكره سفسافها.

يا قوم: أولادكم وأهاليكم علموهم عبادة الله عزَّ وجلَّ، وحُسن الأدب معه، والرضى عنه، ولا تهتموا لأرزاقكم من حيث قلوبكم، بل اهتموا بها من حيث كسبكم وسعيكم، إني أرى الكثير منكم قد تركوا تأديب أولادهم واهتموا بأرزاقهم، اعكسوا تصيبوا.

عن النبي (ﷺ) أنه قال: كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته.

يسأل الأب عن أولاده وزوجته، يسأل كل سيد عن مملوكه، وكل مملوك عن

---

(1) الهم: دواعي الإنسان إلى الفعل من خير أو شر. قال صاحب الكليات: الدواعي على مراتب السانح ثم الخاطر ثم الفكر ثم الإرادة ثم الهم ثم العزم. فالهَمّ اجتماع النفس على الأمر والإزماع عليه.. فالهم فوق الإرادة دون العزم وأول العزيمة.

سيده، يسأل المعلم عن الصبيان، والرئيس عن أهل قريته، والملك عن أهل مملكته، ويسأل أمير المؤمنين الذي هو راعي الخلق كلهم عن رعيته، ما منكم إلا يسأل، كل واحد على حدة، اجتهدوا وأنكم لا تظلمون، اجتهدوا في أداء الحقوق إلى مستحقيها، تواسوا فيما بينكم، تراحموا فيما بينكم، لا يلعن بعضكم بعضاً، ولا يقهر بعضكم بعضا، تحاسنوا، تجاوزوا عن زلات بعضكم من بعض، دعوا الناس تحت ستر الله عزَّ وجلَّ، أأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، من غير تفتيش ولا تحسيس، وانكروا ما ظهر، وما عليكم مما بطن.

استروا وليستركم الله عزَّ وجلَّ. كان النبي (ﷺ) يحب الستر على الخلق ويكره تتبع العثرات، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: أدرؤوا الحدود بالشبهات. وقال لعلي ابن أبي طالب (ﷺ) وكرم الله وجهه: يا علي على مثل هذا اشهدوا، وأشار إلى الشمس.

مجلس «الإحسان»[1]

(الاعتماد على الأسباب ينقض الإيمان ويطفئ نور الإيقان ويحجب القلب عن ربه عزَّ وجلَّ)

القرب. الأقسام، الأسباب، التوبة، ذكر الموت، الإيمان والإيقان. الاعتراض.

يا غلام: الإحسان أن تعطي كل الحق وتأخذ بعض الحق، وإن قدرت فهب حقك كله وزد عليه شيئاً آخر، هذا يرجع إلى قوة إيمانك وإيقانك وثقتك بربك عزَّ وجلَّ، إذا وزنت فرجح يرجح الله ميزانك يوم القيامة بأوزان أرجح، يرجح لك.

عن النبي (ﷺ) أنه استقرض من رجل شيئاً من الدراهم فقال للوزان زن وأرجح. إذا استقرض أحدكم من إنسان شيئاً، فليعطه خيراً مما أخذ منه ويزِدْ عليه من غير مشارطة في الأول.

يا قوم: اشتروا من الله قُرب الله عزَّ جلَّ، اشتروا من الله لله، وأما الأقسام فإنها مؤرخة لا تزيد ولا تنقص، إن طلبتموها وإن لم تطلبوها، إن عبدتم ربكم أو عصيتموه، إن أحسنتم أو أسأتم، ما يتقدم مؤخرها ولا يتأخر مقدمها.

عليكم الخروج عن الخلق من حيث قلوبكم، والقيام مع الخالق على أقدام أسراركم، إن الله هو الرزاق وغيره المرزوق، هو الغني وغيره الفقير، هو القادر وغيره العاجز، هو المُحرك والمُسكن والمُسلط والمُسخر، وكل الخلق أسباب بين يديه، جعل لكل شيء سبباً، أنسوا الخلق ثم الأسباب والدنيا من حيث قلوبكم، احذروا أن ينظر إلى قلوبكم وفيها طلب غيره، وإرادة غيره، أسلموا واستسلموا، وجدوا توجدوا، وارضوا بالقضاء، وافنوا في المقضي، اسمعوا من ربكم عزَّ وجلَّ، وتطارشوا عن السماع من خلقه، تطارشوا عن الخلق وتعاموا عنهم، ساعة شجاعة

---

(1) الإحسان: في مقام المشاهدة وهو حق اليقين. بحسب تعريف الكمشخانوي في جامع الأصول وعند الشريف الجرجاني في تعريفاته: رؤية الحق موصوفاً بصفاته بعين صفته. فهو يراه يقيناً ولا يراه حقيقة. والإحسان في اللغة: فعل ما ينبغي أن يفعل من الخير والإحسان. وفي الشريعة: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

صبر ساعة، توبوا كلكم توبوا في هذه الساعة بكل قلوبكم، اذكروا الموت وما وراءه، كان النبي (ﷺ) يقول: أكثروا من ذكر هادم اللذات، فما ذكر في قليل إلا كثره ولا في كثير إلا قلله. ذكر الموت دواء لمرض النفوس، منفعة على القلوب، ونسيان الموت يقسي القلب ويكسله عن الطاعة والنظر إلى الخلق، وإضافة الضر والنفع إليهم يكفره ويسوده ويحجبه عن رؤية ربه عزَّ وجلَّ. الاعتماد على الأسباب ينقض الإيمان ويطفئ نور الإيقان ويحجب القلب عن ربه عزَّ وجلَّ. ويستدعي المقت منه ويسقطه من عينه، ويسد باب قربه.

واحسرتاه عليكم، كيف تموتون وأنتم على ما أنتم عليه، قلوبكم فارغة من الإيمان والإيقان والتوحيد والإخلاص والمعرفة بربكم عزَّ وجلَّ.

ويحكم ما أكثر وقاحتكم، قد جعلتم الاعتراض على ربكم عزَّ وجلَّ في ليلكم ونهاركم. المعترض لا يجد نسيم القرب، لا يقع بيده منه ذرة، اتركوا الاعتراض على ربكم عزَّ وجلَّ. يا فقراء القلوب، ما مُدْبِري الإيمان.

اللهم اجمع بيننا وبين من تحب، وفرق بيننا وبين من تكره.. اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

مجلس «الصديق والمنافق»

(اجعل صلاحك في قلبك لا في ثيابك)

المُصلح، القلب، الحال، الغيبة، الصوفية (القوم)، الرهبانية، المُوحد.

عن بعض المُصلحين أنه قال المنافق يبقى على حالة واحدة أربعين سنة، والصّديق يتغير في كل يوم أربعين مرة. المنافق قائم بنفسه وهواه وطبعه وشيطانه ودنياه، في خدمتهم لا يبرح ولا يخرج لهم عن رأي، ولا يخالفهم قولاً، كل همّه الأكل والشرب واللبس والنكاح وجمع المال، لا يُبالي من أي طريق حصل ذلك. يُعَمِّرُ جسده ودنياه ويُخرب قلبه ودينه، يرضي الخلق ويسخط الخالق. كلما دام نفاقه قسا قلبه واسودّ، فلا يتحرك ولا ينزعج لموعظة ولا يتعظ من عظة، ولا يتذكر من تذكرة. فلا جرم يبقى على حالة واحدة أربعين سنة.

والصّديق لا يبقى لأنه قائم مع مقلب القلوب، غائص في بحر قدرته، ترفعه موجة وتحطه أخرى، هو في تصاريف الحق عزَّ وجلَّ وتقاليبه، وكالميت بين يدي الغاسل، وكالكرة بين يدي الصولجان، الفرس قد سَلَّمَ ظاهره وباطنه إليه، ورضى بتدبيره وتوليته، ليس له هَمٌّ في أكله ونومه وشهوته، بل همّه في خدمته لربه عزَّ وجلَّ ورضاه عنه.

ولهذا قال بعض القوم، أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى، وكلامهم ضرورة. كيف لا يكونون كذلك وقد شاهدوا بقلوبهم ما لم يشاهده غيرهم، نسوا ما سوى ربهم عزَّ وجلَّ، غابوا عن الدنيا والآخرة وما سواه، خيموا على بابه توسدوا عتبة بابه بالموافقة، والتحفوا بالرضاء والغناء، يخدموا القضاء والقدر ويقبلان بين عيونهم ويحملانهم على رؤوسهم.

إن لم تكونوا من القوم فاخدموا القوم، اصحبوهم، جالسوهم، تقربوا إليهم، ابذلوا لهم أموالكم، اتبعوهم في أفعالهم لا في حكاية كلامهم والاستحسان له

والتعجب منه.

اجعل صلاحك في قلبك لا في ثيابك، البس ما يلبس العوام، واعمل غير ما يعملون، ما تعرف الرهبانية في الطعام واللباس والنكاح، قال الله تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ ﴾ سورة الحديد، الآية 27.

قال النبي (ﷺ): لا رهبانية في الإسلام.

الموحدون المخلصون صوامعهم قلوبهم، وخشونتهم على أنفسهم وأهويتهم وطبائعهم. فاكهتهم في خلوتهم مشاهدتهم الأنس بربهم عزَّ وجلَّ في المناجاة له الحق عزَّ وجلَّ.

مجلس «الموت الأحمر»

(ألا إني أدعوكم إلى الموت الأحمر)[1]

الدعوة، العبد الصادق، الصبر، القضاء، دعاء، النفس

إذ أخبركم بحال الصالحين على لساني، لتقتدوا بهم، وليخبر بعضكم بعضاً، فتتعظوا، أدعوكم لتتعظوا على لساني، فأجيبوا داعية يدعوكم إلى الصفاء، يدعوكم إلى الزهد في خلقه والرغبة فيه، يدعوكم إلى أن تكونوا ذاكرين له، حتى تصيروا مذكورين عنده. العبد الصادق في طلب مولاه عزَّ وجلَّ، لا يزال يذكره ظاهراً وباطناً، خلوة وجلوة، ليلاً ونهاراً، عند الشدة والرخاء، عند النعمة والنقمة، حتى يصير مذكوراً عنده، سمع ذكره له وفي قلبه، أنتم تنامون عن نعيم القوم.

يا غافلين عن النعيم، أنتم غافلون أنتم غائبون.. أنتم عاقلون في أمور الدنيا، جاهلون في أمور الآخرة، أنتم في الطين كلما تحركتم نزلتم، مدّوا أيديكم إلى الله عزَّ وجلَّ بصدق الالتجاء والتوبة والاعتذار، حتى يخلصكم مما أنتم فيه.. ألا إني أدعوكم إلى مخالفة نفوسكم وأهويتكم وطباعكم وشهواتكم، والصبر على كسر أغراضكم.

أجيبوا دعوتي وقد رأيتكم ذلك عاجلاً وآجلاً، ألا إني أدعوكم إلى الموت الأحمر.

بسم الله... من يهجم؟... من يتقدم... من يتجاسر؟... من يخاطر؟

هو موت ثم حياة الأبد، لا تهربو واصبروا وتصابروا، الشجاعة صبر ساعة، اصبروا على موافقة ربكم عزَّ وجلَّ.

من حمل منكم حمل الرضى بالقضاء حمل الله عزَّ وجلَّ عنه وكتبه في ديوان الشجعان، من خاطر بنفسه ملك يقين من علم ما يطلب، وهان عليه ما يبذل، اثبتوا

---

(1) تقسيمات الموت عند السادة الصوفية، الموت الأحمر: مخالفة النفس وشهواتها. الموت الأبيض: الجوع لأنه ينور القلب، الموت الأخضر: لبس الرقاع. الموت الأسود: تحمل أذى الخلق.

مكانكم ولا تستعجلوا.. تعالوا بأقدام الصدق حتى تدقوا باب الحق عزَّ وجلَّ، ولا تبرحوا حتى يفتح لكم الباب، وتخرج إليكم المواكب، تواقحوا في طلب حوائجكم منه فهو أحب إليَّ من تواقحكم على ملوككم وسلاطينكم وأغنيائكم، واقتدوا بمن قبلكم، طلبوا ربهم عزَّ وجلَّ وفنوا فيه.

اللهم ربنا وربهم وخالقنا وخالقهم ورازقنا ورازقهم، فعاملنا بما عاملتهم به، أخرجنا منا عنا إليك، آيسنا من الملوك والمماليك والسلاطين والمسلطين عليهم والأغنياء والفقراء والخواص والعوام، الغلاء والرخص والكثرة والقلة، ذكرنا ذكرك، الطف بنا في أفعالك، قربنا إلى قربك، وآنس قلوبنا بأنسك، واكفنا شر بلائك وعبادك وشر كل دابة أنت آخذ وقابض بناصيتها، اكفنا شر الأشرار وكيد الفجار، واجعلنا من المشيرين إليك المستدلين عليك الداعين إليك المتواضعين لك المتكبرين على المتكبرين.... آمين.

مجلس «لسان القلب»

(لو عرفت الله عزَّ وجلَّ لكثر خوفك منه وقلَّ كلامك)

الخلق، الجهل، لسان النفس، لسان القلب، معرفة الله.

يا غلام: جُزْ سوق الخلق جوازاً إذا دخل من باب اخرج من باب، اخرج عنهم بقلبك ونيتك، وكن كطير وحداني لا يأنس ولا يؤنس لا ترى ولا تُرى، كن كذلك إلى أن يبلغ الكتاب أجله، ويدنو قلبك من باب ربك عزَّ وجلَّ. فترى قلوب القوم منك يستقبلونك ويقولون لك تينك سلامتك، ويقبلون بين عينيك، ثم تخرج بيد اللطف من داخل الباب، فتستقبلك وتحملك حملاً، وتزفك زفاً، وتقبل عليك وتطعمك وتسقيك وتطيبك وتقعدك على الباب، متفرجاً منتظراً لمن يأتي من المريدين الطالبين، وتأخذ بيده وتسلمه.

فإذا صح لك هذا، فابرز إلى الخلق وكن بينهم كالطبيب بين المرضى، وكالعاقل بين المجانين، وكالأب الشفيق بين أولاده. قبل هذا لا كرامة لك، تكون منافقاً لهم عبداً لهم تابعاً لأغراضهم تظن أنك تداويهم وأنت مشرك بهم، تصير مداواتك لهم عقوبة لك لأنها بالجهل وعدم الصنعة.

ولهذا قال النبي (ﷺ) من عبَدَ الله بالجهل كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

يا غلام، تكلم فيما يعنيك ودع الكلام فيما لا يعنيك، لو عرفت الله عزَّ وجلَّ لكثر خوفك منه وقل كلامك بين يديه.

لهذا قال النبي (ﷺ) من عرف الله كلَّ لسانه.

يعني خرس، يخرس لسان نفسه وهواه وطبعه وعادته وكذبه وبهتانه وزوره، وينطق لسان باطنه ويتكلم لسان قلبه وسره ومعانيه وصدقه وصفائه، يخرس لسان باطله وينطق لسان حقه، يخرس لسان كلامه فيما لا يعنيه، وينطق كلامه فيما يعنيه، يخرس لسان طلبه لنفسه وينطق لسان طلبه للحق.

في بداية المعرفة ينقطع الكلام ويذوب وجوده في الجملة. ويصير فانياً عنه وعن غيره، ثم إن شاء الحق عزَّ وجلَّ، إذا أراد منه الكلام خلق له لساناً، أنطقه به، ينطقه بما يريد من الحكم والأسرار، يصير كلامه دواءً في دواء، نوراً في نور، حقاً

في حق، صواباً في صواب، صفاءً في صفاء. لأنه لا يتكلم إلا عن أمرٍ من الله عزَّ وجلَّ من حيث قلبه، فإذا تكلم من غير أمر هلك، لا يتكلم إلا عن أمر وفعل، غالب يقهره، فإذا كان هكذا فالحق عزَّ وجلَّ أكرم من أن يؤاخذ على الغالب الذي ليس فيه نفس ولاهوى ولا طبع ولا شيطان ولا إرادة، كما لا يؤاخذ الميت بنطقه ولا النائم باحتلامه وما يراه ويعمله في نومه. قد سُمع من جماعة من الموتى بعد موتهم، من تكلم على الخلق بغير هذه الصفة، فسكوته خير من كلامه.

مجلس «حقيقة الدنيا»

(كل من زهد في شيء طلبه ذلك الشي)
(لا تأكلوا الدنيا بعمل الآخرة فتخسروا الآخرة)

المحب، المشيئة، الأسباب، زواج الدنيا، الزهد، الإرادة،

لا يبرز إلى الصف الأول إلا الشجعان، من يبرز إلى الصف الأول من غير شجاعة ولا صنعة هلك، ويلك تدعي محبة الله عزَّ وجلَّ وأنت تحب غيره، ستكون دعواك سبب هلاكك، كيف تدعي المحبة ولا ترى علامتها عندك، المحبة كنار في بيت بلا باب ولا مفتاح، يخرج لهيبها من فوقه، المحب يغلق باب محبته ويكتمها حتى لا تظهر عليه، له لسان يخصه وكلام يخصه، لا يزيد على محبوبه غيره، وهي من أكبر علاماته وصدقه.

يا كذاب يا هزال اسكت فما أنت منهم، ما أنت محب ولا محبوب، المحب على الباب والمحبوب داخل الباب، المحب له هيمان وحركة وانزعاج، والمحبوب له سكون ساكن في جحر اللطف نائم فيه، المحب له تعب والمحبوب له راحة، المحب متعلم والمحبوب عالم، المحب مسجون والمحبوب مطلق، المحبة تخبل والمحبوبية تعقل.

الصبي إذا رأى حية صرخ، من رأى سبعاً صرخ وهرب، والسباع تلعب مع السباع وتنام عنده.

لكل داخل دهشة، قال الله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ سورة البقرة، الآية 282.

المحب متق، يهذب على الباب، يُهذِّب جوارحه وقلبه، فإذا تهذب دخل بباب القرب، الحكم يُهذب على الباب، والعلم يُهذب داخل الباب، من تَهذب بالحكم آنسه العلم وولاه أمره وأغناه وأفناه، الحكم باب مشترك والعلم باب خاص.

من أحسن أدبه وطاعته على الباب المشترك، صار مستأنساً ورأى الخاص، يصير في زمرة المحبوبين، لا كلام حتى يطول مقامك، مع ملازمة الإطراق وتحقيق العبودية والنظر إلى نفسك بعين النقص والتقصير، من نظر إلى نقصانه كان له

الكمال، ومن نظر إلى كماله كان له النقصان، اعكسوا تصيبوا، استشيروا ترشدوا، واصبروا تظفروا وتجدوا، وتحملوا واصبروا يُصبرْ عليكم، ارضوا يُرض عنكم، احملوا يُحمل عنكم، احلموا يحلم عليكم، سَلموا وقد سَلمتم، وافقوا وقد وفقتم، اخدموا وقد خدمتم، لازموا الباب وقد فتح لكم، لا تستعجلوا وقد أُعطيتم، تكرموا يتكرم عليكم، تقربوا وقد قُربتم، وجدوا وقد وجدتم.

القلب إذا سار بأقدام المجاهدات والمكابدات وقطع المسافات إلى ربه عزَّ وجلَّ، ووصل إليه ثبت عنده لا يبقى له رجوع، ينقله من الحكمة إلى القدرة من الآلات والأسباب إلى الصانع المسبب، ينتقل من مشيئته إلى مشيئة ربه عزَّ وجلَّ، من حركته وسكونه إلى حركة وسكون ربه عزَّ وجلَّ.

يا طالبين الدنيا ما دمتم في طلبها أنتم في تعب، هي تطالب الهارب منها وتعدو خلفه، فإن التفت إليها استدلت على كذبه ومسكته واستخدمته ثم قتلته، فإن لم يلتفت إليها استدلت على صدقه وخدمته، ما ينتفع بها إلا بعد الزهد فيها والهرب منها، اهربوا منها فهي قتالة مكارة سحارة، فارقوها بقلوبكم قبل أن تفارقكم، ازهدوا فيها قبل أن تزهد فيكم، لا تتزوجوا بها فإن تزوجتم بها فلا تجعلوا مهرها دينكم، هي تتزوج ثم تطلق، ما أسرع تزويجها وطلاقها، إن طلقتها بدينك فدتك صِداقها، لأن دين المنافق صداق الدنيا، ودم المؤمن الشهيد صداق الآخرة، ودم المحب صداق قرب المولى.

ويحك ما دمت تخدم الدنيا فهي تضرك ولا تنفعك، فإذا صارت هي تخدمك تنفعك ولا تضرك، اطردها من قلبك وقد رأيت خيرها وخدمتها وذلتها. تظهر لقلب المؤمن في أحسن صورة عليها من كل زينة، فيقول لها: من أنت؟ فتقول: أنا الدنيا، فيعرض عنها فتتبيّن في الحال عيوبها وتنقلب تلك الصورة الحسنة صورة قبيحة.

ويحك تدعي الزهد في الدنيا وأنت تحب الدراهم والدنانير، وتعدو خلفها، وتتذلل للملوك والأغنياء من أجلها، كذبت في زهدك.

عن بعض الصالحين رحمة الله عليهم، أنه قال: رأيت في المنام امرأة حسناء فقلت لها من تكونين؟ فقالت: أنا الدنيا، فقلت لها: أعوذ بالله منك ومن شرك، فقالت: أبغض الدنيا والدرهم وقد كفيت شَري.

يا كذابين من شرط كل صادق في إرادة ربه عزَّ وجلَّ، أن يبغض ما سواه، في

الظاهر والباطن، الظاهر الدنيا وشهواتها وأبناؤها وما في أيديهم، وحمد الخلق وثناءهم وإقبالهم وقبولهم، والباطن الجنة وما فيها من النعيم، من صح له هذا صحت له الإرادة، وقرب قلبه من ربه عزَّ وجلَّ، وصار جليس قربه وضيفاً له، فحينئذ تجيء الدنيا بطبقها، والآخرة بطبقها، تجيء هذه بزينتها وهذه بحشمتها، يصيران خادمتين تخدمانه فيكون طبقهما للنفس لا للقلب، طعام الدنيا والآخرة للنفس لا للقلب، وطعام القرب للقلب.

الذي أدعو إليه هو إرادة الله عزَّ وجلَّ في خلقه، لا الذي تدعون إليه.

يا منافقين: العاقل من ينظر في العواقب ولا يغتر ببداية الأمور، العاقل من استقرض الدنيا والآخرة اللتين هما جاريتان للقوم، تخدمان وتسمعان كلامهم، يسمع من الدنيا فيشتري منها ما يصلح له، ويزهد فيها لكونها فانية ويعرض عن الأخرى، لكونها محدثة مخلوقة حاجبة عن ربها عزَّ وجلَّ لمن تقيد بها ورغب فيها دونه، فتقول له الدنيا: لا تطلبني ولا تتزوج بي فإني أنتقل من دار إلى دار، ومن ملك إلى ملك، كلما تزوجت واحداً قتلته وأخذت مالهُ احذرني فإني ذواقة قتالة غدارة، لا أوفي بعهدي لمن عاهدني، وتقول له الآخرة على وسم البيع والشراء، لقول ربي عزَّ وجلَّ ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ سورة التوبة، الآية 111. وإني أرى على وجهك وسم القرب فلا تشترني فإن الله عزَّ وجلَّ لا يدعك معي، فإذا تحقق هذا عنده وتركهما وولى عنهما طالباً لربه عزَّ وجلَّ. رَد الدنيا إليه فيستوفي أقسامه منها من غير ضرورة، ورَد الآخرة إليه لتكون قهرمانة له.

يا طالبين لهذه ولهذه، يا مرضى بهذه وبهذه، هذا الذي شرحته دواء لكم فاستعملوه. كُل من زهد في شيء طلبه ذلك الشيء، ازهدوا في المخلوقات حتى يحبكم الخالق.

مثل المحبوب عند الله كمثل مريض في حجر طبيب شفيق، يتولاه بنفسه.

يا قوم اقبلوا مني، وازهدوا في الدنيا فإن رغبتكم ومحبتكم لها، تحجبكم عن الآخرة وعن قرب ربكم عزَّ وجلَّ، وتُعمي عيون قلوبكم.

القعود مع الدنيا يحجبكم عن الآخرة، والقعود مع النفس يحجبكم عن

الحق عزَّ وجلَّ.

يا جهال لا تأكلوا الدنيا بعمل الآخرة فتخسروا الآخرة سيدة الدنيا، والدنيا مملوكة لها، فالمملوك يتبع المالك، هي دنية وتلك علية، والداني يتبع العالي، لا تأكل طعام الدنيا قبل أكل الترياق، هذا الترياق هو الزهد فيها والخروج عنها من حيث قلبك، من بحر الحكمة إلى بحر القدرة، من الطب إلى الطبيب الذي يميز لك بين سمها ولحمها.

أما رأيت. إن الحاوي يأخذ الحية فيذبحها ويطبخها ويستخرج سمها، ثم يأكل لحمها. الحق عزَّ وجلَّ يجعل سم الدنيا للكفار والمتجبرين عليه الناسين، ولحمها المصفى من السم للمؤمنين به المتذللين له الذاكرين له الناسين لغيره، يصفو لهم وهم أضيافه يفعل لهم كفعل المحب في حق الحبيب، تصفو لهم الحلاوة من المرارة، والصفاء من الكدر.

المرادون يصفي لهم الطعام والشراب واللباس وجميع ما يحتاجون إليه، المتزهد مُجتهد تارة يصفي وتارة لا يصفي، وتارة يقوم وتارة يقعد.

مجلس «إيمان اللسان وإيمان القلب»

(قرب الحق قد أغناني عن الكل)

(سببان لنور الدنيا، وجوههم إلى الحق عزّ وجلّ وظهورهم إلى الدنيا).

الزهد، الكتاب والسنّة، الإيمان، الإيقان

الزاهد انكشف له الأمر، يعرف الصافي من الكدر، الصافي يناديه والكدر يناديه، والقوم اتحدت جهاتهم ما بقي لهم إلا جهة واحدة، ضاقت جهات الخلق في وجوههم، واتسعت جهة الحق عزَّ وجلَّ لهم، سدوا جهات الخلق بأيدي صدقهم، وفتحوا جهات الخالق بأيدي قلوبهم، فلا جرم اتسعت قلوبهم وكبرت وعظمت، ودقت الغيرة على أبواب قلوبهم، فلم يتمكن أحد من الدخول إليها سوى مالكها وخالقها، كل واحد من هؤلاء القوم كالشمس والقمر في الدنيا.

هما سببان لنور الدنيا، وجوههم إلى الحق عزَّ وجلَّ وظهورهم إلى الدنيا، ولو كانت وجوههم إلى الدنيا لاحترق كل ما أنبت عليها.

أنتم موتى تمشون على وجه الأرض، كن عاقلاً، فما لك عقل، لست من الرجال، ولا تعرف الرجال ولا رؤساء الخلق ولا كبراءهم، كلامك يدل على ما في قلبك، اللسان ترجمان القلب، إذا وقع لك حُب رجل وبغض آخر، فلا تحب ذاك وتبغض هذا لنفسك وطبعك. بل اعرض حكمهما كليهما على الكتاب والسنَّة، فإن وافقا على الذي أحببته فدُم على محبته، وإن خالفاه فارجع عن محبته، وإن وافقا على الذي أبغضته فارجع عن بغضه وإن خالفاه فدُم على بغضه.

ويلك تبغضني لأني أقول الحق وأحاققك، ما يبغضني ولا يجهلني إلا الجاهل بالله عزَّ وجلَّ، كثير العمل قليل القول قرب الحق قد أغناني عن الكل، الماء الكثير حولي، ما أقدر أن أتكلم بما عندي، أنتظر صب الماء وأتكلم، فحينئذ تسمع خبرك وخبر غيرك، متى تتوبون يا مدبرين يا عصاة، صالحوا ربكم عزَّ وجلَّ بواسطة التوبة، لولا حيائي من الله عزَّ وجلَّ، لقمت وأخذت بيد واحد منكم وقلت له أنت فعلت كذا وكذا، تُب إلى الله عزَّ وجلَّ لا كلام لك ومعك، حتى يقوى إيمانك وإيقانك

والمعرفة بمولاك عزَّ وجلَّ، فحينئذ تتعلق بالعروة الوثقى، وهي وصول قلبك إليه، فيباهي النبي (ﷺ) الأمم.

يا من آمن بلسانه حتى تؤمن بقلبك، يا مؤمنة في خلوتك متى تكونين مؤمنة في جلوتك، إِيمان القلب مع الخلوة هو الشيء النافع، وإِيمان اللسان مع كفر القلب لا فائدة فيه.

إِيمان المنافق، إيمان الذي يخاف من السيف. يا عصاة توبوا ولا تقنطوا من رحمة الله عزَّ وجلَّ، ولا تيأسوا من رَوْح الله عزَّ وجلَّ.

مجلس (المِخدع)[1]

(المؤمن بعث ماله إلى الآخرة)

الذكر، الهوى، باب المعاش، التخليط، النفس المريضة، طريق القرب، الخُلع

يا موتى القلوب، داوموا على ذكر ربكم عزَّ وجلَّ، وتلاوة كتابه وسنَّة نبيه (ﷺ)، وحضور مجالس الذكر، وقد أحييت قلوبكم، كما تحيا الأرض الميتة بنزول الغيث عليها، إذا داوم القلب على ذكر الله عزَّ وجلَّ جاءته المعرفة والعلم والتوحيد والتوكل والإعراض عما سواه، في الجملة دوام الذكر سبب لدوام الخير في الدنيا والآخرة.

ما دُمت مع الدنيا والخلق، فأنت متأثر بالحمد والذم، لأنك موجود في نفسك وهواك وطبعك، فإذا وصل قلبك إلى ربك عزَّ وجلَّ، وصار أمركَ إليه زال تأثرك بهما، واسترحت من ثقل عظيم، إذا اشتغلت بالدنيا مع اعتمادك على حولك وقوتك، انقطعتَ وتمزقتَ وتعبتَ وسخطتَ وهكذا الآخرة.

وإذا اشتغلتَ بالحق عزَّ وجلَّ، استفتحْ باب المعاش بيد قوته والتوكل عليه،

---

(1) المِخدع: هو موضع ستر القطب عن الأفراد الواصلين - بكسر الميم - فإنهم خارجون عن دائرة تصرفه فإنه في الأصل واحد منهم متحقق بما تحققوا به في البساط غير أنه اختير من بينهم للتصرف والتدبير، هذا ما ذكره الشريف الجرجاني في التعريفات. والكمشخانوي في جامع الأصول.

أما عند ابن عربي: فإن المخدع موضع وهو خزانة الخلع والخازن هو القطب. وذكر في الفتوحات قول محمد بن قائد الأواني ورد سيدنا عبدالقادر الكيلاني (ﷺ) بقوله: (صدق ابن قائد في قوله فإني كنت في المخدع، ومن عندي خرجت له النوالة وسماها بعينها..) والنوالة هي الخلع التي تخرج من المخدع للأفراد الواصلين.

وذكرنا ذلك في مقدمة كتابنا مكاتبات سيدنا عبدالقادر الكيلاني (ﷺ) وشرحها وذكرنا أن مقام الكيلاني وصل المِخدع وهو قطب الأقطاب. ومنه تخرج النوالة.

وللتوسع مراجعة كتابنا الآنف. وكذلك المعجم الصوفي. للدكتورة سعاد الحكيم (مادة - المخدع).

واستفتح باب الطاعات بيد توفيقه، فإذا وصلت إلى مقام طلبه، فاطلب منه القوة والصدق في طلب معونته، تثبت أقدام قلبك وسرك بين يديه، مع الفراغ من شغل الدنيا والآخرة.

ويحك، نفسك مريضة، فاحمها عن التخليط في المأكل حتى تأتيها عافية القرب من ربها عزَّ وجلَّ.

ويحك كيف تطمع في قرب الله عزَّ وجلَّ، ونفسك مستولية عليك وهواك يقودك، وتميل إلى الشهوات واللذات، ونار طبعك تحرق قوتك ودينك. كن عاقلاً ما هذا عمل من يؤمن بالموت ويوقن به، وما هذا عمل من يرتقب قُرب الحق عزَّ وجلَّ ويخاف محاسبته ومناقشته، لا فكرة لك، لا تقوى لك، لا تدبير لك، لا سكون لك بالليل والنهار، غائص في جميع الدنيا والتفكر فيها، ومصاحبة أهلها والتذلل بين أيديهم.

القوم يستقلون من الدنيا والحياة ومقاساة الخلق، أحدهم كرجل بعث راحلته إلى خراسان وقعد هنا على خيل الجريدة ينتظر سير القافلة، وخروج الأمير بجنده، حاضر وكل قلبه إلى بيته. المؤمن قد بعث ماله إلى الآخرة وبنى هناك قصراً، افتتن به، وكل قلبه إلى قرب الحق عزَّ وجلَّ.

لهذا قال النبي (ﷺ): الدنيا سجن المؤمن، لا يزال المؤمن يتحقق في إيمانه حتى يصير عارفاً بالله عزَّ وجلَّ عالماً به قريباً منه واصلاً إليه. فحينئذ يؤثره على كل شيء، يفرق ماله على الحواشي للوقوف على الباب، فيبقى كل همّه الدخول إلى دار القرب، يرد مفتاح قصره الذي في الجنة على خازنها، يجيء سره إلى أبواب الجنان فيغلقها ويسد أبواب الخلق والوجود، ويرمي بنفسه بباب الملك، يتمارض هناك، ويقع كأنه قطعة لحم ملقاة، ينتظر أن تمر به أقدام اللطف فتدوسه، ينتظر لمحة من عين الرحمة وامتداد يد الكرم والمنة، فبينما هو كذلك، إذ هو في مخدع القرب في حجر اللطف بين يدي اللطيف الخبير، فيمرضه ويرد إليه قوته ويوانسه ويخلع عليه الحلل والحلي والتيجان، ويطعمه من طعام الفضل، ويسقيه من شراب الأنس. فحينئذ جاءت الرحمة في دار القرب، جاء الفرح على شرفات الوصول، وصارت الخليقة كلهم تحته ينظر إليهم بعين الرأفة، يتخلق بأخلاق الحق عزَّ وجلَّ. لأن الواصلين إليه تمتلئ قلوبهم رحمة للخلق، ينظرون إلى المسلمين والكافرين

وإلى العوام والخواص بعين الرحمة، يرحمون الكل مع مطالبتهم لهم بحدود الشرع، المطالبة ظاهراً والرحمة باطناً.

يا عباد الله إذا رأيتم أحداً من هؤلاء القوم، فأْخُذوا منه واقبلوا منه، فإنه ناصح لكم.

يا قعود في البيوت والصوامع مع النفس والطبع والهوى وقلة العلم، عليكم بصحبة الشيوخ العمال بالعلم، اتبعوهم وابركوا على أقدامكم خلف أقدامهم، ذلوا لهم، اصبروا على كسرهم حتى تزول أهويتكم وتنكسر نفوسكم، وتطفئ نائرة طباعكم. فحينئذ تعرفون الدنيا فتجتنبوها، تصير خادمتكم تعطيكم ما فرض عليها لكم وهي أقسامكم المقسومة، عندها تأتيكم وأنتم على باب قربكم من ربكم عزَّ وجلَّ هي والآخرة، خادمتان لمن خدم الحق عزَّ وجلَّ.

مجلس «الخواطر»[1]

(هذا الأمر لا يجيء بمجرد القعود في الخلوات مع الجهل)
(خاطر الحق عزّ وجلّ هو الغاية)

الباطن والظاهر، أنواع الخواطر، السَّير إليه، علامة القرب، أعمال القلوب.

القلب إذا تربى في التوحيد، كان كل يوم في زيادة، كلما كبر وعظم وارتفع لا يرى على وجه الأرض ولا في السماء غير الله. تصير كل الخلائق في أمره وتقوم في سره بينه وبين ربه عزَّ وجلَّ. فحينئذ يتمكن منه ويتصل به ويصير سلطان زمانه، يتمكن مع القضاء والقدر والحكم والعمل، يخدمه صغار الملك ويقرب ذاته.

يا قوم صدقوا الله عزَّ وجلَّ ورسوله (ﷺ) والصالحين من خلقه، هو تعالى صادق لأنه قال: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلاً ﴾ سورة النساء، الآية 122.

وصدق الرسول (ﷺ) وصدق الصالحين مشتق من صدقه.

يا غلام: إذا طلبت قيام قلبك على باب الحق عزَّ وجلَّ، زال شرهك وطلبك، وكثر حسن أدبك. الصبر يزيل الشهوات، الصبر يفني العادات ويقطع الأسباب ويخلع الأرباب.

أنت مهووس، أنت جاهل بالله عزَّ وجلَّ وبرسله وأوليائه وخواصه من خلقه صلوات الله وسلامه عليهم. تدعي الزهد وأنت راغب، رغبتك في الدنيا والخلق، لا رغبة لك في ربك عزَّ وجلَّ.

عليك بحُسن الظن والأدب حتى أدلك على باب ربك عزَّ وجلَّ، وأُعرفَك الطريق إليه. انزع عنك لباس الكبر والبس لباس التواضع، ذُل حتى تُعز، تواضع

---

(1) الخواطر: خطاب يرد على الضمائر، وقد يكون بإلقاء ملك، وقد يكون بإلقاء شيطان، ويكون أحاديث النفس، ويكون من قبل الحق سبحانه. فإذا كان من الملك فهو الإلهام وإذا كان من قبل النفس قيل له الهواجس. إذا كان من الشيطان فهو الوسواس. وإذا كان من الله سبحانه وإلقائه في القلب، فهو خاطر حق. وكل خاطر لا يشهد عليه الظاهر (الشريعة) فهو باطل. انظر: القشيري - الرسالة القشيرية، ص170.

حتى تُرفع. جميع ما أنت فيه وعليه، كُله هوس في هوس، إذا أعرضت عن خاطر النفس وخاطر الهوى وخاطر الشيطان وخاطر الدنيا، صار لك خاطر الآخرة وخاطر الملك ثم خاطر الحق عزَّ وجلَّ أخيراً وهو الغاية.

إذا صح قلبك، وقف عند الخاطر وقال له أي خاطر أنت؟ وممن أنت؟ فيقول أنا خاطر كذا وكذا، ويحكم الأكثر منكم في هوس.

تعبدون الخلق في صوامعكم، هذا الأمر لا يجيء بمجرد القعود في الخلوات مع الجهل.

ويلك امش في طلب العلم والعلماء العاملين حتى لا يبقى مشي، امشِ حتى لا يطاوعك ساقاك، فإذا عجزت فاقعد بظاهرك ثم بقلبك ومعناك، فإذا عييت ظاهراً وباطناً وقعدت، جاءك القرب من الله عزَّ وجلَّ والوصول إليه، إذا تقطعت خطرات قلبك وذهبت قواك في السَّير إليه. كان ذلك علامة قربك منه.

فحينئذ سَلِّم واستطرح، فإما يبني لك صومعة في البرية، ويقعدك في الخراب، أو يردك إلى العمران، ويوقف الدنيا والآخرة والجن والإنس والملك والأرواح في خدمتك. إذا وقفت على باب الحق عزَّ وجلَّ رأيت عجباً بل عجائبَ. انس طعامك وشرابك ولباسك ووجودك، احمد القوم وذمهم.

هذه الأشياء كلها من أعمال القلوب، يصير القلب بُستاناً فيه أشجار وثمار، فيه فيافي وقفار وبحار وأنهار وجبال، يصير مجمع الإنس والجن والملائكة والأرواح، هذا شيء من وراء العقول.

اللهم إن كان ما أنا فيه حقاً فحققه للساكين.. وإن كان باطلاً فامحقه.. وإن كنت على حق فارفع بُنياني وشيدهُ.. وعجل بهداية الخلق على يدي. اللهم ارفع قلوبنا إليك.. إلى متى هذا التعب... متى تنتهي خطوات قلوبنا إليك.. متى نأكل الدعوة على سطح قصر القرب.. ونتفرج من شرفاته على خلقك.. ويضرب الله الأمثال للناس.

مجلس «بركة متابعة رسول الله (ﷺ)»

(والدي زهد في الدنيا مع قدرته عليها ووالدتي وافقته على ذلك).

الكلام، التعلم، صحة القلب،

إذا صح القلب، نسى ما سوى الحق عزَّ وجلَّ القديم الأزلي الأبدي، وكل ما سواه مُحدث. إذا صح القلب صار الكلام الذي يخرج منه صواباً حقاً لا يرده راد يخاطب القلوب، والسر السر، الخلوة الخلوة، المعنى المعنى، اللب اللب، الصواب الصواب.

فحينئذ يكون الكلام منه إلى القلوب، كالبذر في الأرض الطيبة غير السبخة ينبت. إذا تعلمت للدنيا عملت للدنيا، وإذا تعلمت للآخرة عملت للآخرة، الفرع يبنى على الأصل، كما تُدين تُدان، كل إناء ينضح بما فيه، تضع في إنائك القطران، وتريد أن ينضح منه ماء الورد. لا كرامة لك تعمل في الدنيا للدنيا وتريد أن تكون لك الآخرة غداً، لا كرامة لك عملت للخلق وتريد أن يكون لك الخالق غداً والقرب منه والنظر إليه، لا كرامة لك هذا هو الظاهر والأغلب، وإن أعطاك هو تفضيلاً بغير عمل فذلك إليه.

اسمعوا مني واعقلوا ما أقول لكم.. فإني غلام من تقدم.. كنت أحضر بين أيديهم.. ولا أدعيها ملكاً أبداً... أهلني الله عزَّ وجلَّ لذلك ببركة متابعة الرسول عليه الصلاة والسلام، وبري بوالدي ووالدتي رحمهما الله تعالى.

والدي زهد في الدنيا مع قدرته عليها، ووالدتي وافقته على ذلك ورضيت بفعله، كانا من أهل الصلاح والديانة والشفقة على الخلق.[1]

وما عليَّ منهما ولا من الخلق، ما أريد من الخلق سوى محمد (ﷺ)، ولا من الأرباب غير ربي عزَّ وجلَّ.

---

(1) هذه قصة تفرد بها هذا المجلس، في ذكر والده (أبو صالح موسى بن عبدالله بن يحيى الزاهد). وشهد عليه بأنه من الزهاد.

مجلس «الحكم والعلم»

(الحكم مشترك والعلم خاص)(الحكم إيمان والعلم عيان)

القلب الصحيح، القلوب، الأسرار، مائدة الفضل، الخواص،

يا غلام: كلامك من لسانك لا من قلبك، من صورتك لا من معناك. القلب الصحيح يهرب من الكلام الذي يخرج من اللسان دون القلب، يصير وقت سماعه كالطير في القفص، وكالمنافق في المسجد، إذا التقى واحد من الصّديقين في مجلس واحد من العلماء المنافقين كانت كل أمنيته الخروج منه.

للقوم علامات في وجوه المرائين المنافقين الدجالين المدعين أعداء الله عزَّ وجلَّ، وأعداء رسول الله (ﷺ)، علامتهم في وجوههم وفي كلامهم، يفرون من الصديقين كفرارهم من الأسد، يخافون أن يُحرقوا بنار قلوبهم، الملائكة تدفعهم عن الصديقين والصالحين، أحدهم عند العوام كبير وعند الصديقين حقير، عند العوام آدمي وعند الصديقين سنور، لا وزن له عندهم.

يا غلمان: عليكم بطبيب الحكم فإنه يداويكم من أمراضكم، اتبعوه واقبلوا منه وقد وفيتم، اتبعوه وانظروا إلى أين يدخل، ادخلوا خلفه، اطلبوا باب ربكم عزَّ وجلَّ، وأحسنوا العِشرة مع الحكم الذي هو غلام الباب، إذا لم تتبعوا الحكم فلا وصول لكم إلى العلم.

أما سمعتم قول ربكم عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ سورة الحشر، الآية 7. فإذا أحسنتم العشرة مع الحكم على باب ربكم عزَّ وجلَّ، وتأدبتم معه أجابكم وفتح لكم باب قربه، وأقعدْتُم على مائدة فضله وكرمه، تصيرون أضيافه، يحادث قلوبكم ويأنس أسراركم ويعلمها العلم الذي يعلمه لخواصه من خلقه، فتصيرون حكمة بينه وبين الخلق، وعلمه بينه وبينكم، لأن الحكم مشترك والعلم خاص. والحكم إيمان والعلم عيان.

اللهم هب لنا العمل والإخلاص في أعمالنا، وهب الاطلاع على علمك، والثبات في اطلاعنا.. اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

«خاتمة المخطوطة»

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، تمت النسخة المسماة بجلاء الخواطر من تصانيف الشيخ الإمام العالم الزاهد العابد الورع القطب الفرد الغوث شيخ المشايخ والأولياء سيدنا وشيخنا الشيخ محيي الدين أبو محمد عبد القادر الحسني الحُسيني ابن أبي صالح عبد الله الجيلي رضى الله تعالى عنه وأرضاه عنا ونفعنا به وبكلامه لفظاً ومعنى وعلماً آمين يا رب العالمين.

كتب لإرشاد حضرة مولانا زبدة أحفاد شيخ السموات والأرضين أبو محمد محيي الدين سيدنا عبد القادر رضى الله عنه الذي أصله من بلدة جيلان مقبول الحق منبع العلم والحلم والعرفان، سيدي أفندي السيد عبد الرحمن [1] عم فيضه ورحمة على الأصاغر والأكابر من الإنس والجان.

وأنا الفقير الحقير المدعو كريم بخش، أرجو من الناظرين والقارئين لهذا الكتاب المستطاب، أن لا ينسوني من دعاء الخير والخاتمة على الإيمان وأن يحشرني في زمرة مريدي حضرة الغوث الأعظم والقطب الأفخم رضي الله عنه وأرضاه عنا.. آمين يا رب العالمين.

وقد وقع الفراغ من التحرير ثالث عشر يوم الثلاثاء من شهر رمضان سنة 1306هـ. وكانت النسخة المنقول عنها كثيرة الأغلاط وقد أكل بعض حروفها الديدان، وبذلت في التصحيح سعيي، فما تبقى من الأغلاط هو من قصوري، والعذر عند كرام الناس مقبول فمن وجد نسخة صحيحة فعليه بالتصحيح والتكميل.

---

(1) هو السيد عبد الرحمن ظهير الدين ابن السيد علي الكيلاني. نقيب أشراف بغداد ومتولي الأوقاف القادرية. وخادم السجادة القادرية. ولد في 1261هـ وتوفي 1345هـ 1927. جمع الكتب والمخطوطات ورصدها وأوقفها على الحضرة القادرية. كتبنا سيرته في كتابنا أبواب التصوف.

فهرس محتويات الكتاب